مُدَاخَلَاتٌ لُغَوِيَّةٌ (٦)

فِي النَّحْوِ وَشُؤُونٍ أُخْرَى

كَتَبَهُ
أَبُو أَوْسٍ إِبْرَاهِيمُ الشَّمْسَانُ

رَاجَعَهُ وَقَدَّمَ لَهُ
أ.د. سُعُودُ بْنُ أَحْمَدَ المَنِيعِ
أُسْتَاذُ النَّحْوِ وَالصَّرْفِ فِي جَامِعَةِ المَجْمَعَةِ

الرِّيَاضُ
١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م

مُداخلات لُغوِيَّة (٦)

في النحو وشؤون أخرى

كتبه

أبو أوس إبراهيم الشمسان

راجعه وقدم له

أ.د. سعود بن أحمد المنيع

أستاذ النحو والصرف في جامعة المجمعة

الرياض

١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م

ح أبوأوس إبراهيم الشمسان ، ١٤٤٦هـ

الشمسان ، إبراهيم بن سليمان بن رشيد
في النحو وشؤون أخرى. / الشمسان ، إبراهيم بن سليمان بن رشيد .- الرياض ، ١٤٤٦هـ

رقم الإيداع: ١٤٤٦/٣٠٨٤
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٥-٣٢٩٨-٨

الرياض

١٤٤٦هـ-٢٠٢٤م

صممت الغلاف بدور بنت إبراهيم الشمسان

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾

إهداء

إلى أختي الحبيبة نورة

نـور في القلب، وصفـاء في النفس، وسلام سريـرة

وضعتني أمي بين يديـك فتلقيت بحب وســرور

ربّ أعني على برّ أخـتٍ أمٍّ ربتني بعطـف وحنـو

هل أرجو غير رضاها عني ودعاء في حب وحنان

المحتويات

الفصل الأول (نحو ولغة)

المطلب الثالث: مسائل لفظية ودلالية

***

الفصل الثاني: كتب ورسائل

الفصل الثالث: سير وتأبين

المطلب الأول: كلمات في السير والزيارة

المطلب الثاني: كلمات في التأبين

الفصل الرابع: متفرقات

تقديم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد

فقد أسعدني وشرفني أستاذي الأستاذ الدكتور أبو أوس إبراهيم الشمسان أن طلب مني التقديم لهذه المجموعة التي أسماها (**في النحو وشؤون أخرى**) ولم يكن ذلك لولا ما يتمتع به أستاذي من تواضع يتأبى على طباعه ضده.

أكاد أجزم أنه ما من أحد صاحب أستاذي أو تتلمذ له أو زامله إلا وهو يشهد له بالتواضع غير المصطنع، وإن من التواضع البين الذي وقفت على شيء منه أثناء الدراسة أنه لم يكن يخجله الاعتراف بعدم معرفة مسألة ما، وأستحضر وقتها مقولة مالك بن أنس رحمه الله: "ينبغي أن يورث العالم جلساءه قول: لا أدرى؛ حتى يكون ذلك أصلًا في أيديهم يفزعون إليه"، ومنه في هذه المجموعة قوله في فصل (كتب ورسائل): "أما أنا فأقول إن طائفة من جوانب الموضوع غمضت عليّ، ولم أحسن فهمها؛ لقصور مداركي عنها ولقلة حظي من المنابع التي تعود إليها، ولذلك لا أجد جوابًا صريحًا شافيًا للنفس عن السؤال الذي أثار هذه المسألة".

لا أريد في هذه العجالة الحديث عن أستاذي فذلك يطول، أمّا هذه المجموعة فهي مقالات نشرها أستاذي أبو أوس منجّمة في صحيفة الجزيرة اقتضت المصلحة لمَّ شتاتها في هذه الموسومة (في النحو وشؤون أخرى)، وصنفها تصنيفًا يسهل على القارئ الوصول إلى مراده منها.

حوت هذه المجموعة اختيارات نحوية وصرفية ولغوية أتت نتاج عيش طويل بين النحويين ومصنفاتهم طريفها وتليدها، وهي جديرة بأن تنال يد دارس.

في هذه المجموعة سيرى كل غيور على لغة القرآن يخاف عليها من عادِية التحريف واللحن ما يبهج النفس من نصح حقُّه أن يؤخذ مأخذ عزم وحزم على مستوى الأفراد أو المؤسسات ولا سيما في بلادنا منبع العربية ومأرزها، ومن ذلك وأورده هاهنا لأهميته؛ إذ هو نفثة مصدور وآهة حزين على لغته يعي أن قوة الأمم من قوة لغتها: "إن من أعجب ما يواجهه المواطن في بلادنا عند التقدم للعمل هو اختبار عن معرفته اللغة الأجنبية لا العربية. إن الاهتمام بلغة العلم والعمل أمر بدهي منطقي؛ إذ يسعى الإنسان إلى ما ينفعه منفعة مباشرة، فتراه يقبل على اللغة الأجنبية لا حبًّا بها ولا كلفًا بجرسها بل لأن معرفتها شرط في قبوله العمل وعمله معتمد عليها فهي لسان المعاملات والمراسلات".

ولأن فهم القرآن والسنة لا يكون إلا لمن هو على جَدٍّ موفور من هذه العلوم علوم العربية كان لِزامًا أن يعنى بها وبتعليمها من لدن الأسرة إلى المؤسسات كلّ بحسبه، وليس من الإنصاف ما نسمعه من إلقاء التبعات على الآخرين جزافًا، كأن يوجه "اللوم إلى المعلمين واللغويين والنحويين، وليس هذا من العدل في شيء، ولا من الحكمة في مكان".

هذا ومن أضر الأشياء التي تهدد مجتمعاتنا ولغتنا "ما نراه من نشوء أجيال بين ظهرانينا لا يتكلمون العربية، وإن تكلموا بها فكما يتكلم الناطق بغيرها تكلمًا سقيمًا، هؤلاء أبناؤنا جنى عليهم أهلهم أن ألحقوهم بالمدارس الأجنبية وحاصروهم ببيئة أعجمية جعلتهم جزيرة أعجمية في بحر عربي" غررت بهم صرخات لا تنفك تنادي من حين لآخر بأن العربية عاجزة عن مواكبة الحضارات فتلاعبوا بعقول الناس تلاعب الأفعال بالأسماء، وما علموا أنها ما ضعفت لغة قوم إلا ضعفوا.

نبّه أستاذي في هذه المجموعة الشداةَ الباحثين إلى أمور يحسن بهم الأخذ بها في الكتابة الحاسوبية وفي تحاشي بعض الأساليب التي ينبغي على طالب العلم التجانف عنها قال: "ومن المزعجات ترهل اللغة التي يستعملها المعاصرون في لغتهم المعاصرة فغادروا إيجاز اللفظ الفصيح إلى تراكيب فيها من الترهل ما فيها، كأن يقولوا: (أما بالنسبة لما يتعلق بالقضية) وكان يجزئهم أن يقولوا: (أما القضية)، وأسرفوا في استعمال (من خلال) وهم يريدون حرف الجر الباء" هذا شيء مما سيقف عليه القارئ وأجزم أن فيه من الفائدة ما يحسن بطالب العربية عدم الغفلة عنه.

أما الوفاء فسجية مألوفة وطبيعة معروفة لدى أستاذي سطّر من جميل ما أنت راءٍ من الوفاء مع إخوته وقراباته وزوجه أم أوس رحمها الله وزملائه وطلابه وأحبابه.

ولا أنسى في ختام هذه المقدمة أن أكرر شكري لأستاذي أبي أوس على ثقته، والله أسأل أن يديم عليه عافيته.

سعود بن أحمد بن عبد الرحمن المنيع

١٤٤٦/٢/٨هـ

مقدمة

هذه الحلقة السادسة من حلقات المداخلات التي أنشرها كل عامين هجريين، فهذه الحلقة تضم ما نشر في عامي ١٤٤٤هـ و١٤٤٥هـ، وقد كانا عامين ثقيلين على نفسي ففيهما فقدت عددًا من أحبابي سيأتي حديثي عنهم إن شاء الله.

من أهم ما يواجهني في إعداد مثل هذا الكتاب اختيار عنوان يعبر عن مضمونه؛ لأنه مؤلف من طائفة من المقالات التي تنشر في الجزيرة الثقافيّة ومنها ما نشر في النشرة الدورية التي يصدرها مركز حمد الجاسر الثقافي، وقد جعلت العنوان (في النحو وشؤون أخرى)، والنحو في هذا الكتاب كبير؛ إذ بلغ فصله الأول ١١٩ صفحة، جعل الكلام في ثلاثة مطالب: المطلب الأول (جوانب درس المعنى في النحو) ويعتمد هذا المطلب على كتاب أستاذنا أ.د. محمد عبدو فلفل (المعنى في النحو العربي بين الوفاء لوظيفة اللغة وإكراهات الصنعة النحوية)، وكنت استأذنته أن ألخص موضوعات الكتاب ليقرأها القارئ الذي لا يناله الكتاب فأذن لي بما وهبه الله من كرم سابغ ومحبة للخير، والمطلب الثاني (مسائل نحوية ولغوية)، والمطلب الثالث (مسائل لفظية ودلالية). وأما فصله الثاني (كتب ورسائل) فبلغ ٥٣ صفحة، وأما الفصل الثالث (سير وتأبين) فبلغ ٧٩ صفحة، وجعل في مطلبين: المطلب الأول (كلمات في السير والزيارة)، والمطلب الثاني (كلمات في التأبين)، وأما الفصل الرابع (متفرقات) فبلغ ٢٩ صفحة.

أود أن أتقدم بالشكر والدعاء بالتوفيق لابني العزيز أ.د. سعود المنيع الذي رحب بسعادة أن يقرأ مسودة الكتاب وأن يراجعها ويكتب للكتاب تقديمًا ملائمًا، وقد قرأ قراءة ناقدة مدققة فوقفني على جملة الأخطاء الكتابية وغير الكتابية التي لا تسلم منها

المسودات، واقترح عليّ طائفة من الاقتراحات عن تقديم بعض المقالات. ومن الطريف أني صادفت أخطاء أخرى لم يتنبه إليها، وربما يجد القارئ الكريم أخطاء أخرى فيهديها إليّ مشكورًا مأجورًا.

لم أكن أنوي أن أعد قائمة بالمصادر والمراجع كما فعلت في كتب سابقة اجتزاءًا بذكرها في حواشي المقالات، ولكن الأستاذ الدكتور جزاه الله خيرًا اقترح أن تكون للكتاب قائمة مصادر ومراجع؛ بل أبدى استعداده بسابغ كرم أن يتولى إعداد القائمة، وأعدها على الطريقة التي عرفها عني في كتب سابقة، وهي الطريقة الملتزمة في كتابة الرسائل الجامعية في جامعة الملك سعود، وهي البدء بذكر اسم المؤلف فاسم الكتاب؛ ولكني طلبت منه أن يعيد الترتيب بادئًا باسم الكتاب فاسم المؤلف، وهي طريقة متبعة في كثير من الكتب ووجدتها أنفع وأجدى وأعم، فأوصيت بها وعملت بها، وسيجد القارئ أني في الحواشي أبدأ باسم الكتاب.

أرجو أن يجد القارئ في هذا الكتاب ما فيه نفع وخير وصلاح والله ولي التوفيق.

أبو أوس إبراهيم الشمسان

الفصل الأول

نحو ولغة

المطلب الأول: جوانب درس المعنى في النحو.

المطلب الثاني: مسائل نحوية ولغوية.

المطلب الثالث: مسائل لفظية ودلالية

المطلب الأول

جوانب درس المعنى في النحو

مقدمة

هذا كتاب للنحوي القدير الأستاذ الدكتور/ محمد عبدو فلفل عنوانه الكامل (المعنى في النحو العربي بين الوفاء لوظيفة اللغة وإكراهات الصنعة النحوية) نشرته الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠٢١م، والكتاب من القطع الصغير يقع في (١٢٠) صفحة، وهو على صغره مكتنز فكرًا وعلمًا، والمؤلف من القلائل الذين زويت لهم المعارف اللسانية الحديثة والقديمة، وسخر معرفته في معالجته هذا الموضوع الدقيق فوفق في ذلك توفيقًا.

وكنت قد استأذنته أن أعرضه في مداخلاتي في المجلة الثقافية ليستفيد قرائي، وأجابني برسالة صوتية في الوثاب أجتزئ منها هذا النص "أستاذي الفاضل هذا الكتاب أو الكتيب أو هذا الإسهام لكم أن تسموه ما شئتم. أنتم لكم مطلق الخيار في أن تفعلوا ما تريدون به، فهو في النهاية عمل من المفيد جدًّا أن يطلع عليه الآخرون، وقد طلب غير مرة في المملكة وفي الجزائر وفي المغرب؛ ولكن للأسف لَمّا يطلق بعد إلكترونيًّا، وسألت الأخ العامل في وزارة الثقافة التي نشرت الكتاب عن طرحه إلكترونيًّا فقال لي: هم لا ينشرون إلكترونيًّا إلا بعد أن تنفد النسخ الورقية، وأعتقد أنه قريبًا ستنفد هذه النسخ، ومع ذلك فلكم أن تفعلوا ما تشاؤون: أن تلخصوا، أن تعترضوا، أن تقوّموا، أن تقيّموا؛ فالعمل بعد أن يخرج من أيدي صاحبه يصبح عرضة لأن يقرأ وأن ينقد، وكلي حرص أن أسمع جوانب تفيد في تقويم الكتاب".

المعنى في النحو العربي*

بدأ أستاذنا بالإشارة إلى مسألتين أولاهما أن اللغة على تعدد وظائفها ليست الوسيلة العلامية المثالية في التعبير عما يراد منها أن تعبر عنه، وأخراهما هي إشكالية المعنى التي هي غموض مفهومه لدى المعنيّين به وتعذر إخضاعه لضوابط علمية جامعة مانعة؛ مما حمل بعض النظريات اللسانية الحديثة على أن ترجئ دراسته في معالجتها لمسألة اللغة.

وتحت عنوان "**اللغة: بين تعدد الوظائف ومحدودية الأداء**" يذكر أنه لم يختلف جمهور المعنيّين في تعدد وظائف اللغة بل في التمييز بين الأساسي والثانوي، أو في الأهم والأقل أهمية من هذه الوظائف، على أن أكثر وظيفتين أهمية للغة هما الوظيفة الرمزية أو التواصلية الفكرية العقلية، والوظيفة الانفعالية العاطفية النفسية، ويذكر في هذا السياق جملة أقوال منها قول الغزالي: إن للأشياء وجودًا في الأعيان ووجودًا في الأذهان ووجودًا في اللسان، أما الوجود في الأعيان فهو الوجود الأصلي الحقيقي، وأما الوجود في الأذهان فهو الوجود العلمي الصوري، وأما الوجود في اللسان فهو الوجود اللفظي الدليلي، ويبين محدودية أداء اللغة جملة أمور:

١-أن اللغة لا تقوم بمهامها التواصلية ما لم تستعن بمعطيات غير لغوية كلغة الجسد وبالسياق غير اللغوي، مثال ذلك أن الجملتين: (فلسطين دولة محتلة/ إسرائيل دولة محتلة) فيهما كلمة (محتلة) وهي مشترك لفظي لا يتبين اختلافهما في المعنى إلا بمعرفة تاريخية سياسية فمن لا يعرف المشكلة الفلسطينية لن يعرف أن محتلة معها اسم مفعول

* نشر في الجزيرة الثقافية الجمعة/السبت ٩-١٠ رمضان ١٤٤٤هـ/ ٣١ مارس ٢٠٢٣م. ع ١٨٢٨٥.

وأنها مع إسرائيل اسم فاعل، بل إن من لا يعرف ذلك لن يستطيع أن يحلل الكلمتين تحليلًا صرفيًّا.

٢-اختلافاتنا العلمية من اختلاف معاني الكلمات أو فهم المعاني؛ لأن التراكيب قد تكون احتمالية أو قطعية مثل جملة (عندي حُبُّ عسل) قد تدل على أن لديك (حبًّا) يستعمل للعسل، وقد تعني أنه حُبٌّ مليء بالعسل، بخلاف عندي حبٌّ عسلًا فهذه لا تعنى سوى الحب المليء بالعسل.

٣-لسنا أحرارًا كل الحرية في استعمال اللغة؛ فهي ملك لمجتمعها، وتاريخ مفرداتها حافل بدلالات متعددة تارة ومتباينة تارة أخرى، وكلٌّ محكوم بتجربته اللغوية؛ فقد يقصد المتكلم ما لا يفهمه السامع، فمهما نتحكم باللغة فقد تتحكم بنا ببعدها الاجتماعي.

٤-تباين المرسلِ والمتلقي قدراتِهما اللغوية والذهنية والثقافية والفكرية؛ ولذا قد لا يتطابق معنى الخطاب عند المتكلم والمتلقي. فاللبس قد يكون من اللغة أو من مستعمليها أو من المعنى نفسه "فهو مفهوم غامض، ومعقد ومراوغ، لذا يتمرد على التحديد والضبط والتقنين بالمفهومات العلمية للمصطلحات"(١).

وينال هذا المعنى غموضَ مفهومه وتمردَ تحديده وضبطه مزيدٌ من البسط تحت عنوان "**المعنى غموض في المفهوم وتمرد على الضبط**"، فيذكر أنه لم يحظ المعنى عند المهتمين به باتفاق في مفهومه أو تعريفه؛ إذ تعدد تعريفه بتعدد العلوم أنفسها، ولذا تعثرت الإجابة عن سؤال المعنى؛ فهي تقتضي اشتراك جملة من العلوم الإنسانية، الفلسفة

---

(١) المعنى في النحو العربي لمحمد عبدو فلفل، ص١٨.

وعلم النفس وعلم الاجتماع وغيرها مما عالج ما يتصل بالمعنى، بل المناهج التي يفترض أن تعالج مشكلة المعنى نالها الشك وفوض كل علم غيره في إنجاز ذلك، لأن المعاني مفاهيم مجردة يعسر في كثير من الأحيان ضبطها أو تقييدها، فتسميات البشر للأفكار الشديدة التعقيد كالألفاظ الأخلاقية يندر اتفاق اثنين على معناها، بل إن الفكرة التي في ذهن إنسان ما اليوم قد يكون لها معنى يختلف عن معناها في الأمس أو في الغد.

إن غموض مفهوم المعنى وتمرده على التقنين والضبط أجاء مناهج الدرس اللساني الحديث إلى اختلاف العناية بدرس المعنى؛ فمنها ما أقصته ومنها ما أدرجته في مجال درسها. إذ تخلت توليدية تشومسكي في بدايتها عن درس المعنى وأرجأ بلومفيلد دراسته حتى تصبح العلوم قادرة على ذلك.

وسيناقش المؤلف القدير منزلة المعنى في النحو العربي في ضوء مقولتي الغموض والتعقيد اللتين تحولان دون درس المعنى درسًا علميًّا موضوعيًّا متصفًا بالشمول وبإمكان ضبطه وقياسه وترميزه، قال: "وإذا أدركنا أن النحو لا يمثل اللغة حقيقة، بل يمثل تصور النحاة لها أدركنا أن المعنى في مناهج الدرس النحوي قد يتعرض لانكسارين(١): لغوي ناجم عن أن اللغة لا تصور الأشياء، بل تصور تصورنا لها، ونحوي ناجم عن أن النحو لا يمثل اللغة بل يمثل تصور النحاة لها"(٢).

---

(١) الانكسار مصطلح فيزيائي يعبر به عن تغير اتجاه مسار الضوء في الأوساط المختلفة كالماء والهواء وهذا يشاهد في منظر القلم الموضوع في كأس ماء فيبدو للناظر مكسورًا ما لم ينظر بزاوية مستقيمة وهذا ما تفعله الطيور التي تقتنص الأسماك فهي تنقض عليها من الأعلى بخط مستقيم يكفل لها الإصابة.

(٢) المعنى في النحو العربي لمحمد عبدو فلفل، ص٢٣.

عناية المحدثين بمنزلة المعنى في النحو*

ذهب أستاذنا محمد عبدو فلفل إلى أنه لما كانت الوظيفة الأساسية للغة هي نقل الأفكار والمعاني والتعبير عن الأحاسيس والانفعالات كان من الطبيعي أن يوجه المعنى منهج الدرس اللغوي؛ لأن ذلك يساعد في تفسير الأبنية اللغوية مفردات وتراكيب؛ فلوظيفة البنية الدلالية أثر في تحديد شكلها، وربط البنية بوظيفتها الدلالية المفسرة لها أمر طبيعي. يضاف إلى ذلك ربط نشأة العلوم بأهدافها وأسباب نشأتها لأهميته في تحديد معالم مناهج تلك العلوم.

وعلوم العربية نشأت لفهم معاني القرآن وتفسيره ولذا كان للمعنى مكانه في ضوابط نظرية النحو العربي؛ لذا يرى أحمد المتوكل أن الذي يحكم التنظير التراثي للدلالة مفاهيمه ومنهجه ومقاربته هو أن وظيفة اللسان إتاحة التواصل بين البشر. ومع هذا يستوقفنا في الدرس النحوي الحديث فيض من الدراسات المعنية ببيان منزلة المعنى في هذه النظرية مما يشي بأن العلاقة بين النحو والمعنى لم تكن على درجة كافية من الوضوح خلافًا لمن يرى أنها واضحة لا تخفى على متأملها، واللافت أن دراساتهم، على كثرتها، لم تطرح السؤال الأدق الذي يحاول هذا الكتيب الإجابة عنه، لم تنظر إلى هذا الموضوع من الزاوية التي يحاول البحث النظر إليه منها، وذلك بغية الوصول إلى أكثر رؤية دقة لحقيقة منزلة المعنى في النظرية النحوية العربية، ذلك أن معظم جهود المحدثين في هذه البابة أو إنتاجهم فيها فضفاضة تنال ما كان ينبغي على النحوي أن يفعله فكان، ولكن هذه الجهود بحكم ما ندبت نفسها إلى بيانه لم تعن كما ينبغي بتسليط الضوء على إفراط

* نشر في الجزيرة الثقافية الجمعة/السبت١٦-١٧ رمضان ١٤٤٤هـ/ ٠٧ ابريل ٢٠٢٣م. ع ١٨٢٩١.

نحاة العربية في العناية نظريًّا وعمليًّا بما لم يكن للمعنى كبير أثر فيه؛ لذا كثُر وقوفنا المحدثون على مقولات فضفاضة كقول لطيفة النجار عن دراستها لما نحن فيه "تقوم هذه الدراسة على افتراض، مؤداه أن المعنى كان من أهم الأصول التي اعتمدها النحاة في وصفهم وتحليلاتهم، فقد شكل ضابطًا رئيسًا ومعيارًا ثابتًا، وجّه النظر النحوي القديم، وأعان النحاة على تفسير كثير من الظواهر اللغوية المتنوعة".ص٢٧، فهذه المقولات وأمثالها تظهر عناية النحو العربي بما كان ينبغي أن يكون فكان؛ ولكنها لم تعن خير العناية بما كان ينبغي أن يكون أيضًا، فلم يكن، أو ما كان ينبغي ألا يكون فكان، ولعل النظر في ذلك هو الأجدر بالبحث والمناقشة؛ لأنه الأقدر على تقديم تصور دقيق لمنزلة المعنى في النحو العربي.

على أن تلمس الأسباب التي حملت المحدثين على العناية بمنزلة المعنى في النظرية النحوية العربية تجعلنا أكثر إنصافًا لجهودهم، فلطيفة النجار مثلًا لم تكتف في تسويغ بحثها في (المعنى في نظرية النحو العربي) بفرضيتها السابقة الذكر، بل أضافت أسبابًا أخرى لقيامها بما قامت به، وأهم هذه الأسباب الرد على بعض المحدثين المعنيين بمنزلة المعنى في هذه النظرية، فقد اتهمها بعضهم بالتقصير في العناية بالمعنى، أو بعنايتها أحيانًا بالضوابط والأصول العقلية الصناعية الذهنية على حساب المعنى، مما جعل النحو العربي في غير قليل من ممارساته نحوًا شكليًّا لفظيًّا، لا يعبر في نظر هؤلاء البعض عن العلاقات الدلالية الحقيقية أو الواقعية التي تربط بين عناصر التركيب الذي يحلله النحوي، وقد كانت مناقشة هذه الآراء والرد على أصحابها سببًا رئيسًا أيضًا من الأسباب التي حملت كريم الخالدي على إنجاز عمله الموسوم بـ(نظرية المعنى في الدراسات النحوية).ص٢٩ ومن ذلك تسويغ فاضل صالح السامرائي لكتابه (معاني النحو).

ويمكن أن يضاف أيضًا إلى ذلك سبب ثالث وهو سبب تمجيدي ..."تنهض هذه الدراسة لرصد أثر علاقات المعنى...في صياغة قواعد التركيب في التراث النحوي العربي لتظهر جانبًا عميقًا من جوانب نظر النحويين العرب القدامى في استنباط القواعد الناظمة للتراكيب العربية" ص٣٠، وقد يكون هذا السبب تمجيديًّا إسقاطيًّا هو الحرص على بيان فضل النظرية النحوية العربية موازنة ببعض المناهج اللسانية الحديثة التي عنيت بالمعنى، أو التي لم تعن به، فقد أثبتت هذه المناهج الحديثة كما يقول كريم الخالدي صحة ما تراءى له من عناية التفكير النحوي العربي بالمعنى، وسلامة مسراه في ذلك، وربما ظهرت فضيلة عناية منهج نحاتنا عند بعضهم إذا ما ووزن منهجهم هذا ببعض المناهج اللسانية الحديثة التي أسقطت المعنى؛ إذ اهتمت في دراسة المعنى في اللغة.ص٣٠-٣١ هذه أهم أسباب كثرة الدراسات.

ويختم أستاذنا كلامه بالسؤال: فما أهم ما توصل إليه المحدثون العرب في هذه البابة؟ وما مدى دقة أو أهمية ما توصلوا إليه في ذلك؟ وما المنزلة الحقيقية للمعنى في النظرية النحوية العربية؟ وهذا ما يجيب عنه الموضوع القادم من كتابه.

المعنى في النحو العربي عند المحدثين*

بدأ الحديث بأنَّ الدراسات الحديثة في المعنى تكاد تختزل في توجه من توجهين، أما ثالثهما فخافتٌ مع أنه أدنى إلى الصواب، ويرى أحد هذين التوجهين أن النحو العربي لم يعتن بالمعنى عناية شافية، وأما الآخر فيرى المعنى ضابطًا أساسيًّا من ضوابط التفكير النحوي، ويبحث كلاهما عما يؤيده في التراث النحوي، ويفهم هذا من قول كريم الخالدي في بحثه (نظرية المعنى في الدراسات النحوية)؛ فهو يذهب إلى أنه وجد عناية للنحويين بالمعنى، وهو ما أثبت الباحث [الخالدي] صحته بالأدلة والنصوص الموثقة، وهي نتائج يعتز بها؛ لأنها تدحض ادعاءات من ينكر وجود أثر للمعنى في الدراسات النحوية الأولى.

ويرى أستاذنا الدكتور محمد عبدو فلفل أن المنكرين ربطوا قصور اهتمام النحويين بالمعنى في تغليبهم نظرية العامل على المعنى؛ فإبراهيم مصطفى يؤكد هيمنة نظرية العامل على النحو وكأنها هي النحو كله، إذ توجه الإعراب وجهة لفظية قلما تحفل بالمعنى، فلم يروا في علاماته إشارة إلى المعنى ولا أثرًا في تصوير المفهوم أو إلقاء الظل على صورته، وشبيه هذا ذهاب خليل أحمد عمايرة إلى أن إسراف النحويين ببحث العامل وأثره أجاءهم إلى بحث مسوغ لكل حركة آخر إعرابية منصرفين عن المعنى، وكان عليهم أن يروا العلامة رمز تغيير في المعنى لا أثر عامل. ورأى مهدي المخزومي أن خلفاء الخليل والفراء لم يدركوا موضوع دراستهم ولا حدود تخصصهم، وأنه فاتهم كثير من الأصول التي هي من صلب موضوع الدراسة وأهملوا أهميتها وعمق صلتها به مقتصرين

---

* نشر في الجزيرة الثقافية الجمعة/السبت ٢٣-٢٤ رمضان ١٤٤٤هـ/ ١٤ أبريل ٢٠٢٣م. ع ١٨٢٩٧.

على فكرة العمل والعامل من حيث تأثير بعض الكلمات في بعض، وهو جانب ضئيل من جوانب الدرس النحوي الحق الذي استأثر به البلاغيون، وهم النحويون الحقيقيون الذين طوروا النحو فأنتجوا ما هو خليق بالإفادة. وكذا ذهب تمام حسان الذي وصف الدراسات اللغوية العربية بأنها اتسمت "بسمة الاتجاه إلى المبنى، ولم يكن قصدها إلى المعنى إلا تبعًا لذلك وعلى استحياء"، وكذلك أظهر فاضل السامرائي أن اهتمام النحو الأول هو حالة اللفظ إعرابًا وبناءً مع أمور أخرى مهمة كالذكر والحذف والتقديم والتأخير؛ ولكن ثمة موضوعات أهملها النحويون وهي لا تقل عن ما بحثوه أهمية إن لم تفقه، وهذه حقيقة لعجزنا عن فهم كثير من التعبيرات النحوية أو تفسيرها أو التمييز بين معانيها. بل لا نحسن فهم اللغة لتعلق دراساتنا بالعلاقات الظاهرة بين الكلمات، أما المعنى فبعيد تناوله وفهمه، بل لعلنا نجهل أكثر مما نعلم؛ ولذا نحن بحاجة ضرورية إلى فقه للنحو، مع أن دراسة النحو على أساس المعنى ضرورة فوق الضرورة تهب الموضوع نداوة وطراوة وتكسبه جدة وطرافة بخلاف ما هو عليه من جفاف وقسوة.

ويقفنا أستاذنا على جهود بعض الدارسين الذين أعجبوا أو اقتنعوا أو رضوا بعض الرضا بعناية النظرية النحوية العربية بالمعنى، فكتبوا ما يثبتون به ذلك وما يردون به على من فاتهم إدراك تلك العناية، ومن هذه الجهود (الشكل والدلالة؛ دراسة نحوية للفظ والمعنى) لعبدالسلام السيد حامد، و(نظرية المعنى في الدراسات النحوية) لكريم الخالدي، و(منزلة المعنى في نظرية النحو العربي) للطيفة النجار، و(الدلالة والتقعيد النحوي؛ دراسة في فكر سيبويه) لمحمد سالم صالح، و(وظيفة التفكير النحوي عند النحاة العرب) لمحمد محمود عيسى محاسنة، إلى بحوث ودراسات كثيرة أخرى.

وبيّن أن الجامع بين تلك الأعمال رغبتها في إظهار حرص النظرية النحوية العربية على عنايتها بالمعنى في كل مكوناتها من مصطلحات وحدود وضوابط وأحكام وتطبيقاتها العملية بتحليلها المدونة اللغوية تحليلًا عده أصحاب هذا الاتجاه حرصًا من النظرية النحوية على ربط تراكيب العربية بوظيفتها الدلالية وبأثر عناصر التركيب في ذلك.

ونبّه إلى أن شدّة حرص هؤلاء على بيان عناية النظرية النحوية بالمعنى قادهم إلى شيء من الانتقائية المعاندة للبحث العلمي، انتقائية تحجب الموضوعية وتحري حقيقة ما نواجهه لا ما نحب أن نواجهه. ولذا أُغفل أو سُكت عن جانب للنظرية فيه حيف على المعنى كما في عمل كريم الخالدي (نظرية المعنى في الدراسات النحوية). وفي الموضوعات القادمة جلاء لشيء من ذلك.

هل من انكسار نحوي للمعنى؟*

تحت هذا العنوان عنوانات فرعية تفصل الانكسار أي التغير.

بدأ الحديث بأن اللغة ليست دقيقة في تعبيرها عن الماديات أو المعنويات؛ لأنها تعبر عن تصورنا لتلك الأشياء، ونحوُ أيِّ لغة لا يصور اللغة بل هو جملة تَصوّرِ النحويين عن اللغة، وهو جهد إنساني، وكان الخليل رحمه الله تنبه إلى ذلك في جوابه عن مصدر علله، وهي أنها اجتهاد منه يمكن لغيره أن يأتي بغيرها.

من هذه العنوانات (علاقات نحوية شكلية) ويبين تحته أن عناصر التركيب اللغوي قد تكون على قدر المعنى حقيقية في دلالتها؛ ولكن جملًا أخرى لا يطابق ملفوظها معناه مطابقة دقيقة، فقد يكون الفاعل مفعولًا، وقد يكون المفعول فاعلًا من حيث المعنى لا اللفظ، وما يقرره الأستاذ وباحثون آخرون يؤيده ما سمع عن العرب من كلام مقلوب لا يحس مستعملُه القلبَ إلا بتأمل مثل (أدخلت العمامة في رأسي والخاتم في أصبعي) بل رووا ما عاند اللفظ كقولهم (خرق الثوبُ المسمارَ)، ولذا يقرر أن العلاقات في النحو قد تكون شكلية، وهو أمر حسب قوله "ليس غائبًا عن نحاة العربية ... لذا لن يكون عرضنا له ... كشفًا لما ليس معروفًا ولا إنكارًا لما ليس مقبولًا أو متفهمًا بل تدليلًا على أن بعض العلاقات المكونة للنظرية النحوية العربية علاقات شكلية لفظية، لا يَعتمد عليها مستعمل اللغة في فهم المعنى أو التعبير عنه... والغرض من مسعانا هذا هو تسمية الأشياء بمسمياتها في الوقوف على حقيقة منزلة المعنى في النظرية النحوية العربية". (ص٥٣-٥٤)

---

* نشر في الجزيرة الثقافية في الجمعة/السبت ٨-٩ شوال ١٤٤٤هـ/ ٢٨ أبريل ٢٠٢٣م. ع١٨٣٠٩.

ومن العنوانات (الفاعل في النحو مفعول به في الواقع) وفيه ينقل من نصوص النحويين ما يبين إقرارهم أن بعض ما يعرب فاعلًا هو في الحقيقة مفعول، مثال ذلك نص نقله عن ابن السراج حول الأفعال المستعارة "أفعال مستعارة وفيها بيان أن فاعليها في الحقيقة مفعولين، نحو مات زيد، وسقط الحائط، ومرض بكر" (ص٥٤). ويعقب أستاذنا بالإشارة إلى أن تعريفهم الفاعل بأنه الذي فعل الفعل أو اتصف به قول أكثري لا كلّي. ومن ذلك (المبتدأ في النحو مفعول به في الواقع) وينقل من نصوص النحويين ما يدل على ذلك كنص الجرجاني "وإنما جاز ذلك في المبتدأ لما ذكرت من أن معنى قولك (زيدٌ اضربْه) و(اضربْ زيدًا)واحد، فلما صحّ الفائدة جاز أن يكون الخبر أمرًا في اللفظ، وإذا (زيدٌ) في المعنى مفعولًا به"(ص٥٥-٥٦). ومن ذلك (المبتدأ في النحو فاعل في الواقع) ويسوق مثالًا لذلك قول ابن جني "وكذلك قولنا: زيد قام، ربما ظن بعضهم أن زيدًا هنا فاعل في الصنعة كما أنه فاعل في المعنى"(ص٥٨). ونقل نصًّا عن الخالدي انتهى بوصف تعليل النحويين لجعل زيد مبتدأ بأنه تعليل متكلف، ويزيد أستاذنا بأن ما زاد الطين بله إصرار النحويين على تجنب تسمية المسند إليه المتقدم فاعلًا لأسباب عاملية فرتبة العامل -حسب ابن يعيش- قبل المعمول، ويذكر ابن يعيش أن الفاعل أمر لفظي فهو فاعل في النفي والإيجاب والمستقبل والاستفهام فعل أم لم يفعل، ويختم أستاذنا بالقول "الحكم إذن على الاسم المسند إليه المتقدم على المسند في نحو (زيد قام) حكم لفظي شكلي محكوم بالاستجابة لأصول نظرية العامل، وليس بالاستجابة إلى المعنى"(ص٥٩). ومن ذلك (المجرور على الإضافة فاعل أو مفعول في الواقع) وأشار في هذا السياق إلى المضاف إضافة لفظية إلى معموله كما في قوله تعالى ﴿هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ [٩٥- المائدة]. ومثله إضافة المصدر إلى فاعله أو إلى مفعوله

(سرني إكرام زيدٍ عمرًا) فزيد مجرور لفظًا ولكنه فاعل معنى، و(سرني إكرام عمرٍو زيدٌ) فعمرو مجرور لفظًا مفعول به معنًى. ومن ذلك أيضًا (الخبر لما لا يصح أن يخبر عنه) ومثل لذلك بقولهم: خبر (كان) وخبر (إنَّ) مع أنهما ليسا اسمين يخبر عنهما، وهو أمر أدركه ابن يعيش وفسره قال"إنما هو تقريب وتيسير على المبتدئ، لأن الأفعال لا يخبر عنها". شرح المفصل، ٧/ ٩١.

وما ذكره أستاذنا من نماذج يمكن أن تضاف إليها ظواهر أخرى مثل النعت المقطوع ونعت السببي. وما نزع إليه من اعتماد على المعنى في التحليل وجدنا مثله عند عبدالقادر المهيري في معالجته قضية الجملة الاسمية في كتابه (نظرات في التراث اللغوي العربي) ص٤٣ وما بعدها.

ختم هذا الموضوع بقوله "لعله اتضح من هذه النماذج أن بعض العلاقات النحوية الناظمة لعناصر الجملة ...شكلية لفظية، لا تعكس حقيقة ما يربط به هذه العناصر من علاقات معنوية دلالية في الحقيقة مما يسهم في تحديد المنزلة الحقيقية في النظرية النحوية" (ص٦٣). ويضيف إلى ذلك ما يسعد منزلة المعنى ما سيبينه من مكونات أساسية أخرى سيأتي ذكرها. وكلامه كله بيان جلي لما يمكن أن تُجيء إليه الصنعة النحوية من حجب للمعنى الحقيقي للغة.

نظرية العامل ليست لخدمة المعنى دائمًا*

بيّن أهمية نظرية العامل في النحو العربي واشتغال المعنيين بها قبولًا أو رفضًا، ولاحظ أن غير واحد من أنصارها المتمسكين بها مثل كريم الخالدي يقرون بما في بعض أصولها من افتعال وتكلف يدعو لإعادة النظر في بعض مكوناتها. ويقفنا على صنيع النحويين، فهم، مع إقرارهم بشذوذ ظاهرة ما، جعلوا لنظرية العامل حتمية مزعومة وشمولًا مفتعلًا يعاند طبيعة العلوم الإنسانية التي ليست بحتمية ولا شاملة؛ إذ أصروا على إخضاع كل مكونات المدونة اللغوية العربية لمقتضى نظرية العامل، وإن أدى هذا إلى تشويه معنى التركيب أو إفساده، ويضرب مثلًا بقول الفارسيّ في العامل في المنادى"ثبت أن العامل فيه الفعل إلا أن ذلك الفعل مختزل غير مستعمل الإظهار؛ لأنك لو أظهرته لكان على الخبر ومحتملًا للصدق والكذب ولو كان كذلك لبطل هذا القسم من الكلام وهو أحد المعاني التي تجري عليها العبارات"(١)، وعلق على هذا بأنه تحليل معاند للمعنى بل هو صناعة نحوية عاملية.

ومثل ذلك تحليل ابن جني تركيب (اختصم زيدٌ وعمرٌو)، فهو يرى أن التركيب كأنه في الأصل (اختصم زيدٌ واختصم عمرٌو)؛ لأن العامل في المعطوف غير العامل في المعطوف عليه، ولكن إظهار الفعل المقدر مفسد للكلام؛ لأن فعل الاختصام لا يكون من أقل من اثنين، قال ابن جني"وعلة جوازه أنه لما لم يظهر الفعل الثاني المقدر لم يجب

---

* نشر في الجزيرة الثقافية، الجمعة/السبت ١٥/١٦ شوال ١٤٤٤هـ/ ٠٥ مايو ٢٠٢٣م. ع ١٨٣١٥.

(١) المسائل العسكرية للفارسي، ص١١.

تقديره وإعماله، كأشياء تكون في التقدير فتحسن، فإذا أنت أبرزتها إلى اللفظ قبحت"(١).

اكتفى أستاذنا بالمثالين السابقين ولكن يمكن أن نعد من ذلك قول ابن مالك "نحو:﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ﴾ و﴿اِذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ﴾ فزوجك وربك مرفوعان بـ(ليسكن وليذهب) مضمرين مدلول عليهما بـ(اسكن واذهب). والمحوج إلى هذا التقدير أن فعل الأمر لا يرفع إلا ضمير المأمور المخاطب"(٢). وابن مالك هنا يصرح بمقتضى الصناعة النحوية.

ومن إرادة الشمول مذهب كثير من النحويين في إعراب صيغة التعجب (أفعل به)، قال ابن جني"نَحْو قَوْلك: أحسنْ بزيد أَي مَا أحسنَ زيدًا وأجملْ بِجَعْفَر أَي مَا أجملَ جعفرًا؛ فالباء وَمَا عملت فِيهِ فِي مَوضِع رفع وَمَعْنَاهُ أحسنَ زيدٌ أَي صَار ذَا حسن وأجملَ أَي صَار ذَا جمال، كَقَوْلِك أَجْرَبَ الرجلُ أَي صَار ذَا إبل جربى، وأنجز أَي صَار ذَا مَال فِيهِ النجاز؛ فلفظه لفظ الْأَمر وَمَعْنَاهُ الْخَبَر"(٣). ومن النحويين من توقف في هذا التحليل، قال الزمخشري "وأما أكرمْ بزيدٍ، فقيل أصله أكرمَ زيدٌ أي صار ذا كرم، كأغدَّ البعيرُ أي صار ذا غدة، إلا أنه أُخرج على لفظ الأمر ما معناه الخبر، كما أخرج على لفظ الخبر ما معناه الدعاء في قولهم (رحمه الله) والباء مثلها في كفى بالله. وفي هذا ضرب من التعسف. وعندي أن أسهل منه مأخذًا أن يقال إنه أمر لكل أحدٍ بأن يجعل زيدًا كريمًا،

(١) الخصائص لابن جني، ٢/ ٤٢٦.
(٢) شرح التسهيل لابن مالك، ٣/ ٣٧١.
(٣) اللمع في العربية لابن جني، ص: ١٣٧.

أي بأن يصفه بالكرم. والباء مزيدة مثلها في قوله تعالى ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾[البقرة] للتأكيد والاختصاص، أو بأن يصيّره ذا كرم والباء للتعدية. هذا أصله ثم جرى مجرى المثل فلم يغير عن لفظ الواحد في قولك: يا رجلانِ أكرمْ بزيد، ويا رجالُ أكرمْ بزيد"(١).

وانتهى أستاذنا إلى أنه اتضح أن حصانة نظرية العامل أكرهت النحويين على تحليل بعض التراكيب تحليلات مخلة بالمعنى، وهو أمر حمل بعض المحدثين إلى الدعوة إلى تجنب التأويلات أو الأعاريب التي تفسد معاني هذه التراكيب.

(١) المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري، ص: ٣٦٧.

التأويل النحوي ليس في خدمة المعنى دائمًا*

والتأويل أن يعمد النحوي إلى النص الظاهر فيعيد صياغته بما يجلّي معناه؛ ولكنه قد يفعل ذلك لرعاية قاعدة نحوية مقررة خالفها النص، وينقل قولًا للزركشي في ذلك وهو "قد توجب صناعة النحو التقدير، وإن كان المعنى غير متوقف عليه، كما في قوله (لا إله إلا الله) فإن الخبر محذوف ... لاستحالة مبتدأ بلا خبر ظاهرًا أو مقدرًا، وإنما يقدر النحوي ليعطي القواعد حقها، وإن كان المعنى مفهومًا"(ص٦٧)[١]، وينقل من أقوال المحدثين ما يبين أن النحويين يحاولون رد النصوص إلى ما يطرد والقاعدة، فعملهم كما قال علي أبو المكارم لا ينال تصحيح القاعدة وفاق الواقع اللغوي بل ينال الواقع نفسه "إذ هو وحده الذي يدخله التأويل ليتسق مع القاعدة ليتلاءم مع مقرراتها"(ص٦٩)[٢].

ولا يفوت أستاذنا الاحتراز الذكي مبينًا "أن طبيعة استعمال اللغة تحوج أحيانًا إلى تأويل النص بالإشارة إلى ما فيه من حذف، أو تقديم وتأخير أو غير ذلك مما تسمح به طبيعة اللغة في ضوء قرائن السياق" (ص٦٩)، وقوله حق في لغة بلاغتها الإيجاز، ولها من الأغراض ما يقتضي التقديم أو التأخير، ولكن الذي ينقم من النحويين هو إيغالهم في تأويل متكلف قد يسيء إلى معنى النص، وينقل عن مازن المبارك أنه ليس

* نشر في الجزيرة الثقافية في الجمعة/السبت ٢١-٢٢ ربيع الأول ١٤٤٥هـ/ ٠٦ أكتوبر ٢٠٢٣م، ع١٨٤٤٧.

(١) النص في البرهان في علوم القرآن للزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه/ القاهرة، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م، ١١٥/٣.

(٢) نص أبو المكارم من كتابه الحذف والتقدير في النحو العربي، ط١، دار غريب/ القاهرة، ٢٠٠٧، ص٣٤٠.

عليهم تأويل ما خالف القواعد[١]، ونفهم من كلام مبارك أن علينا قبول النصوص في إطار اللغة الواسعة التي هي أوسع من قواعدها.

وينبه إلى أن من أغراض التأويل عند النحويين تأويل النص بما يبطل حجة الخصم، وهو دخول الاحتمال الذي يبطل الاستدلال، ونقل عن كريم الخالدي "لجأ نحاة كل مدرسة إلى تأويل النصوص التي يحتج بها نحاة المدرسة الأخرى وصرفها إلى ما يجعلها ملائمة لأصولهم بما يدحض استشهاد الطرف الآخر بها"(ص٧١-٧٢)[٢]، ويثير هذا كما يرى سؤالين أحدهما لم حرصوا على التأويل مع إمكانهم الاكتفاء بإقرار شذوذه أو تعليله، والآخر ما جدوى ذلك التأويل لنص لا يقاس عليه. ولم يجب أستاذنا عن ذلك ولكن الجواب في رأيي هو شغفهم باطراد النصوص في كيفية ما.

وما يهم الأستاذ هو بيان أن التأويل في الأساس لرد النصوص لتوافق القواعد المقررة، ويورد مثالًا لذلك: تعليق الظرف (يوم) في قوله تعالى ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ* يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [٨، ٩- الطارق]، والتقدير الذي ذكره هو أحد أوجه ذكرها العكبري قال "فِي قَوْلِهِ تعالى ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ أَوْجُهٌ: أَحَدُهَا: هُوَ مَعْمُولُ «قَادِرٌ» . وَالثَّانِي: عَلَى التَّبْيِينِ؛ أَيْ يَرْجِعُ يَوْمَ تُبْلَى. وَالثَّالِثُ: تَقْدِيرُهُ: اذْكُرْ. وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَعْمَلَ فِيهِ «رَجْعِهِ» لِلْفَصْلِ بَيْنَهُمَا بِالْخَبَرِ"[٣].

---

(١) النحو العربي: العلة النحوية نشأتها وتطورها لمازن المبارك، ط١، المكتبة الحديثة/ دمشق، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م، ص٩١.

(٢) النص في نظرية المعنى في الدراسات النحوية لكريم الخالدي، ط١، دار صفاء للنشر والتوزيع/ عمان، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ص ١١٦- ١١٧.

(٣) التبيان في إعراب القرآن للعكبري، ٢/ ١٢٨١.

ومن أشهر مواطن التقدير تقدير البصريين فعلًا رافعًا للفاعل المتقدم في جملة الشرط كقوله تعالى ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾ [٦- التوبة]، وقوله ﴿إِذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ﴾[١- الانشقاق]. وبابا الاشتغال والتنازع من أبواب النحو مبنيّان على التقدير. فزيدًا في (زيدًا أكرمتُه) منصوب بفعل مقدر، كأنه (أكرمت زيدًا أكرمته)، و(أكرمتُ وأكرَمني زيدٌ) كأنه (أكرمتُ زيدًا وأكرَمني زيدٌ). ومن ذلك الفصل بين المتضايفين كقول العرب (قطع الله الغداةَ يدَ ورجْلَ من قالها)، قال ابن مالك "وتقدير الأول: قطع الله يد مَن قالها ورجْل من قالها"[١].

ويختم الأستاذ مقالته بقوله "على هذا النحو سعى كثير من تأويلات النحاة إلى تكييف النص مع القاعدة، ورده إليها، وذلك بغرض صيانة حصانة ما توصلوا إليه أو تصورته أذهانهم من القواعد والأحكام والضوابط، وليس بغرض تحديد المعنى وتوضيحه"(ص٧٤). وكان الواجب في نظري أن يستفيد النحويون من تلك النصوص المعاندة للقواعد لمراجعة القواعد نفسها؛ فلا ضير أن يكون لقاعدة تأخير الفاعل عن الفعل استثناء في مثل جملة الشرط التي تدل أداته على فعلية الجملة وإن تقدم الفاعل، وكان قول الكوفيين في هذا أسدّ عندي من قول البصريين، وأي بأس بإعراب (زيدًا) في (زيدًا أكرمته) مفعولًا به للفعل والضمير إن استتر أو برز ليس سوى دليل على المفعول به، إذ لفظه لا معنى فيه للمفعولية.

(١) شرح التسهيل لابن مالك، ٣/ ٢٤٩.

الإعراب فرع تصحيح النصوص أيضًا*

يقصد بالإعراب بيان وظيفة الكلمة في الجملة، والمشهور أن الإعراب فرع على المعنى؛ ولكن أستاذنا يرى أن ذلك ليس على إطلاقه، لأن الإعراب ليس دائمًا في خدمة المعنى فالعلاقات النحوية في النظرية النحوية على قدر من الشكلية اللفظية، كما أن نظرية العامل ليست دائمًا في خدمة المعنى، والإعراب محكوم بها، والتأويل وهو ميدان الإعراب كثيرًا ما يكون لرد النصوص المخالفة للقواعد لا لبيان معانيها؛ ولذلك ما قد يقال عن منزلة المعنى في التحليل الإعرابي هو من تحصيل الحاصل، وهو ما نجده عند نحويين مثل ابن جني وابن هشام. ومع ذلك يتحدث عن هذه المنزلة؛ لأن العلاقة بين الإعراب والمعنى غامضة؛ ولأنه أراد استكمال الحديث عن المعنى في المكونات الأساسية للنظرية النحوية والإعراب إحداها؛ ولأنه على الرغم من أن الراجح في الإعراب هو ردّ النصوص المخالفة للقاعدة نجد من يصر على أن الإعراب فرع على المعنى، مع أنها "ليست صحيحة مطلقة" ص٧٧، ومع ذلك كما يقول يرددها بعض المحدثين فمنهم من يرى تعدد أوجه الإعراب مرده إلى المعنى ومنهم من قال إن قضايا النحو تعين على فهم المعنى. وهو يرجح ما يرجح وذلك "أن الإعراب قد يهدي إلى المعنى، وليس العكس" ص٧٩، ويشير إلى من يذهب إلى أن بين الإعراب والمعنى علاقة جدلية، فقد يقال إن الإعراب يسبق المعنى لأنه الدال عليه، وأن المعنى يسبق الإعراب لأنه لا إعراب دون فهم المعنى.

---

* نشر في الجزيرة الثقافية الجمعة/السبت ٢٨-٢٩ ربيع الأول ١٤٤٥هـ/ ١٣ أكتوبر ٢٠٢٣م- ع١٨٤٥٣.

ويقفنا عند قول خليل أحمد عمايرة حول تداخل مفهومين: الإعراب فرع المعنى، والمعنى فرع الإعراب، ويبين أن النحويين رغم قولهم الإعراب فرع المعنى انصرفوا إلى الإعراب، وصار النحوي يوجه الكلمات حسب علامات الإعراب مستحضرًا الأبواب التي تشترك في العلامة ليوجه المعنى انطلاقًا من هذا، وهكذا صار الإعراب وهو فرع المعنى هو الأصل الذي يتفرع عليه المعنى. وينبه العمايرة إلى أن كتب إعراب القرآن تتعدد فيها أوجه إعراب الكلمة الواحدة، والأمر "لا يقتضي هذا ولا ذاك لو لم تعكس المقولة الإعراب فرع المعنى لتصبح الإعراب أصل المعنى" (ص٨١). ونص عمايرة في "المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي، ص٢٢١). وفي نظري أن من أكثر المحدثين اطراحًا لفرعية الإعراب على المعنى تمام حسان الذي سبك بيتًا لا معنى لألفاظه وأعربه، قال في (اللغة العربية معناها ومبناها، ص: ١٨٣):

قَاصَ التَّجِينُ شِحَالَه بِتَريسِهِ الـ ... فاخِي فَلَمْ يَسْتِفْ بِطَاسيةِ الْبَرَن

وقال تمام في (ص: ١٨٤) "ولو كان الإعراب فرع المعنى الدلالي ما استطعنا كذلك أن نعرب قول المجنون بن جندب:

محكوكة العينين مَعطـــاء القفا ... كأنما قدت على متن الصفا

تمشي على متن شراك أعجفا ... كأنمـــا ينشر فيه مصحفــا"

ويختم أستاذنا قوله (ص٨١) بأمرين "أولهما أن اختلاف مواقف المعنيين منها يشي بأن العلاقة بين المعنى والإعراب خاصة، وبينه وبين النحو عامة ليست على درجة كافية من الوضوح، والثاني أنها مقولة ليست صحيحة على إطلاقها؛ لأن الإعراب هو الذي يوضح المعنى أحيانًا لا العكس، ولأن الإعراب يهدف أحيانًا ... إلى ردّ النصوص

المخالفة لأصول النحاة وقواعدهم إلى هذه الأصول والقواعد، مما يسمح بالقول: إن الإعراب أحيانًا فرع تأويل النص ورده إلى حمى القاعدة فقط، وهذا ما يفهم مما قاله في هذه البابة كل من ابن جني وابن هشام الأنصاري".

ويمكن القول إن الأصل أن يكون الإعراب فرعًا على المعنى؛ لأن الإعراب حكم والحكم على الشيء كما يقول الأصوليون فرع على تصوره. ولذلك قد يكون المعنى هو الفيصل في الإعراب كما قال ابن يعيش:

«بَنُونَا بَنُو أبْنائنا وبَناتُنا ... بَنُوهنّ أبْناءُ الرِّجال الأباعِدِ

ألا ترى أنه لا يحسُن أن يكون "بنونا" هو المبتدأ، لأنه يلزَم منه أن لا يكون له بنون إلا بَنِي أبنائه، وليس المعنى على ذلك، فجاز تقديمُ الخبر هنا مع كونه معرفة لظهورِ المعنى وأمْنِ اللَّبْس»[١].

والقول بتعدد أعاريب اللفظ قد يهبه موقعه في التركيب الذي يجعله محتملًا غير إعراب، ولكن كل إعراب إنما سببه المعنى الذي يلائمه. قال تعالى ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾ [٨- نوح]، فهم سيبويه أن نوحًا دعا قومه مجاهرًا بدعوته، ولذا أعرب (جهارًا) حالًا وإن كان لفظه لفظ المصدر فهو مؤول به، وأما الكوفيون ففهموا أنَّ هذا من بيان نوع الفعل، فالمصدر هنا مفعول مطلق، والأخفش والمبرد فهما ما فهمه سيبويه ولكنهما اختلفا عنه في التقدير، فسيبويه عد الحال مفردة، وأما هما فعدّاها جملة بتقديرهما فعلًا

(١) شرح المفصل لابن يعيش، ١/ ٢٤٨.

ناصبًا للمصدر والجملة من الفعل والمفعول هي الحال[١]. ولكنا مع ذلك لا نخالف أستاذنا وغيره في أن الإعراب قد لا يكون فرعًا على المعنى، كما في أمثلة الاشتغال والتنازع ونحوهما.

(١) انظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان الأندلسي، ٣/ ١٥٧٠.

الإعراب والمعنى عند ابن جني*

عالج أستاذنا موقف ابن جني لأهمية ذلك في بيان علاقة الإعراب بالمعنى؛ ولأن من المعنيين من لم يوفق في بيان موقفه من ذلك. ويبدأ بأمثلة عالجها ابن جني في باب (في الفرق بين تقدير الإعراب وتفسير المعنى)، ونجتزئ بمثال هو (زيد قام) قال"ربما ظن بعضهم أن زيدًا هنا فاعل كما أنه فاعل في المعنى" (ص٨٢)[١]. ويوضح مراد ابن جني وهو أن إعراب النص وفاق معناه قد يخل بالصناعة النحوية، ولذا يوجه بإعرابه إعرابًا يحافظ على أصول الصناعة، ويخدم المعنى؛ ذلك أن المقدم (زيد) فاعل في المعنى؛ لكن لا يجوز إعرابه فاعلًا لأن الفاعل لا يقدم على فعله.

ويشير إلى شدة اهتمام ابن جني بالصنعة حتى دعا إلى رعايتها وإن تعاند الإعراب والمعنى، قال ابن جني "وإن كان تقدير الإعراب مخالفًا لتفسير المعنى تقبلت تفسير المعنى على ما هو عليه وصححت طريق تقدير الإعراب"(ص٨٣-٨٤)[٢].

ويبين الأستاذ أن ابن جني قد يتكلف في التقدير والتأويل بل قد يخل بمعنى التركيب المعرب، ومثال ذلك معالجته (ضربته سوطًا)، ونحن نعلم أن (سوطًا) مفعول مطلق، ولكن آلة الفعل نابت عن المصدر، ويرى ابن جني أن معناه (ضربته ضربةً بسوط)، ولكن يعربه على أنه (ضربةَ سوط) ثم حذف المضاف وانتصب المضاف إليه، وهذا عنده أسلم من الإعراب على حذف حرف الجر "فتحتاج إلى اعتذار من حذف حرف

---

* نشر في الجزيرة الثقافية في الجمعة/السبت ٥-٦ ربيع الآخر ١٤٤٥هـ/ ٢٠ أكتوبر ٢٠٢٣م. ع ١٨٤٥٩.

(١) النص في الخصائص لابن جني، ١/ ٢٧٩.

(٢)النص في الخصائص لابن جني، ١/ ٣٨٤.

الجر، وقد غنيت عن ذلك كله بقولك إنه على حذف المضاف، أي ضربةَ سوط، ومعناه ضربةً بسوط" (ص٨٤-٨٥)[١]، ويرى الأستاذ أن ابن جني تكلف في تقديره إضافة (ضربة) إلى (سوط) وأن هذا قد يفهم منه التشبيه (ضربته ضربة سوط) أي ضربة كضربة سوط، والحق أنا بتأملنا التركيب نراه يدل على عدد الفعل أي عدد مرات الضرب وإن كانت آلته السوط، أي عدد مرات الضرب بالسوط.

وأحسب ابن جني أراد ذلك وإن لم يصرح به؛ وذلك أنه في تقديره المعنى قال (ضربته ضربةً بسوط) فاستعمل (ضربة) الدالة على المرة، ولو لم يردها لقدر (ضربًا) أي (ضربته ضربًا بسوط). ومع ذلك يرى أستاذنا أن ابن جني "تحاشى حمل هذا التركيب على وجه يخلص للمعنى؛ ولكنه يوقعه في محظور صناعي عنده يتمثل بالنصب بنزع الخافض مما جعله يوجه هذا التركيب توجيها مفتعلًا ويتجنى على المعنى مما يشي أيضًا بأن الإعراب عنده لا يكون دائمًا في خدمة المعنى"(ص٨٥-٨٦).

وبين أن الإعراب والمعنى عند ابن جني قد يتجاذبان، وهذا ما أوضحه في (باب في تجاذب المعاني والإعراب) وفيه يشير إلى ما سبق ذكره عن المعنى والإعراب، وهو أن تقبل المعنى كما هو ولكن تصحح الإعراب، ويعلق أستاذنا بقوله "والحل عند ابن جني -كما يفهم من كلامه هذا- أن تفهم المعنى كما يجب أن يفهم، أي كما هو، وأن تتكلف أو تفتعل إعرابًا لا يوضح غامضًا في المعنى، ولكنه يحافظ للقاعدة على اطرادها أو شمولها المزعومين، أو حصانتها المزعومة"(ص٨٦). ويورد مثالًا عالجه ابن جني وهو قول الشاعر:

---

(١) النص في الخصائص لابن جني، ١/ ٢٨٤.

فخير نحن عند الناس منكم ...إذا الداعي المثوّب قال يا لا

فابن جني لا يعرب (نحن) مبتدأ تجنبًا للفصل بين (خير) اسم التفضيل ومتعلقه (منكم)، ولذلك يعده توكيدًا للضمير المستتر في الخبر (خير)، وأما المبتدأ فهو محذوف، والتقدير (فنحن خير نحن عند الناس منكم)، ولا جدال أن في هذا القول تكلّفًا كما قرر الأستاذ، وأمثال هذا البيت كثير كما قال؛ ولذلك رأى أن ذلك جدير بأن يدعو ابن جني إلى إعادة النظر في القواعد، وهو الأولى في نظري إن أمكن، فإن تعذر فالصواب قبول النصوص بعلاتها من غير تعسف إعرابها، ففي البيت يمكن القول إن المبتدأ جاء فاصلًا بين اسم التفضيل ومتعلقه، وأن هذا لا ضير فيه لأنه على نية التقديم.

ويقفنا (ص٩٠-٩١) على موقف بعض الدارسين، فمنهم من يقول إن الإعراب يخدم المعنى ومنهم من زعم أن عمل ابن جني لا يترك فجوة بين النحو والتفسير، وأنه اختار من الأوجه الإعرابية ما يرقى بالمعنى ويرفعه، وانتهى الأستاذ إلى استحسان قول محمد طاهر الحمصي أن ابن جني استحسن مراعاة المعنى عند الإعراب ولكنه لم يشترط مطابقة الإعراب المعنى، وقد أخذ الحمصي على ابن جني وغيره تعلقهم بالصنعة تعلقًا يتطفل على المعنى ويفسده أحيانًا ويُذهب بهاء البلاغة ورونق التأليف.

الإعراب والمعنى عند ابن هشام*

عالج أستاذنا موقف ابن هشام كما تبين في كتابه (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب)؛ إذ عدّ ابنُ هشام أول ما يعترض على المعرب أنه يراعي مقتضى الصناعة لا المعنى، وذكر الأستاذ أن ابن هشام بعد أن أكد نظريًّا وعمليًّا ضرورة فهم المعرِب معنى ما يعربه قبل الإعراب ذكر أمثلة لمراعاة بعض النحاة ظاهرَ اللفظ لا موجبَ المعنى، وفي هذا مراعاة للصناعة النحوية دون المعنى، وهذا ما حمل ابن هشام على الدعوة لمراعاة المعنى عند الإعراب.

وبيّن الأستاذ أنه لا تكفي مراعاة المعنى عند ابن هشام لصحة الإعراب بل لا بد من مراعاة ضوابط الصنعة النحوية، وإن أدى ذلك إلى افتعال أو تكلف في التأويل والتقدير، ويظهر ذلك في الكلام على الاعتراض الثاني على المعرب وهو مراعاته لمعنى صحيح مهملًا صحة الصناعة، ومثاله إعراب قوله تعالى ﴿وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى﴾ [٥١-النجم]، وظاهر اللفظ قد يدعو إلى إعراب (ثمودَ) مفعولًا به للفعل (أبقى) ولكن ابن هشام يمنعه؛ لأن (ما) النافية لها الصدارة ولا يتقدم ما في حيزها عليها، والإعراب الصحيح أن تكون (ثمودَ) معطوفة على (عادًا)، قال تعالى ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى(٥٠) وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى(٥١)﴾[النجم]، أو منصوبة بفعل مقدر (وأهلكَ ثمودَ)، ويعلق أستاذنا "وهكذا يسترسل ابن هشام في ذكر نماذج مما صح فيه الإعراب معنى، ولكنَّ فيه إخلالًا بأصل من أصول النحو، فيدعو ابن هشام إلى التحول عن الإعراب الوافي بالمعنى، والذي لا تكلف فيه ولا افتعال إلى إعراب يفي بالمعنى أيضًا، ولكن فيه

* نشر في الجزيرة الثقافية في الجمعة/السبت ٢٦-٢٧ربيع الآخر ١٤٤٥هـ. ١٠ نوفمبر ٢٠٢٣م. ع١٨٤٧٧.

ما فيه من افتعال وتكلف في التقدير والتأويل لتكييف النص مع متطلبات أصول النحاة، مما يشي بما قلناه من قبل من أنّ الإعراب عند النحاة لم يكن فرعًا للمعنى فقط، بل فرعًا لتكييف النص مع قواعدهم" (ص٩٤).

ولعلي أتوقف في قول أستاذنا؛ إذ ما ذهب إليه ابن هشام هو تجنب الإعراب وفاقًا لظاهر اللفظ، وهذا القول منسجم مع دعوته إلى فهم المعنى أولًا ومراعاة مقتضى الصناعة، ففي المثال المذكور آنفًا لا يصلح عد (ثمود) مفعولًا به لـ(أبقى)؛ لأن ذلك يعاند المعنى؛ فالإبادة شاملة لعاد وثمود، ولو جعل (ثمود) مفعولًا لـ(أبقى) صارت الإبادة لثمود وحدها، وهذا ليس المراد، وفي الأمثلة الأخرى نرى ابن هشام يدعو للإعراب المحقق للمعنى الصحيح.

ويقفنا على قول ابن هشام "يجوز فِي الِاسْم المفتتح بِهِ من نَحْو قَوْله هَذَا أكرمته الِابْتِدَاء والمفعولية"[1]، وينقل نصوصًا أخرى مشابهة، ليعلق بعد ذلك بقوله "على هذه الشاكلة يمضي ابن هشام في ذكر مختلف أوجه التحليل الإعرابي بلا أية إشارة إلى ما يترتب على الاختلاف في التوجيهات النحوية من اختلاف في المعنى، مما يعني أن الاختلاف في التحليلات الإعرابية لا يعني بالضرورة اختلافًا أو تعددًا في معنى التركيب المحلل بقدر ما يعني استثمارًا من النحاة لما يرونه من أحكام وضوابط صناعية". ومثل هذا القول متوقف فيه؛ لأن قول ابن هشام جاء في سياق ما يدخل على المعرب، وهي مسائل للتمرين، وليس التركيب في نص قد تتعين فيه دلالة تقتضي إعرابًا محددًا، قال

---

(١) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام، عبداللطيف محمد الخطيب، ط١، المجلس الوطني للثقافة والفنون/ الكويت، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م، ٦/ ١١٤.

"الْجِهَة الْخَامِسَة أَن يتْرك بعض مَا يحْتَملهُ اللَّفْظ من الْأَوْجه الظَّاهِرَة ولنورد مسَائِل من ذَلِك ليتمرن بهَا الطَّالِب مرتبَة على الْأَبْوَاب"[١]. ولذلك تعمد ترك الإشارة إلى الدلالة لبيان كون التركيب محتملًا لهذا التعدد. وكنت تمنيت لو أن أستاذنا عالج المثال بما يراه صوابًا، أي كيف سيعرب جملة (عيسى أكرمتُه).

وينقلنا بالاستطراد إلى قول لخليل عمايرة عن تعدد أعاريب اللفظ الواحد في كتب إعراب القرآن الذي يؤدي إلى تعدد الدلالة، وهو عكس لمقولة الإعراب فرع على المعنى، ويرى أن هذا بسبب نظرية العامل.

ويرى أستاذنا أن قول العمايرة هو احتجاج له ما يسوغه عند صاحبه الذي ضاق ذرعًا بتحكم نظرية العامل بالتحليل النحوي الإعرابي، وإن كان ذلك على حساب وضوح المعنى.

(١) مغني اللبيب لابن هشام، ٦/١١٣.

الإعراب والمعنى عند بعض المحدثين*

لما انتهى الحديث عن الإعراب وابن هشام أورد جملة من أقوال بعض المحدثين جعلتها بهذا العنوان.

أورد الأستاذ قول خليل أحمد عمايرة في كتابه (المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي) عن تعدد أعاريب اللفظ الواحد في كتب إعراب القرآن، وهو تعدد يؤدي إلى تعدد الدلالة، وهو عكس لمقولة (الإعراب فرع على المعنى)، ويرى العمايرة أن هذا بسبب نظرية العامل.

ووصف أستاذنا قول العمايرة بأنه احتجاج له ما يسوغه عند صاحبه الذي ضاق ذرعًا بتحكم نظرية العامل بالتحليل النحوي الإعرابي، وإن كان ذلك على حساب وضوح المعنى، ثمّ بين أن هذا الاتجاه له ما يناظره عند آخرين من المحدثين.

بدأ بقول محمد الأنطاكي الذي لا يرى وجوب إخضاع كل نصوص العربية لمقولات النحويين، لأن اللغة في نموها وتطورها تنتج من أنماط التعبير ما يخالف المألوف من تعابير اللغة، من ذلك نمط التعجب في مثل (ما أجملَ الربيعَ)، فهذه الجملة "لا يمكن أن نميز فيها فاعلًا من مفعول، ولا مبتدأ من خبر، ولا شيئًا من الأبواب النحوية... وقل مثل هذا في أساليب النداء والمدح والذم وغيرها. وأمثال هذه الأساليب الشاذة في بنائها الغريبة في تصميمها موجودة في كل اللغات، وهي أساليب تندُّ دائمًا عن كلّ تحليل أو إعراب، وقد حلَّ نحاة اللغات الأخرى مشكلتها بالقول: إنها أساليب خاصة،

---

* نشرت في الجزيرة الثقافية الجمعة/السبت١٧-١٨جمادى الأولى ١٤٤٥هـ/ ٠١ ديسمبر ٢٠٢٣م. ع ١٨٤٩٥.

تحفظ، وتحتذى، ولا تحلل. ولو قد فعل نحاتنا فعل غيرهم لأراحوا واستراحوا" (ص٩٧)[١].

وذكر مأخذ فاضل صالح السامرائي على النحويين أنهم حرصوا على إعراب كل ما سمعوه وإن أدّى ذلك إلى تكلف يفسد المعنى ويخل بالذوق، ويرى "أنه لا داعي لإعراب كل تعبير، فهناك تعبيرات لا داعي لإعرابها، بل يكتفى بوصفها" (ص٩٨)[٢].

وإلى ملحوظات بعض المحدثين الصادقة يرى أن الإعراب غير كاف في تحليل الجملة ولا يبين غرضها تبيينًا شافيًا، وهو بحاجة إلى ما يسعده في بيان مقاصد المتكلمين، وهذا من اهتمام المعالجة التداولية للغة، "فعبارة (لا فضَّ فوك) مثلًا لا يجدي في فهم قصد المتكلم منها أن يقال: إن (لا) نافية مهملة، وإن (فُضَّ) ماض مبني للمجهول، وإنّ (فوك) نائب فاعل، بل لا بد من التنبيه على أن العبارة دعائية، يدعو فيها المتكلم للمتلقي بأن يبقى فمه عامرًا بكل ما يساعده على التفوه بما استحسنه ويستحسنه المتكلم من كلام المتلقي"(ص ١٠٠)، وعرض لمثال آخر هو (الجوّ حارّ جدًّا) مبينًا المقاصد المختلفة التي تحتملها الجملة، وأن الإعراب وحده لا يبينها، والنحويون لا يزعمون أن إعراب أي جملة يفصح عن مقصد المتكلم؛ لأن هذا ليس غرض الإعراب، أما التنبيه إلى أن الجملة دعائية أو غير دعائية أو بيان مقصد فمرده إلى السياق الذي ترد فيه، وقد قرر ذلك أستاذنا تقريرًا لا مزيد عليه، قال "ولا شك أن هذه المعاني ليس

(١) نص الأنطاكي في: المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، ٣/ ٢٩٧.

(٢) انظر: معاني النحو لفاضل صالح السامرائي، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع/الأردن، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ٤/ ٢٧٩.

بمقدور التحليل الإعرابي وحده الكشف عنها، ولا بد من الاستعانة في ذلك بمعارف نحوية أو بلاغية أخرى معنية بالكشف ليس عن المعنى فقط، بل بالكشف عن معنى المعنى، أو المعاني الثواني والثوالث، وهو ما عُنِيَتْ به من قبل جهود أئمة البلاغة العربية والمفسرين ... كما تُعْنى به في العصر الحديث ما يعرف بالتداولية"(ص ١٠١).

وأودّ الإشارة إلى المحاولة الجريئة التي تجعل الإعراب فرعًا على المعنى بتجاوز المسلمات النحوية، وهي محاولة أستاذنا عبدالقادر المهيري في كتابه (نظرات في التراث اللغوي)، وننقل مثالًا تطبيقيًّا للإعراب كما ورد عنده (ص٥١)، ففي جملة (إنَّ الزائرَ وصلَ) يعرب (الزائرَ) بأنه "فاعل بدئ به منصوب بإنّ"، و(وصل) "فعل مطابق لفاعله"، وفي جملة (الزائرُ أخذتُ حقيبتَه)، يعرب (الزائرُ) بأنه "مضاف إليه بدئ به مرفوع"، و(أخذت) "فعل مسند إلى المتكلم"، و(حقيبته) "مفعول به مضاف"، و(هـ) "ضمير رابط بين المضاف والمضاف إليه". ونلاحظ في صنيع المهيري فكًّا للارتباط بين الوظيفة النحوية والعلامة الإعرابية، فالفاعل قد يكون مرفوعًا أو منصوبًا، والمضاف إليه قد يكون مجرورًا أو مرفوعًا أو منصوبًا، ونرى أن الرتبة لم تراعَ؛ فالفاعل قد يتأخر عن فعله وقد يتقدم والمضاف إليه قد يتأخر عن المضاف وقد يتقدم. ولذلك تكون جملة (زيدٌ جاء) فعلية مثل جملة (جاء زيدٌ). وجملة مثل (عيسى أكرمته) لا يحتمل (عيسى) إعرابين كما يقدر النحويون: الرفع على الابتداء، أو النصب بفعل مقدر قبله؛ إذ على طريقة المهيري (عيسى) مفعول به فقط.

المطلب الثاني

مسائل نحوية ولغوية

الاستثبات باسم الاستفهام (مَن)*

من استعمالات العربية التي هجرها المحدثون، مع طرافتها، ما عبِّر عنه في النحو العربي بالاستثبات، وهو أن تسأل عن العاقل أو العالِم تخبَر عنه ليثبت لك أمره، وقد يكون السؤال عن نكرة أو معرفة، ولاسم الاستفهام (مَنْ) حالان، الوصل أو الوقف عليه.

تسأل عن النكرة في قول القائل لك "زارني رجلٌ": مَنِ الرجلُ؟، ومن قال "أكرمت رجلًا": من هو؟ ومن قال "مررت برجل": من مررت به؟ هذا حال (مَن) في السؤال عن نكرة إن جاء اسم الاستفهام في وصل لا وقف، و(مَن) اسم مبني على السكون في محل رفع. ولفظه مفرد؛ ولكنه يستعمل للدلالة على المثنى والجمع أيضًا.

وإن وقفت على (مَن) وصلته بمدّ يحكي إعراب من سئل عنه، قال ابن يعيش "فإذا قال القائلُ: هذا رجلٌ، قلت في جوابه: مَنُو؟ وإذا قال: رأيت رجلًا، قلت في جوابه: مَنَا؟ وإذا قال: مررت برجل، قلت: مَنِي؟ وتُثني، وتجمع، وتُؤنث، فتقول إذا قال: هذان رجلان: مَنَانْ؟ وإذا قال: رأيت رجلَيْن، أو مررت برجلَيْن، قلت: مَنَيْنْ؟ وإذا قال: هؤلاء رجالٌ، قلت: مَنُونْ؟ وإذا قال: رأيت رجالًا أو مررت برجالٍ، قلت: مَنِينْ؟ فإن قال:

* نشر في الجزيرة الثقافية الجمعة/السبت ٥-٦ رمضان ١٤٤٥هـ/ ١٥ مارس ٢٠٢٤م. ع ١٨٥٨٥.

رأيت امرأةً، قلت: مَنَهْ؟، ومَنْتْ؟، كما يقال: ابْنَهْ، وبِنْتْ. وإذا قال: هاتان امرأتان، قلت: مَنْتَانْ؟ وإذا قال: رأيت امرأتَيْن، أو مررت بامرأتَيْن، قلت: مَنْتَيْنْ؟ بإسكان النون، كأنّه ثنّى مَنْتْ، فقال: مَنْتَان، كما يقال: بِنْتَان، وثِنْتَان. وإذا قال في الجمع: رأيت نساء، قلت: مَنَاتْ؟ بإسكان التاء"[١].

وينبهنا ابن يعيش إلى أمر مهمّ، وهو أن هذه الزياداتُ (الواو والألف والياء) ليست علامات إعراب لما دخلتْ عليه، وهو (مَن) المبنيّ، وإنما هي علامات يُحكَى بها حالُ الاسم المتقدّم من رفع ونصب وجرّ[٢].

والأصل أن تحكى الحركات أنفسُها؛ ولكن الوقف يذهب بها فيفوت الغرض فجعلت مدودًا، قال ابن يعيش "إنما دخلت الحركات التي هي الضمةُ والفتحة والكسرة (مَنْ) في حال الوقف حكايةً لإعراب الاسم المتقدّم، ولم تكن الحركةُ ممّا يُوقَف عليها، فوصلوها بهذه الحروف لتبيينِ ما قصدوه من الدلالة، فوصلوا الضمّةَ بالواو، والفتحةَ بالألف، والكسرةَ بالياء"[٣]. ويمكن القول إنه وُقف على الحركات بالمدود استصحابًا للأصل السامي في ذلك، وهو أصل نسب استعمالَه سيبويه إلى بعض القبائل، قال"وزعم أبو الخطاب أن أزد السراة يقولون: هذا زيدو، وهذا عمرو، ومررت بزيدي، وبعمري؛ جعلوه قياسًا واحدًا؛ فأثبتوا الياء والواو كما أثبتوا الألف"[٤].

(١) شرح المفصل لابن يعيش، ٢/ ٤١٧.

(٢) شرح المفصل لابن يعيش، ٢/ ٤١٧.

(٣) شرح المفصل لابن يعيش، ٢/ ٤١٧.

(٤) الكتاب لسيبويه، ٤/ ١٦٧.

وهذا قول جمهور العرب؛ ولكن منهم من اكتفى بلفظ الواحد المذكر، قال ابن يعيش "قوم من العرب لا يحكون إلَّا الإعرابَ لا غيرُ، فيقولون في الرفع: "مَنُو"، وفي النصب: "مَنَا"، وفي الجرّ: "منِي"، سَواءٌ في ذلك الواحدُ، والاثنان، والجمع، والمذكر، والمؤنث"[١].

وأما السؤال عن العلَم فله سبيل أخرى في الوقف تلبي حاجة السائل إلى معرفة نسب من ذكر له، ولذلك تكتنف (مَن) لام التعريف وياء النسب، قال ابن يعيش "فإذا أراد ذلك، أدخل الألفَ واللام على (مَنْ) من أولها، وأتى بياء النسب من آخِرها، وأعربها بإعرابِ الاسم المسؤول عنه"[٢]. وذكر أمثلة لذلك قال "فإذا قال: جاءني زيدٌ، قال: المَنِيُّ؟ " وإذا قال: رأيت زيدًا، قال: المَنِيَّ؟ وإذا قال: مررت بزيدٍ، قال: المَنِيِّ؟ كأنه قال: الثقَفي أم القُرَشي؟، وإذا قال: جاءني الزيدان، قلت: المَنِيّانْ؟ وفي النصب والجرّ: المَنِيّينْ؟"[٣]. وأجاز أن يجتزأ بحالة الرفع (المَنِيُّ)[٤]. وحركة ياء النسب تحذف لأنه يوقف عليها.

وأما قول الناس اليوم في دول الخليج (مِنو) فليس من هذه الظاهرة بل هو منحوت من (مَن هو؟).

---

(١) شرح المفصل لابن يعيش، ٢/ ٤٢٣.

(٢) شرح المفصل لابن يعيش، ٢/ ٤٢٥.

(٣) شرح المفصل لابن يعيش، ٢/ ٤٢٥.

(٤) شرح المفصل لابن يعيش، ٢/ ٤٢٥.

استثناء الضمائر بإلّا*

أكثر مُثُل المستثنى في كتب النحو أسماء ظاهرة وقل أن يمثل لها بضمير. وللمستثنى أربع حالات:

الأولى–أن يكون الكلام موجبًا، أي غير مسبوق بنافٍ أو شبهه، وأن يكون مشتملًا على المستثنى منه، وفي هذه الحال يجب نصب المستثنى، نحو: حضر القومُ إلّا زيدًا، وتقول لزيدٍ: حضر القومُ إلّا إيّاك.

الثانية– أن يكون الكلام غير موجب أي مسبوق بنافٍ أو شبهه، وأن يكون مشتملًا على المستثنى منه، وفي هذه الحال يتبع المستثنى في إعرابه المستثنى منه، نحو: ما حضر القومُ إلّا زيدٌ، وتقول لزيدٍ: ما حضر القوم إلا أنت، ويجوز نصب ما بعد (إلّا) على الاستثاء فتقول: ما حضر القومُ إلّا زيدًا، وتقول لزيد: ما حضر القومُ إلّا إياك. فإن كان المستثنى منه منصوبًا استوت المسألتان الإتباع والاستثناء، تقول: ما أكرمت القومَ إلّا زيدًا، فإن شئت أعربته منصوبًا للتبعية أو منصوبًا للاستثناء، وتقول: ما أكرمت القومَ إلّا إياك.

وأما المجرور الظاهر ففيه الإتباع ومثاله قول سيبويه: "وما مررتُ بأحدٍ إلا زيدٍ"[(١)]، ومثال النصب على الاستثناء قوله تعالى ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ۝٨٥﴾[الإسراء]، وقال سيبويه "حدثنا بذلك يونس وعيسى جميعًا أن بعض العرب الموثوقَ بعربيته يقول: ما

---

* نشر في الجزيرة الثقافية الجمعة/السبت ٠٨-٠٩ جمادى الأولى ١٤٤٤هـ/ ٠٢ ديسمبر ٢٠٢٢م. ع ١٨١٨٣.

(١) سيبويه، الكتاب، ٢/ ٣١١.

مررتُ بأحدٍ إلا زيدًا"[١]. وأما الضمير فليس فيه سوى الإتباع لوجوب استصحاب حرف الجر مع الضمير، قال سيبويه: "ولو قلت: ما مررتُ بأحدٍ إلا أنت لم يجز. ولا يجوز (إيّا) أن تكون علامة لمضمر مجرور، من قبَل أنَّ إيّا علامةٌ للمنصوب، فلا يكون المنصوب في موضع المجرور ... وتقول: مررتُ بزيدٍ وبك، **وما مررتُ بأحدٍ إلّا بك،** أعدتَ مع المضمَر الباء من قبَل أنَّهم لا يتكلمون بالكاف وأخواتها منفردة؛ فلذلك أعادوا الجار مع المضمَر. ولم توقِع إيّا ولا أنت ولا أخواتها ههنا من قبَل أن المنصوب والمرفوع لا يقعان في موضع المجرور"[٢].

الثالثة–أن يكون الكلام غير موجب والمستثنى منه غير مذكور ويسمى الاستثناء هنا فارغًا أو ناقصًا، ويكون الحرفان حرف النفي و(إلّا) أداة للحصر، ولا تأثير للحرف (إلّا) فيكون ما بعدها بما تقتضيه الجملة، وكثر ورود الضمير بعد (إلّا) في هذه الحال. ومن مثل ذلك قوله تعالى ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ [١٤٤– آل عمران]، وقوله تعالى ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۝٦٠﴾ [الرحمن]. قال سيبويه "وتقول: ما جاء إلا أنا. قال عمرو بن معدي كرب:

قد علمَتْ سَلْمَى وجاراتُها ... ما قطَّر الفارِسَ إلّا أنا"[٣]

---

(١) سيبويه، الكتاب، ٢/ ٣١٩.

(٢) سيبويه، الكتاب، ٢/ ٣٦٢.

(٣) سيبويه، الكتاب، ٢/ ٣٥٣.

ومثال المنصوب قوله تعالى ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [٢٨٦-البقرة]. وقال سيبويه "وما رأيت إلا إيّاك"(١).

وأما المجرور فمثاله قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [١٠٠-يونس]، وقول سيبويه "ما مررتُ إلا بزيدٍ"(٢)، ومثال الضمير المجرور قول المبرد: "لأَنَّ الأَصل الرّفْع وَهُوَ الَّذِي لَا يتمّ الْكَلَام إِلّا بِهِ"(٣).

الرابعة-أن يكون الكلام موجبًا والمستثنى غير موجود، قال ابن هشام "وَالسَّادِسَة: وَقع الِاسْتِثْنَاء المفرغ فِي الْإِيجَاب فِي نَحْو ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [٤٥-البقرة]، قال تعالى ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ [٣٢-التوبة] لما كَانَ الْمَعْنى وَإِنَّهَا لَا تسهل إِلَّا على الخاشعين وَلَا يُرِيد الله إِلَّا أَن يتم نوره"(٤).

وقد بين ابن مالك من قبل أن النفي مقدر، فعد الإيجاب من قبيل شبه النفي، قال "ومما يتناوله شبه النفي قوله تعالى ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [٤٥-البقرة]؛ لأن المعنى: وإنها لا تخفّ، ولا تسهل إلّا على الخاشعين"(٥). وقال "ومن النفي المؤول ... ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [٤٥-البقرة]؛ لأن المراد بالكبيرة هنا الصعوبة، فكأنه قيل

---

(١) سيبويه، الكتاب، ٢/ ٣٦١.

(٢) سيبويه، الكتاب، ٢/ ٣١١.

(٣) المبرد، المقتضب، ١/ ٢٤٨.

(٤) ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص ٨٨٦.

(٥) ابن مالك، شرح الكافية الشافية، ٢/ ٧٠٨.

لا تسهل إلّا على الخاشعين. والحاصل أن المستثنى منه لا يحذف مع إيجاب محض"[١].
وليست (على الخاشعين) متعلقة بكبيرة كما توهم بعض المعربين لأن هذا يعاند المعنى.

(١) ابن مالك، شرح التسهيل لابن مالك، ٢/ ٢٧٠. وقد ذهب عضيمة إلى ردّ اشتراط النفي وإن تقديرًا متابعًا أبا حيّان في رده قول الزمخشري ومذهب أبي حيان وعضيمة متوقف فيه لأن المعنى يقتضي النفي.

استعمال الفرع وإن تأخّر أصله*

الغالب في الاستعمال اللغوي استعمال جمع له مفرد، وفعل مزيد له مجرد، ومؤنث له مذكر؛ ولكن قد يقتضي الأمر أن تستعمل الفروع وإن تخلّفت الأصول، وأضرب لهذا أمثلة من غير إحصاء:

المبني للمفعول:

وردت في اللغة أفعال استعملت منها أفعال على صيغة المبني للمفعول وإن لم يستعمل المبني للفاعل منها، قال سيبويه "وذلك نحو: جُنَّ، وسُلَّ، وزُكِمَ، ووُرِدَ[1]. وعلى ذلك قالوا: مجنونٌ ومسلولٌ، ومزكومٌ، ومحمومٌ، ومورودٌ. وإنما جاءت هذه الحروف على جَنَنْته وسَلَلْتَه وإن لم يستعمل في الكلام ... واستُغني عن قَطِعَ بقُطِعَ"[2].

المضارع والأمر:

استعمل الفعل المضارع والأمر وإن لم يستعمل الماضي منهما، قال سيبويه "كما أن يَدَعُ على وَدَعْتُ، ويَذَرُ على وَذَرْتُ وإن لم يُستعملا، استغني عنهما بتَرَكْتُ"[3]. وقال السيوطي "و(يَهيط) يَصِيح ويضج لم يسْتَعْمل إِلَّا مضارعًا، يُقَال مَا زَالَ مُنْذُ الْيَوْمِ

* نشر في الجزيرة الثقافية الجمعة/السبت ١١-١٢شعبان ١٤٤٤هـ/ ٠٣ مارس ٢٠٢٣م. ع ١٨٢٦١.

(١) جاء في المحكم والمحيط الأعظم (٩/ ٤٢٤) "والوِرْدُ: من أسماءِ الحُمّى، وقِيلَ: هو يَوْمُها. وقد وُرِدَ، على صِيغَة ما لم يُسَمَّ فاعِلُه".

(٢) سيبويه، الكتاب، ٤/ ٦٧.

(٣) سيبويه، الكتاب، ٤/ ٦٧.

يهيط هيطًا[١]، و(أَهَلُمّ)، بِفَتْح الْهمزَة وَالْهَاء وَضم اللَّام وبضم الْهمزَة وَكسر اللَّام، لم يُسْتَعْمل مِنْهُ الْمَاضِي وَلَا الْأَمر فِي أَكثر اللُّغَات و(أَهاءُ) مَبْنِيّ للْفَاعِل بِمَعْنى: آخذ، و[أُهاءُ] للمفعول بِمَعْنى: أُعطَى، لم يُسْتَعْمل مِنْهُ غير الْمُضَارع"[٢].

أفعال مزيدة لا مجرد لها:

من الأفعال ما جاءت على الزيادة وليست مأخوذة من أفعال مجردة، مثل: استنوق الجمل، واستتيست الشاة، واستفيل الجمل، واستنسر البغاث، واستحجر الطين. ومن ذلك البناء المقتضب كبناء (افْعَوَّلَ)، قال ابن مالك "المقتضب من الأبنية هو المصوغ على مثال غير مسبوق بآخر هو له أصل أو كالأصل، مع خلوه من حرف مزيد لمعنى أو لإلحاق. ومثال افعوّل: اجلوّذ واعلوّط واخروّط"[٣].

التعجب من ما لا فعل له:

قال الصبان "بقي ما لا فعل له، والظاهر أنه لا يتعجب منه أيضًا؛ لأنه لا مصدر له حتى يؤتى به بعد أشد منصوبًا أو مجرورًا ا. هـ. والمتجه عندي أنه يتعجب منه بزيادة ياء المصدرية أو ما في معناها، فيقال: ما أشد حماريته أو ما أشد كونه حمارًا فاحفظه"[٤].

---

(١) جاء في المحكم والمحيط الأعظم (٤/ ٣٧٠) "مَا زَالَ مُنْذُ الْيَوْمِ يَهِيط هَيْطًا، وَمَا زَالَ فِي هَيْطٍ ومَيْطٍ، وهِياطٍ ومِياطٍ، أَي فِي ضجاج وَشر وجلبة".

(٢) السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ٣/ ٢٠.

(٣) ابن مالك، شرح التسهيل، ٣/ ٤٦١. وجاء في ح٣: اجلوذ: أسرع، اعلوّط البعيرَ: تعلق بعنقه وعلاه، أو ركبه بلا خطام أو عريًا، وفلانًا أخذه وحبسه ولزمه، والأمرَ ركب رأسه وتقحّم بلا روية، واخروّط الطريقُ: طال وامتد، والرجلُ: أسرع، واللحيةُ: طالت.

(٤) الصبان، حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك، ٣/ ٣٤.

مصادر لا أفعال لها:

ذكر الأنباري مصادر لم تستعمل أفعالُهَا "نحو: "وَيْلَهُ، وَوَيْحَهُ، وَوَيْهَهُ، وَوَيْبَهُ، وَوَيْسَهُ، وأهلًا وسهلًا، ومرحبًا، وسقيًا، ورعيًا، وأُفَّةً، وتُفَّةً، وتَعْسًا، ونَكْسًا، وبُؤْسًا، وبُعْدًا، وسُحْقًا، وجُوعًا، ونُوْعًا، وجَدْعًا، وعَقْرًا، وخَيْبَةً، ودَفْرًا، وتَبًّا، وبَهْرًا"[(١)].

الجمع لا واحد له:

من الأسماء ما جمع على بناء خاص بالجمع وليس له واحد، وهو مختلف عن اسم الجمع الذي له مفرد من معناه لا لفظه، جاء في معجم (لسان العرب) «وَذَهَبَ أَبو عُبَيْدَةَ إِلى أَن الأَبَابِيل جَمْعٌ لَا وَاحِدَ لَهُ، بِمَنْزِلَةِ عَبابِيدَ وشَماطِيطَ وشَعالِيلَ»[(٢)] وَمنها: بَيَادِيرَ، وأعراب، وتعاجيب، وتباشير، وتعاشيب. وتضاعيف، والهزاهز. والشعارير.

---

(١) أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، ١/ ١٩٤.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ١١/ ٦.

استعمال المحدثين (الأفْعَل) في موضع (الفُعْلى)*

شاع كثيرًا عند المحدثين من مثقفين ومن أدباء ومن لغويين متخصصين استعمالهم اسم التفضيل (الأفعل) في موضع (الفعلى)، مثل: (الأسهم السعودية الأكثر تداولًا)، و(هذه الدولة الأجمل في العالم!)، و(وهي القراءة الأشدّ ارتباطًا). وهذا من الأخطاء الشائعة في لغة المعاصرين، فهم ينعتون المؤنث بمذكر، فـ(الأكثر، والأجمل والأشدّ) على وزن (الأَفْعَل)، مذكر ينبغي أن يكون مؤنثها على وزن (الْفُعْلَى)، ولعل الذي أجاء الناس إلى وضع الأفْعَل موضع الفُعْلى أنّهم لم يسمعوا من ألفاظ الفُعْلى سوى قليل، وأنّهم قد لا يسيغون صياغة بعض الصفات التفضيلية على هذا البناء؛ ومع ذلك فقد اعتادوا هذا الاستعمال حتى استعملوه مع ما جاء له مقابل على (الفعلى)؛ إذ ربما وجدتهم يقولون نحو (المدارس الأعلى أداءً)، وكان يسعهم القول (المدارس العليا أداء).

ويمكن الاحتيال لما لم يسمع له مؤنث أو ما لا يساغ بتغيير التركيب فيقال: (أكثر الأسهم السعودية تداولًا)، و(هذه أجمل دولة في العالم!)، و(وهي أشدّ قراءة ارتباطًا).

أما تصحيح أستاذنا د. أحمد مختار عمر لمثل هذا فمتوقف فيه عندي أيضًا(١). وكان قال قبل "اشترط معظم النحاة في أفعل التفضيل المحلَّى بـ(أل) المطابقة لما قبله في التذكير والتأنيث، والإفراد والتثنية والجمع، ويمكن تصحيح الاستعمال المرفوض اعتمادًا على إجازة مجمع اللغة المصري- في دوراته: السادسة والخمسين، والرابعة والستين، والخامسة والستين- الإفراد والتذكير في استعمال أفعل التفضيل المحلَّى بـ(أل)، وذلك

* نشر في الجزيرة الثقافية الجمعة/السبت ٢١-٢٢ رجب ١٤٤٥هـ/ ٠٢ فبراير ٢٠٢٤م. ع ١٨٥٤٩.

(١) معجم الصواب اللغوي لأحمد مختار عمر، ط١، عالم الكتب/ القاهرة، ٢٠٠٨م، ٢/ ٩٥٥.

أخذًا برأي ابن مالك وابن يعيش وغيرهما. ويرجِّح عدم المطابقة ما انتهى إليه بعض الباحثين من عدم إلف (فُعْلى) للتفضيل تأنيثًا لأفعل فيما لم يُسْمَع[١]، مما كان داعيًا لظهور تعبيرات حديثة خرجت عن المطابقة، مثل: (القضية الأخطر)، و(الحياة الأفضل)، و(الوجبة الأطيب) .. إلخ. ويمكن اعتبار «أل» موصولة في هذه التعبيرات ويكون التقدير في هذا المثال المرفوض: الغاية التي هي أبعد"[٢].

وقوله رحمه الله "وذلك أخذًا برأي ابن مالك وابن يعيش وغيرهما" ليس دقيقًا، إذ ابن يعيش قال "فأمّا إذا أدخلت الألف واللام، نحو: "زيدٌ الأفضل"، خرج عن أن يكون بمعنى الفعل، وصار بمعنى الفاعل، واستغنى عن (مِنْ) والإضافةِ، وعُلم أنّه قد بان بالفضل، فحينئذ يؤنث إذا أريد المؤنّث، ويثنّى، ويجمع، فتقول: "زيد الأفضل"، و"الزيدان الأفضلان"، و"الزيدون الأفضلون، والأفاضلُ"، و"هندٌ الفُضْلَى"، و"الهندان الفُضْلَيان"، و"الهندات الفُضْلَيات"، و"الفُضَلُ" إن شئت تثني، وتجمع، وتؤنّث، كما تفعل بالفاعل، لأنه في معناه"[٣].

وأما مذهب ابن مالك فبيّنه ابن الناظم في شرحه الخلاصة، قال "إذا كان أفْعَلُ التفضيل مجردًا لزمه التذكير والإفراد بكل حال، كقولك: هو أفضل، وهي أفضل، وهما

---

(١) يقصد نفسه إذ قال في كتابه العربية الصحيحة، ط٢، عالم الكتب/ القاهرة، ١٩٩٨م. ص ١٤٠: "ولعل هذا المأزق، مأزق المطابقة في التأنيث، وعدم إلف (فُعْلى) للتفضيل تأنيثًا لأفعل كان السبب في ظهور تعبيرات حديثة خرجت على مبدأ المطابقة واستخدمت (الأفعل) وصفًا للمؤنث، حتى فيما سمع فيه التأنيث، ومن ذلك: القضية الأخطر. الدولة الأولى بالرعاية. الوجبة الأطيب".

(٢) أحمد مختار عمر، معجم الصواب اللغوي، ١/ ١٢٦.

(٣) ابن يعيش، شرح المفصل، ٤/ ١٢٩.

أفضل، وهم أفضل، وهن أفضل، وإذا كان معرفًا بالألف واللام لزمه مطابقة ما هو له في التذكير والتأنيث والإفراد والتثنية والجمع، وهو المراد بقوله: وتلو (أل) طبق. تقول: هو الأفضل، وهي الفضلى، وهما الأفضلان، وهم الأفضلون، وهن الفضليات، أو الفُضَل"[1].

(١) شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، ص ٣٤٤.

ألقاب حركات آخر المعرب والمبني*

عدّد سيبويه في أول (الكتاب) أحوال الكلمة حسب ما يظهر من حركة آخر أحرفها، وهو يسميها مجاري أواخر الكلم، قال: "وهي تجري على ثمانية مجارٍ: على النصب والجرَّ والرفع والجزم، والفتح والضمّ والكسر والوقف"[١]. ثمّ بيّن أن هذه الأحوال الثمانية أو المجاري تشترك في العلامات الدالة عليها، قال "وهذه المجاري الثمانيةُ يَجمعهنّ في اللفظ أربعةُ أضرب: فالنصبُ والفتح في اللفظ ضربٌ واحد، والجرّ والكسر فيه ضرب واحد، وكذلك الرفع والضمّ، والجزم والوقف"[٢].

نفهم من قول سيبويه السابق أنّ المرفوع علامته الضمة، والمضموم (أي المبني على الضم) علامته الضمة، والفرق بين المرفوع والمضموم أن ضمة المرفوع اقتضاها عامل، وهي تتغير بتغيره، وكذا سائر الأضرب أو العلامات. ويفسر سيبويه اختلاف أحوال المعرَب والمبني بقوله "إنما ذكرت لك ثمانية مجارٍ لأفرق بين ما يدخله ضرب من هذه الأربعة لما يُحدث فيه العامل، وليس شيء منها إلا وهو يزول عنه، وبين ما يُبنى عليه الحرف بناءً لا يزول عنه لغير شيء أحدث ذلك فيه من العوامل التي لكل عامل منها ضرب من اللفظ في الحرف، وذلك حرف الإعراب"[٣].

* نشر في الجزيرة الثقافية في الجمعة/السبت ١٩-٢٠ ربيع الآخر ١٤٤٥هـ/ ٠٣ نوفمبر ٢٠٢٣م. ع ١٨٤٧١.

(١) أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبدالسلام هارون، الهيئة العامة للكتاب/ القاهرة، ١/ ٢-٣.

(٢) سيبويه، الكتاب، ١/ ٢-٣.

(٣) سيبويه ، الكتاب، ١/ ٢-٣.

النصب والجر والرفع والجزم حكم للمعرب، وما ظهر من حركة على آخر حروفه هو علامة إعرابه، وهذا الحرف حرف الإعراب، وأما الفتح والكسر والضم والوقف فحكم للمبني الذي لا تتغير حركته؛ لأنها جزء من بنية الكلمة.

وربما استعمل سيبويه ألقابًا للمعرب من ألفاظ الأحكام، أي من الرفع والنصب والجر والجزم، قال: "وإنما حملهم على هذا أنهم أنزلوا (الرفعة) التي في قولك زيد بمنزلة (الرفعة) في راء امرئ [أي: امرُؤٌ]، و(الجرة) بمنزلة (الكسرة) في الراء [أي: امرِئٍ] و(النصبة) كـ(فتحة) الراء [أي: امرَأً]"(١). وقال في موضع آخر: "لأن الرفعة ضمةٌ والجرة كسرةٌ "(٢).

وأوضح بيان للتفريق بين ألقاب حركات الإعراب وحركات البناء ما جاء عند أبي حيان قال "وقوله [أي: ابن مالك]: فارفَعْ بضمةٍ، وانصِبْ بفتحةٍ، وجُرَّ بكسرةٍ، هكذا قال غيرُه من النحويين، وكان القياس على مذهب البصريين أن يقال بدل (ضمة) (رفعة)، وبدل (فتحة) (نصبة)، وبدل (كسرة) (جَرَّة)؛ لأن الضم والفتح والكسر إنما هي للمبني، فيُنسب ما هو من لفظها إلى المبني، والرفع والنصب والجر للمعرب، فينبغي أن يُنسب ما هو من لفظها إلى المعرب، لكنهم أطلقوا على حركات الإعراب ضمة وفتحة وكسرة على سبيل التوسع، لأن اللفظ بالمضموم والمفتوح والمكسور كاللفظ بالمرفوع والمنصوب والمجرور"(٣).

---

(١) الكتاب لسيبويه، ٢/ ٢٠٤.

(٢) الكتاب لسيبويه، ٤/ ٢٠٣.

(٣) التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، ١/ ١٤٤- ١٤٥.

إنما (خلا وعدا) في الاستثناء حرفان*

للاسم بعد (خلا وعدا) حالان: الجر والنصب، يقال: جاء القومُ خلا زيدٍ، ويقال: جاء القومُ خلا زيدًا، وعدَّ النحويون (خلا وعدا) في حال الجر حرفي جرّ بلا خلاف، ولكن الإشكال يأتي في حال النصب؛ وذلك أنهم جزموا بأن (خلا وعدا) فعلان، وتتأكد الفعلية عندهم إن دخلت (ما) عليهما.

و(ما) هذه عدَّها سيبويه اسمًا موصولًا(١)، وتابعه في ذلك ابن السراج(٢)، وأما جمهرة النحويين فعدوا (ما) حرفًا موصولًا.

ويعاند تمحض (خلا وعدا) للفعلية بعد (ما) قول الجرمي، قال ابن مالك: "وتعين النصب مع (ما) هو مذهب الجمهور. وحكى الجرمي الجرّ مع (ما) عن بعض العرب، حكاه في كتاب (الفرخ)"(٣). وزعم العكبري أن الفارسيّ أجازه قال: "وَأَجَازَ أَبُو عليّ فِي كتاب (الشّعْر) أَن تكون (مَا) فِي (مَا عدا) زَائِدَة فتجرّ مَا بعْدهَا وَتَابعه الربعِي على ذَلِك"(٤). والذي يفهم من قول الفارسيّ أنّ (ما) زائدة في حال النصب، قال "فإن قلت: فلم لا تجعله [أي: بلهَ] المصدر، لأنّ المصدر قد وقع في الاستثناء، في قولك: أتاني القومُ ما عدا زيدًا، والتقديرُ: مجاوزتهم زيدًا، فهو مصدرٌ؟ فإنه يمكن أن يقال: إن

---

* نشر في الجزيرة الثقافية الجمعة/السبت١٠-١١ ربيع الآخر ١٤٤٤هـ/ ٠٤ نوفمبر ٢٠٢٢م. ع. ١٨١٥٩.

(١) سيبويه، الكتاب، ٢/ ٣٤٩.

(٢) ابن السراج، الأصول في النحو، ١/ ٢٨٧.

(٣) ابن مالك، شرح الكافية الشافية، ٢/ ٧٢٢.

(٤) العكبري، اللباب في علل البناء والإعراب، ١/ ٣١١.

(ما) زائدة، وليست التي للمصدر، و(عدا) إذا قدرّت زيادة (ما) كان جملةً"[١]. وقوله: "و(عدا) إذا قدرّت زيادة (ما) كان جملةً" دليل على أنه يعد (عدا) فعلًا بعد (ما) الزائدة لا حرف جرّ.

واقتضى عدّ النحويين (عدا وخلا) فعلين أن يقدروا لهما فاعلًا، ومع (ما) كونها مع الفعل مصدرًا مؤوّلًا حالًا، قال العكبري "وأمَّا (مَا عدا) و(مَا خلا) فأفعال كلّهَا لِأَنَّهَا صلات لـ(مَا)، وَلَا تكون الْحُرُوف صلَة، وَالْفَاعِل فِيهَا مُضْمر، وَمَوْضِع (مَا) وصلتها حَال كَقَوْلِك: قَامَ الْقَوْم مَا عدا زيدًا، أَي: عُدُوَّ زيدٍ، والمصدر هُنَا حَال، أَي متجاوزين زيدًا"[٢]. ومن المشكلات أن (خلا) ليس بفعل متعدّ، قال السيرافي "فأما (خلا) فإنها لا تتعدى إلى مفعول إلا في الاستثناء، فإذا قلنا: ما مررت بامرأة خلت هندًا فهو على خلاف ما عليه لفظ (خلا) في التعدي"[٣].

ونخلص من جملة ما سبق إلى ما يأتي:

١-يجر بـ(عدا وخلا) مجردين من (ما) أو معها، تقول: جاء القوم عدا زيدٍ، وجاء القوم ما عدا زيدٍ.

٢-يمكن أن تكون (ما) زائدة إنْ جرّ (عدا) ما بعده أو نصبه، تقول: جاء القوم ما عدا زيدٍ (ما زائدة)، وتقول: جاء القوم ما عدا زيدًا (ما زائدة).

---

(١) الفارسي، كتاب الشعر أو شرح الأبيات المشكلة الإعراب، ص ٢٥.

(٢) العكبري، اللباب في علل البناء والإعراب، ١/ ٣٠٨.

(٣) السيرافي، شرح كتاب سيبويه، ٣/ ٩٧.

ولنا أن نسأل: لم ساغ عد (عدا وخلا) حرفي جر عند الجر ولم يعدّا حرفي نصب عند النصب؟ أليس القول بحرفيتهما جرًا أو نصبًا أقرب إلى وصفهما السياقي؛ إذ هما أداتا استثناء، أي هما حرفان من حيث الوظيفة، وبهذا لا يلزمنا تقدير فاعل أو تقدير مصدر وتأويل لا يسعد المعنى.

والذي أنتهي إليه أنَّ (عدا وخلا) حرفان للاستثناء وأنّ للعرب في استعمالهما طريقين، فمنهم من يجر بهما ومنهم من ينصب بهما فإن دخلت (ما) فهي زائدة.

وأنبه إلى أنه قد ترد في السياقات (ما) متبوعة بالفعل (عدا) ولا يكون ذلك من الاستثناء، فقد تكون (ما) استفهامية أو نافية أو اسمًا موصولًا، أو شرطية أو مصدرية أو زائدة بعد (إذا) ونحوها.

(ما) متلوة بالفعل (عدا وخلا) لغير الاستثناء*

تستعمل (ما) في اللغة لأغراض مختلفة، منها:

الاستفهام بها نحو قوله تعالى﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ [١٧-طه]، ومن الاستفهام بها عن مفعول الفعل (عدا): "**ما عدا مما بدا**. قاله عليّ ﵁ لبعض أصحابه، وقد تخلف عنه يوم الجمل، ومعناه ما ظهر منك من التخلف بعد ما ظهر منك من التقدم في الطاعة"[١].

وتأتي (ما) نافية نحو قوله تعالى ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ [١٠٢-البقرة]، ونحو "لَو كَانَ عِنْده كنز النَّطِف مَا عدا"[٢]. و"لله أبوه، ما عدا ما في نفسي"[٣]. أي لم يجاوز ما في نفسي.

وتأتي (ما) اسمًا موصولًا، نحو "وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ"[٤]، ومن مجيئها موصولة بـ(عدا) "لم ينج من الطير مَا لم يقصر فِي طيرانه فَكيف بِمَا قصر وَلم ينج من الْوَحْش مَا عدا فَدخل الآجام واستتر بالأدغال"[٥]. أي الذي لم يقصر، والذي قصر، والذي عدا.

* نشر في الجزيرة الثقافية الجمعة/السبت ٢٤-٢٥ ربيع الآخر ١٤٤٤هـ /١٨ نوفمبر ٢٠٢٢م ع.١٨١٧١.

(١) التمثيل والمحاضرة لأبي منصور الثعالبي، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، ط٢، الدار العربية للكتاب، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ص ٣٩.

(٢) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب لأبي منصور الثعالبي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، المكتبة العصرية/ بيروت، ١٣٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص ١١٩.

(٣) ربيع الأبرار ونصوص الأخبار للزمخشري، ط١، مؤسسة الأعلمي/ بيروت، ١٤١٢ هـ، ٢/ ١٥٢.

(٤) مسند أحمد (ط الرسالة)، ٢٩/ ١٨٠.

(٥) شرح ديوان المتنبي للعكبري، ضبطه وصححه ووضع فهارسه: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ

ومن استعمالها موصولة بـ(عدا) "واستعينوا على عفافكم بالقصد في كلّ ما عدا عليكم"[١]، وقوله: "ويسلّم مفاتح ما عدا عليه من فتوحنا"[٢]. ومن ذلك "وَقَدْ دَلَّ عَلَى أَنَّ كُلَّ مَا عَدَا عَلَى الْمُحْرِمِ وَابْتَدَأَهُ بِالْأَذَى فَجَائِزٌ لَهُ قَتْلُهُ"[٣].

وتكون شرطية نحو: مَا عَدَا عَلَيْكَ مِنَ السِّبَاعِ وأنت محرم فاقْتُلْهُ وَلَا كَفَّارَةَ عَلَيْكَ.

وقد تكون (ما) مزيدة على ما قبلها نحو قول عمران بن حطان[٤]:

ولى نفسٌ أقولُ لها إذا ما ... تُنازِعُني لَعَلّي أو عَسانِي

ومن مجيء (عدا) بعد (إذا ما) قول طفيل[٥]:

إذا ما عَدا لم يُسْقِطِ الرَّوْعُ رُمْحَهُ ... ولم يَشْهدِ الهيّجا بِأَلْوَثَ مُعْصِمِ

ومثل عدا (خلا) تقع (ما) قبلها لمعان منها المصدرية مثل "وإذا مات زوج البكر بعد ما خلا بها قبل أن يدخل بها تزوج كما تزوج الأبكار"[٦].

شلبي، دار إحياء الكتب العربية/ القاهرة، ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م، ٣/ ٣١٥.

(١) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية لابن حمدون، ط١، دار صادر/ بيروت، ١٤١٧هـ، ١/ ٣٤٦.

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري، ط١، دار الكتب والوثائق القومية/ القاهرة، ١٤٢٣هـ، ٧/ ٢٠٠.

(٣) أحكام القرآن للجصاص، عبد السلام محمد علي شاهين، ط١، دار الكتب العلمية/ بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ٢/ ٥٨٦.

(٤) الكتاب لسيبويه، ٢/ ٣٧٥.

(٥) سمط اللآلي لأبي عبيد البكري، عناية: عبد العزيز الميمني، لجنة الترجمة والتأليف والنشر/ القاهرة، ١٩٣٦م، وصورته: دار الكتب العلمية/ بيروت، ١/ ٩٥٥.

(٦) الفتاوى الهندية، ضبطه وصححه عبداللطيف حسن عبدالرحمن، ط١، دار الكتب العلمية/ بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ١/ ٣١٩.

وتكون اسما موصولًا مثل "ولولا ما خلا به من معاقرة العقار، وتمسك بأسبابه من قضاء الأوطار، لملأ ذكره البلاد"[١]. ومثل "وحرم تعاطي ما خلا منه"[٢]. ومثل "فأمَّا ما خَلَا منَ الاستعارةِ من الكلامِ الفصيح البليغِ، فلا يَعْرِض توهُّمُ ذلك فيه لعاقلٍ أصْلًا"[٣]، وتكون شرطية مثل: ما خلا بيت فبعه.

وتكون نافية مثل "والعلم الذي ما خلا به بابه من طلب: إمّا لهدى وإمّا لكرم"[٤]. ومثل "(مَا أَقْفَرَ بيتٌ فِيهِ خَلٌّ) أَيْ مَا خَلَا مِنَ الْإِدَامِ وَلَا عَدِمَ أهلهُ الأُدْم"[٥].

وتكون زائدة بعد (إذا) مثل:

"وربُّ الحِجى والفضلِ والعلمِ والتقى ... إذا ما خَلا منه فذاك أبو جهلِ"[٦].

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام، تحقيق إحسان عباس، ط٢: الدار العربية للكتاب/ ليبيا-تونس، ١٩٧١م، ٤/ ٥٥٦.

(٢) تحرير الفتاوى للمهراني، تحقيق عبد الرحمن فهمي محمد الزواوي، ط١، دار المنهاج للنشر والتوزيع/جدة، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م ١/ ٧٠٤.

(٣) دلائل الإعجاز للجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر،ط٣، دار المدني/جدة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ١/ ٤٠٣.

(٤) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء للقلقشندي، عناية: محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية/ بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ١٠/ ١٨٥.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية/ بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ٤/ ٨٩.

(٦) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة للمحبي، تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو، ط١، دار إحياء الكتب العربية/ القاهرة، ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م، ٢/ ٣٣٣.

إنما (لا زال) للدعاء*

إن أردت الإخبار في الفصيحة استعملت (ما زال) وإن أردت الدعاء قلت (لا زال)، وجاء ذلك في الشعر والنثر، «قال أوس بن حجر:

لا زال مسك وريحانٌ له أرج ... على صَداكَ بصافي اللون سلسالِ

يسقى صَدَاه ومُمساهُ ومُصْبَحه ... رِفهًا ورمسُك محفوفٌ بأظلالِ»[١]

«ومن ذلك قول ابن المعتز:

إنْ يحيى، لا زال يحيا، صديقي ... وخَليلي من دونِ هذي الأنامِ

فقوله: (لا زال يحيا) حشو يُربي على حشو اللوزينج»[٢].

«وقال بشر بن هذيل العبسي:

فيا طلحتَيْ لوذانَ[٣] لا زالَ فيكُما ... لمنْ يبتغي ظِلَّيْكُما فنَنَانِ»[٤]

قال توبة بن الحميّر:

حمامة بطن الواديين ترنّمي ... سقاك من الغرّ العِذاب مطيرها

أبيني لنا لا زال ريشك ناعمًا ... ولا زلت في خضراء دانٍ بريرها[٥]

---

* نشر في الجزيرة الثقافية في الجمعة/السبت١٠-١١ شوال ١٤٤٥هـ/ ١٩ ابريل ٢٠٢٤م. ع ١٨٦١٥.

(١) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابن الأنباري، ص٣٠٠.

(٢) فقه اللغة وسر العربية للثعالبي، ص ٢٧٨.

(٣) لوذان الآن ناحية من نواحي محافظة المذنب.

(٤) الزهرة للأصبهاني، ص ١٠٣.

(٥) الفاضل للمبرد، ص ٢٤.

وقال مروان بن أبي حفصة يرثي معن بن زائدة:

لا زال قبر أبي الوليد تجوده ... بعهادها وبوبلها الأمطار[١]

ومن النثر قول الزجاجي في معرض الكلام عن الدعاء «وَتقول لَا يزل صَاحبك بِخَير أَي لَا زَالَ»[٢].

ومن ذلك قول أبي عبيدة «يقال للرجل إذا دعوا عليه: لا رقأ دمعُك. يقول: لا زال دمعُك سائلًا بالمصائب والفجعات. فإذا دعوا له قالوا: ما له، رقأ دمعه، والمعنى في ذلك يقول: لا زال فرحًا مسرورًا، فدمعه راقئ، يعني محتبس»[٣].

قال الطبري «سيدنا ومولانا الإمام المستظهر بالله أمير المؤمنين، لا زال سلطانه باذخ المكان، راسخ الأركان وأيامه رفيعة العماد، منيعة البلاد»[٤].

وقال المقدسي «فأمرني، لا زال أمره عاليًا وجدّه صاعدًا، أن أجمع له كتابًا في هذا الباب»[٥].

وأما أكثر المحدثين من متخصصين باللغة وغير متخصصين فخالفوا عن طريقة السلف، فخلطوا بين الخبر والدعاء، من ذلك ما جاء في قول محقق كتابٍ «والكتاب

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه، ٣/ ٢٤٨.

(٢) الجمل في النحو للزجاجي، ص٢٢٦.

(٣) شرح نقائض جرير والفرزدق لأبي عبيدة معمر بن المثنى، ٣/ ٨٢٠.

(٤) تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، ١١/ ١٨٧.

(٥) البدء والتاريخ للمقدسي، ١/ ٥.

لا زال مخطوطًا»[١]، وفي حواشي كتابٍ «قلت: لا زال العلماء يرد بعضهم على بعض»[٢]، ومثله «فسوق الليل لا زال معروفًا بمكة»[٣]، ومثله في حاشية «لا زال النقل عن أبي سعيد السيرافي»[٤]. ومن ذلك ما جاء في كتاب "ثُمَّ لَا زَالَ السَّوَادُ يَتَرَاكَمُ عَلَيْهَا حَتَّى عَمَّهَا"[٥].

وهذا ما أخذه عليهم أستاذنا كمال محمد بشر قال "نلحظ خلطًا في استعمال الطلاب بين أدوات النفي مع الفعل. وأكثر ما جاء من ذلك اختيارهم لأداة النفي (لا) مع الفعل الماضي مطلقًا:

(لا زال الموضوع يحتاج إلى دراسة)

ومكان النفي هنا يقتضي (ما)، لأن (لا) النافية لا تصاحب الماضي إلا في الدعاء في مثل (لا أصابك الله بمكروه) أو إذا تكررت مع فعلها، (لا قام ولا استخار)"[٦].

وكذلك فعل أستاذنا أحمد مختار عمر قال "إذا أريد نفي الفعل الماضي وجب نفيه بـ(ما). ولا يصح استخدام (لا) إلا إذا تكررت مثل قوله تعالى ﴿فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى، وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾، أو كانت معطوفة على نفي سابق مثل: ما جاء الضيف، ولا اعتذر. أما إذا نفي الماضي بـ(لا) في غير هاتين الحالتين فإنها تفيد الدعاء كما في قوله

---

(١) ينظر: التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه ليحيى بن سلام القيرواني، ص ٣٢.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة، ٢٠/ ٢٠٥.

(٣) أخبار مكة للفاكهي، ٣/ ١٦.

(٤) التخمير شرح المفصل في صنعة الإعراب لصدر الأفاضل الخوارزمي، ٣/ ١٧٤.

(٥) تحقيق مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لنور الدين الملا الهروي القاري، ٥/ ١٧٩٠.

(٦) دراسات في علم اللغة لكمال محمد بشر، ص ٢٨٧- ٢٨٨.

تعالى ﴿فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ، فَكُّ رَقَبَةٍ﴾، وكما في قولنا: (لا زال فضلك غامرًا)"[١].

فلا زال الله حافظًا على العربية سلامتها، ولا زال الله مقيّضًا لها من يحرسون حصونها.

(١) أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتّاب والإذاعيين لأحمد مختار عمر، ص ١٦٧.

نفي الماضي بلا*

قرأ ابني النجيب الأستاذ عبدالرحمن الآنسي ما كتبته عن (لا زال)، وأهداني ملحوظاته القيمة التي ستفيد عند إعادة تحرير الكتابة، وكأنما توقف في الأمر؛ لأنه يقول "ثم رأيت في كتب التراث مواضع كثيرة استُعمل فيها (لا) مع الفعل الماضي لغير الدعاء، وكنتُ أُقيّدُ كلّ شاهد أقف عليه، وبعض هذه المواضع قد يُفهَم منها الدعاء على بُعدٍ"، وسأقف عند أول نصّ ذكره وهو أهم نصّ أشار إليه النحويون أيضًا.

ولبيان الأمر أذكر قول أستاذنا تمام حسان رحمه الله "اللغة أوسع من قواعدها"، وقول النحويين إن الأصل في الحرف (لا) أن ينفي المستقبل، قال ابن يعيش (٦٤٣هـ) "وأمّا (لا)، فحرفٌ نافٍ أيضًا، موضوع لنفي الفعل المستقبل، قال سيبويه: وإذا قال: (هو يفعل)، ولم يكن الفعل واقعًا؛ فنفيُه: (لا يفعل)، فـ(لا) جوابُ (هو يفعل) إذا أُريد به المستقبل، فإذا قال القائل: (يقوم زيدٌ غدًا)، وأُريد نفيُه، قيل. (لا يقوم)؛ لأن (لا) حرفٌ موضوعٌ لنفي المستقبل"(١).

وبينوا أنّ (لا) إن دخل على ماضٍ فهو بمعنى (لم) التي تنفي الماضي، وأنّ الأفصح تكرارها، جاء في معجم العين "وأمّا قَوْله: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾[١١-البلد] فـ(لا) بمعنى (لم) كأنّه قال: فلم يَقْتَحِمِ العَقَبة. ومثله قوله عز وجل ﴿فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى﴾[٣١-القيامة]، إلاّ أنّ (لا) بهذا المعنى إذا كُرِّرت أَفْصَحُ منها إذا لم تُكَرَّرْ، وقد قال أميّة:

---

* نشر في الجزيرة الثقافية في الجمعة-السبت ٢٤-٢٤ شوال ١٤٤٥هـ/ ٠٣ مايو ٢٠٢٤م. ع ١٨٦٢٧. وقدمت الموضوع لعلاقته بالذي قبله.

(١) شرح المفصل لابن يعيش، ٥/ ٣٣. وينظر: الكتاب لسيبويه، ٣/ ١١٧.

وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلَمّا

أي: لم يُلْمِمْ"[١]. وإن كانت بمعنى (لم) لا يلزم تكرارها وسيأتي ذكره.

ولأن اللغة أوسع من قواعدها نجد في نصوصها العالية ما هو خلاف الأصل، فنجد دخول الحرف (لا) على الماضي، ولكن هذه النصوص لا تنقض القاعدة العامة؛ لأن القاعدة أغلبية؛ ولذلك عبر النحويون تعبيرًا دقيقًا عن هذا كما نجد في قول الفراء (٢٠٧هـ) "لأن العرب لا تكاد تفرد (لا) في الكلام حتى يعيدوها عليه في كلام آخر"[٢]. ونفهم من نص الفراء هذا أن (لا) يرد بعدها الماضي؛ ولكن ذلك قليل، وربما كان على سبيل الاتساع في اللغة، وربما أتاح ذلك تعددًا في فهم النص.

جمع لي الأستاذ عبدالرحمن الآنسي جملة مواضع، ومن أشهر المواضع التي رأى النحويون (لا) داخلًا فيه على الماضي قوله تعالى ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ [١١-البلد]، ولا يرى النحويون أنَّ هذا معاند للقاعدة؛ لأنّ له تأويلًا يفسره، فالفراء يبين لنا ذلك، قال "وهو مما كان في آخره معناه، فاكتفى بواحدة من أخرى؛ ألا ترى أنه فسر اقتحام العقبة بشيئين، فقال: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ، أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾"[٣]. قال الزجاج (٣١١هـ) "والمعنى في (فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ) موجود أن (لا) ثانية كأنَّها في الكلام، لأن

(١) العين للخليل بن أحمد، ٧/ ٣٥٠.

(٢) معاني القرآن للفراء، ٣/ ٢٦٤.

(٣) معاني القرآن للفراء، ٣/ ٢٦٤-٢٦٥.

قوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [١٧-البلد] تدل على معنى فلا اقتحم العقبة ولا آمن"[١].

التكرار معنوي هنا كما أوضح الشريف المرتضى (٤٣٦هـ) "وقلّما يستعمل هذا المعنى من غير تكرير لفظ ... إلا أنَّ في الآية ما ينوب مناب التكرار ويغني عنه، وهو قوله تعالى ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [١٧-البلد]؛ فكأنه قال: فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ، ولا آمن؛ فمعنى التكرار حاصل"[٢]. وقال الزمخشري (٥٣٨هـ) "هي متكررة في المعنى"[٣].

وتهب الآية الكريمة معنى آخر هو الدعاء، قال الشريف المرتضى "والوجه الآخر: أن تكون (لا) جارية مجرى الدعاء؛ كقولك: لا نجا ولا سلِم، ونحو ذلك"[٤]. قال أبو حيان (٧٤٥هـ) "دُعَاءٌ عَلَيْهِ أَن لَا يَفْعَلَ خَيْرًا"[٥]. وهذا المعنى هو ما يتبادر إلى ذهني.

وقد تكون (لا) بمعنى (لم) أي استعملت استعمالها توسعًا، قال الفارسي (٣٧٧هـ) "ومعنى: فلا اقتحم العقبة لم يقتحمها، وإذا كانت (لا) بمعنى (لم)، لم يلزم تكريرها، كما لم يلزم التكرير مع (لم)"[٦].

وربما فُهم منها معنى التحضيض، قال الشريف المرتضى "وقال قوم: فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ أي فهلّا اقتحم العقبة! أو أفلا اقتحم العقبة! قالوا: ويدل على ذلك قوله تعالى ﴿ثُمَّ

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٥/ ٣٢٩.

(٢) أمالي المرتضى غرر الفوائد ودرر القلائد، ٢/ ٢٨٩.

(٣) الكشاف للزمخشري، ٤/ ٧٥٦.

(٤) أمالي المرتضى غرر الفوائد ودرر القلائد، ٢/ ٢٨٩.

(٥) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي، ١٠/ ٤٨٢.

(٦) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي، ٦/ ٤١٤.

كانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَواصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [١٧-البلد]، ولو كان أراد النفي لم يتصل الكلام. وهذا الوجه ضعيف جدًّا، لأن قوله تعالى ﴿فَلَا﴾ خالٍ من لفظ الاستفهام، وقبيح حذف حرف الاستفهام في مثل هذا الموضع"(١). قال أبو حيّان "وَلَا نَعْرِفُ أَنَّ (لَا) وَحْدَهَا تَكُونُ لِلتَّحْضِيضِ، وَلَيْسَ مَعَهَا الْهَمْزَةُ"(٢).

والخلاصة أنّ (لا) في الآية الكريمة مراد بها الدعاء فتكون على القياس، أو مراد بها النفي حملًا على (لم) فلا يلزم تكرارها، أو مراد بها النفي المقتضي التكرار وجاء تكرارها في المعنى لا في اللفظ.

والمواضع الأخرى التي تفضل بذكرها الأستاذ عبدالرحمن الآنسي لا تخرج عن تلك الاحتمالات، فمنها ما جاء فيه (لا) للدعاء، ومنها ما جاء محمولًا على (لم) فلا يلزم أن يكرر.

---

(١) أمالي المرتضى غرر الفوائد ودرر القلائد، ٢/ ٢٨٩.

(٢) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي، ١٠/ ٤٨٢.

إنه أمر لا ينتهي منه العجب*

ترى كثيرًا من مستعملي العربية اليوم ترك استعمال حروف المعاني استعمالَها الموجز، تجدهم يريدون (أما) فيلحقونها ما لا ضرورة له بل هو ترهل وزيادة لا قيمة لهما، فلا يتركون (أما) حتى يقولوا: (أمّا بالنسبة لكذا)، أو (أما فيما يتعلق بكذا)، وهذا قريب من لغة العامة في نجد في تعبيرها عن (لأنّ) في التعليل بقولها (على شان انه). ولا تجد من وصفوا بالغيورين على اللغة من ينكر ذلك.

ويرون ترك حرف الشرط (إنْ) وجعل (في حالِ) في موضعه، وهو ترجمة حرفية للإنجليزية (in case)، ومع ذلك لا يزعجهم هذا.

وحرف (الباء) يجعلون في موضعه: بواسطة، ومن خلال، وعن طريق، ولا يحرك ذلك غيرتهم.

ويكاد يترك الناس بناء الفعل للمفعول. يستبدلون بذلك الفعلَ (تمّ) مسندًا إلى مصدر الفعل الأساسي، يفعلون ذلك للدلالة على كون الفاعل مجهولًا، والغريب أنهم يعودون إلى ذكر الفاعل في نهاية الجملة موافقين طريقة اللغة الإنجليزية، يقولون (تمّ افتتاح المصنع من قبل الوزير)، أما كان يسعهم أن يقولوا (أُفْتُتِح المصنعُ؛ افتتحه الوزير)، ولكن ذلك لا يهمهم.

وهم يخالفون عن قاعدة من أهم قواعد العربية وهي المطابقة بين الوصف والموصوف؛ إذ يكاد يطّرد هذا في نعتهم المؤنث بالصفات المذكرة على بناء (الأفعل) مثل: الأهم

---

* نشر في الجزيرة الثقافية الجمعة/السبت ١٤-١٥ ربيع الآخر١٤٤٥هـ/ ٢٩ سبتمبر ٢٠٢٣م، ع ١٨٤٤١.

والأقدم والأوسع، يقولون: المسألة الأهم، والكلية الأقدم، والصحراء الأوسع. ولا تحرك هذه المخالفة غيرتهم.

ولتصادفنَّ أكثرهم لا يفرقون بين (يَفْعَل) من الفعل الثلاثي المجرد و(يُفْعِل) من المزيد بالهمزة؛ لأنهم يفتحون حرف المضارعة منه، يقولون: يَلقي خطبة يريد يُلقي، ويَجري محادثة يريد يُجْري، ثم لا يجدون في أنفسهم شيئًا من ذلك.

وقريب من ذلك خلطهم بين الفعل المعتل بالألف والمعتل بغيرها عند إسناده إلى واو الجماعة، يقولون في مثل (الرجل دعا الضيوف): الرجال دعُوا الضيوف، بضم العين والصواب الفتح: دعَوا، أما (دعُوا) ففعل أمر من (يدَع) أي يترك. فهل يزعجهم هذا؟!

وتراهم يعاندون قاعدة الإدغام الواجب فيظهرون ما حقه الإدغام حين يقولون (المحاجَجَة)، و(المحاصَصَة) والصواب: المحاجَّة والمحاصّة، ولكنهم لا يتناهون عن مثل هذا. وهذا الخطأ قديم قال الحريري (ت ٥١٦هـ) "وَيَقُولُونَ: سارَر فلَانٌ فلَانًا وقاصَصه وحاجَجه وشاقَقه، فيبرزون التَّضْعِيف كَمَا يظهرونه فِي مصَادر هَذِه الْأَفْعَال أَيْضًا، فَيَقُولُونَ المساررة والمقاصصة والمحاججة والمشاققة. ويغلطون فِي جَمِيع ذَلِك؛ لِأَن الْعَرَب اسْتعْملت الْإِدْغَام فِي هَذِه الْأَفْعَال ونظائرها، طلبًا لاستخفاف اللَّفْظ، واستثقالًا للنطق بالحرفين المتماثلين، وَرَأَتْ أَن إبراز الْإِدْغَام بِمَنْزِلَة اللَّفْظ المكرر، والْحَدِيث الْمعَاد"(١).

(١) درة الغواص في أوهام الخواص للحريري، ص ١٠١.

وإنَّهم ليهدرون ظاهرة البدل في العربية، باستعمال (ممثَّلًا بـ) أو (ممثَّلة بـ) في موضع ذلك، نحو قولهم "وقّعت الكليةُ ممثلة بعميدها العقدَ"، والصواب: وقّعت الكليةُ عميدُها العقدَ، أو: وقّع عميد الكلية العقد.

وهم يُعرضون عن (المفعول المطلق) حين يُحلون محله اللفظة (بشكل) منعوتة بما يبين النوع، نحو "الكرة الآسيوية تطوّرت بشكل كبير"، يريدون: تطورت تطورًا كبيرًا.

سقت هذه المُثُل اليسيرة لأبين أنها أخطر وأحرى بأن تنال غيرة الغيورين الذين وُصفت غيرتهم بأنها محمودة؛ ولكن التعبير عنها متوقف فيه.

ثار الناس لغويون ومثقفون وغيرهم حين أعلن مجمع الخالدين قراره تعريب trend بلفظ (ترِنْد) وكأنها المرة الأولى التي يُعرب فيها لفظ أعجمي، والعربية منذ الجاهلية عربت ما شاء الله لها أن تعرب، وربما استعمل المعرب واستمر استعماله، وربما نسي كما نسيت ألفاظ عربية كثيرة. فمن يستعمل الآن لفظ (سكرجة) الوارد في الحديث "حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ يُونُسَ – قَالَ عَلِيٌّ: هُوَ الإِسْكَافُ – عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «مَا عَلِمْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكَلَ عَلَى سُكْرُجَةٍ قَطُّ، وَلاَ خُبِزَ لَهُ مُرَقَّقٌ قَطُّ، وَلاَ أَكَلَ عَلَى خِوَانٍ قَطُّ» قِيلَ لِقَتَادَةَ: فَعَلاَمَ كَانُوا يَأْكُلُونَ؟ قَالَ: «عَلَى السُّفَرِ»"[(١)]. وأين (الفالوذج) و(اللوزينج)؟

(١) صحيح البخاري، ٧/ ٧٠.

إن الاستعمال أو الإهمال هو ما يحيي اللفظ أو يميته، والعربية محيط لا ساحل له، وليست هذه اللفيظة سوى قطرة في لجّته، وهي مع ذلك عربية الأصوات؛ فليس في أصواتها ما ليس مستعملًا في العربية، أعني التاء والراء والنون والدال. وجاءت بتعريبها على بناء عربي تراثي هو (فِعِلّ) الذي جاءت عليه كلمات ذكر منها ابن دريد: فرس طِمِرّ: وثّاب، وَضِبِرّ، وفرس خِبِقّ: سريع العَدْو. وسِجِلّ: كتاب، وحِبِرّ وحِمِرّ: موضعان، وفِلِزّ، وَهُوَ خبَث الحَدِيد[1].

ولن تكون (تِرِنْد) سوى مرادفٍ لما يستعمله بعض الناس من مثل: رائج، أو متداول، أو شائع. فمن يرد إخمال اللفظ فليتجنبِ استعماله.

أعود فأقول إنه أمر لا ينتهي منه العجب السكوت على إفساد العربية أبنيتها وتراكيبها والتوقف في تعريب لفظة عربها علماء هم أهل للثقة وكان التوفيق حليفهم حين قاسوها على كلام العرب، وما قيس على كلام العرب صار من كلامهم.

(١) جمهرة اللغة لابن دريد، ٢/ ١١٦٤.

ثَمَّ وثَمَّه، وثَمَّة*

في العربية ظاهرتان مهمتان هما (همزة الوصل) و(هاء السكت)، وهما صوتان يجتلبهما المتكلم عند الحاجة إليهما، فهمزة الوصل يؤتى بها لتسويغ نطق ألفاظ بدأت بساكن؛ إذ لا يبدأ في العربية بساكن، نحو: (استطاع، ابنك، القدوم)، وأما هاء السكت فهي هاء مبنية على السكون تلحق ألفاظًا منتهية بحركة يراد الوقف عليها، والوقف على متحرك غير جائز فألحقت الهاء لتكون محلّ الوقف، نحو (عِهْ، كلاميَهْ).

ومن الألفاظ التي يجوز أن تلحقها (هاء السكت) الاسم (ثَمَّ). قال ابن يعيش "وأما (ثَمَّ)، فإشارةٌ إلى المكان البعيد، جعلوا لفظَه وصيغتَه تدلّ على بُعْد"[١]، ولك عند الوقف على (ثَمَّ) أن تقف بالسكون، أو تُلحق هاء السكت لتقف عليها، قال السيرافي "فإذا أشرت إلى مكان منتح متباعد، قلت: (ثَمَّ) إذا وصلت الكلام، فإذا وقفت عليه وقفت بالهاء، فقلت: (ثَمَّه). وإنما ألحقت الهاء إذا وقفت؛ لأن كل متحرك ليست حركته إعرابًا، جاز أن يلحق آخره هاء في الوقف؛ نحو: (كيفَ) و(أينَ) و(هيَ) و(هوَ)؛ فتقول: (كيفَه) و(أينَه) و(هيَه) و(هوَه) ... ويجوز ألّا تلحق هاء؛ فتقول: (جئتك من ثَمَّ)"[٢]. ومعنى هذا أن لهذا الظرف ثلاث أحوال في النطق: تشديد الميم وفتحها، في درج الكلام، وتشديد الميم وتسكينها في الوقف، وتشديد الميم وفتحها مختومة بهاء السكت في الوقف.

---

* نشر في الجزيرة الثقافية، الجمعة/السبت١٣-١٤ صفر ١٤٤٤هـ الموافقه ٠٩ سبتمبر ٢٠٢٢م. ع ١٨١١١

(١) شرح المفصل لابن يعيش، ٢/ ٣٧٠.

(٢) شرح كتاب سيبويه للسيرافي، ١/ ٩٩-١٠٠.

وبقيت حالة رابعة هي تشديد الميم وفتحها وختمها بتاء تأنيث معقودة (ثَمَّةَ). وهي حالة أطبق على استعمالها الناس خاصتهم وعامتهم؛ ولكنها لقيت إنكارًا، أنكرها أستاذنا الجليل د. بهاء عبد الرحمن، إذ قال في تغريدة له "من الأخطاء الشائعة بين العوام والخواص إلحاق تاء التأنيث بالظرف ثَمَّ، فيقولون (ثَمَّةَ داري) مثلًا، أي: هناك داري[١]، والصواب: ثَمَّ، ولا تلحق بها تاء التأنيث"[٢]، ومثله د. سليمان العيوني قال في تغريدة له "والصواب أن (ثَمّ) لا تدخلها تاء التأنيث، وأن هذا لم يرد في اللغة. والوارد في ذلك دخول هاء السكت عليها، فلذا تجدها حيث يمكن الوقف عليها، نحو: اجلس ثَمَّهْ"[٣].

وما جزم به الأستاذان الفاضلان يدعو إلى التوقف لأمرين: أحدهما أن بعض كنوز اللغة لما تنشر وليس ببعيد أن يكون اللفظ قد ورد فيها، وأما الأمر الآخر فهذه المواطن التي ورد فيها اللفظ وهي مواطن وصل لا مواطن وقف. مثال ذلك ما جاء في قول سيبويه "ومَن رفع [زيد] ثَمَّةَ رَفَعَ زيدًا ها هنا"[٤]. وفي قوله "فأدخلوا الفِعال ههنا كما أدخلوه ثَمَّةَ حين قالوا: إفالٌ وفِصالٌ"[٥]. ومثاله قول المبرد "وحد الظّرْف أَن يكون بعد الْمَفْعُول بِهِ وَمن ثَمَّةَ جَازَ لقِيت فِي دَاره زيدًا"[٦]. وقول الرضي "فمن ثَمَّةَ لا نقول إن

---

(١) الذين ذكروا اللفظ ذكروا أنه بمعنى (هنا) وأما (ثَمّ) فبمعنى (هناك).

(٢)انظر: @Bahauddeen: https://twitter.com/Bahauddeen/status/1282903622133714945?s=08

(٣) انظر: https://twitter.com/sboh3333/status/1532091326921048065

(٤) الكتاب لسيبويه، ١/ ٢٣٩.

(٥) الكتاب لسيبويه، ٣/ ٦١٤.

(٦) المقتضب للمبرد، ٤/ ١٠٢.

هذه الزيادات للإلحاق وإن صارت الكلم بها كالرباعي"[١]، وقوله "مع العلم أن ثمة اختلافًا كبيرًا"[٢]. وقد بحثت في المكتبة الشاملة عن (ومن ثمة) فوجدتها وردت في الكتب في (١١٨٠موضع). وليس يسهل القول إنّ (ثمة) في كل تلك المواقع هي (ثمه) بهاء السكت لا تاء التأنيث، ومن يرد قول ذلك فقد يحتاج إلى تأويل النصوص وليّها بما لا يناسب سلامة العربية وبيانها.

ولعل الذي أجاء الأستاذين الفاضلين إلى الجزم بما جزما به أنّ سيبويه في ما وجد من نسخ كتابه لم يأت على ذكرها؛ إذ اكتفى بالحديث عن الوقف على (ثَمَّ) بالهاء أو بلا هاء، وأن النحويين من بعده لم يذكروها، ولا جدال أن هذا أمر لافت؛ ولكن ليس من المعقول نفي ظاهرة اعتمادًا على أن سيبويه لم يذكرها، ومن المعلوم أن سيبويه، على جلالة قدره، بشر قد يفوته الشيء، وهذا أمر كشف عنه بعض الباحثين، قالت د. خديجة الحديثي: "وقد استطعنا أن نقرر أن سيبويه لم يكن دقيقًا في ادِّعائه حينما قرّر في كثير من المواضع أنّ ما ذكره في (الكتاب) هو كل ما ورد عن العرب، وأنّه لم يأتِ من بناء كذا لفظ، أو لم يأتِ من هذا البناء اسم أو صفة، ونحو هذا. وقد رددنا عليه في كثير من المواضع وأثبتنا أن الباحثين ذكروا بعده معظم ما قال عنه أنه لم يرد عن العرب، أو لم يُسمع له بناء، وبذلك أكملنا ما نقص في الكتاب"[٣].

---

(١) شرح شافية ابن الحاجب للرضي الأستراباذي، ١/ ٥٣.

(٢) شرح شافية ابن الحاجب للرضي الأستراباذي، ١/ ٣٤.

(٣) أبنية الصرف في كتاب سيبويه لخديجة الحديثي، ط١، مكتبة النهضة/ بغداد، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م. ص٤٤٢.
ينظر: أبوسعيد الحسن بن عبد الله السيرافي، فوائت كتاب سيبويه من الأبنية الصرفية، تحقيق محمد عبدالمطلب البكاء (ط١، وزارة الثقافة والإعلام/ بغداد، ٢٠٠٠م).

وليس لدينا نصّ نحوي على الظرف (ثمة)؛ ولكنَّ ثَمَّةَ نصَّين مهمين في نظري: النص الأول قول ابن سيدة (ت ٤٥٨هـ) "وثَمَّ بمعنى هُناكَ ... وثَمَّةَ أَيْضًا بمعنى ثَمَّ"[١]، وقوله: (أيضًا) يدل على أن (ثمة) غير (ثَمَّ) وأنها بمعناها. والنص الآخر الذي ذكره أحد المحاورين هو قول النووي (ت٦٧٦هـ): "قَوْلُهُ (وَالْمَسْجِدُ فِيمَا ثَمَّةَ) هَكَذَا هُوَ فِي جَمِيعِ النُّسَخِ (ثَمَّةَ)، قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ (ثَمَّ) بفتح الثاء و(ثمةَ) بفتح الهاء بِمَعْنَى (هُنَاكَ وَهُنَا)؛ فَثَمَّ لِلْبَعِيدِ وَثَمَّةَ لِلْقَرِيبِ"[٢].

والراجح عندي أنّ (ثَمَّةَ) صحيحة لورودها في نصوص لا يحسن السكوت عليها، ولما جاء في قولي ابن سيدة والنووي، ولاستقرارها في استعمال الناس حتى عمدت إلى تقعيدها بعض كتب الإملاء الحديثة[٣] وبعض كتب النحو[٤].

(١) المحكم والمحيط الأعظم لابن سيدة، ١٠: ١٣٦.

(٢) شرح مسلم للنووي، ١٥: ٤٠.

(٣) ينظر: المطالع النصرية للمطابع المصرية في الأصول الخطية لنصر الهوريني، ص: ١٢٣. الإملاء والترقيم في الكتابة العربية لعبدالعليم إبراهيم، ص: ٩٤. قواعد الإملاء لعبدالسلام هارون، ص: ٦٥.

(٤) ينظر: جامع الدروس العربية لمصطفى الغلاييني، ٣: ٦٢. النحو الوافي لعباس حسن، ١/ ٣٢٩، ٣٣٥. الموجز في قواعد اللغة العربية لسعيد الأفغاني، ١١٤.

الجزم بلا النافية*

أَسعد وأُسعد بما يكتبه ابننا د. فهد بن عبدالله الخلف حفظه الله ووفقه، ومن هذا ما قرأته واستمتعت به المنشور في الجزيرة الثقافية الجمعة/السبت ١٧-١٨ شوال ١٤٤٥هـ/ ٢٦ ابريل ٢٠٢٤م. ع.١٨٦٢١. وعنوانه (خيالٌ لا ينقطعْ: قراءة في ألف ليلة وليلة)، والمقال يتحدث عن أمر طريف ولعل طرافته هي ما شجعت الدكتور الخلف على الكتابة الممتعة، قال "هذا عنوان كتاب مهمّ للدكتور سعيد الغانمي صدر منه ألف نسخة عن دار الرافدين في طبعته الأولى في يناير ٢٠٢٢م، وقد لفت نظري ضبط صيغة الفعل المضارع بالسكون في الغلاف الخارجي والداخلي، ولا أعلم أهذا الضبط من عمل المؤلّف أم من عمل الناشر؟ وجزم الفعل المضارع (ينقطعْ) هنا خلاف الأولى، فالذي يظهر لي أنّ (لا) في هذا السياق نافية لا تعمل في المضارع شيئًا من الناحية الإعرابيّة فيبقى مرفوعًا (خيالٌ لا ينقطعُ)"، والذي ينظر إلى صورة غلاف الكتاب يرى العنوان خطه خطاط والغالب أن السكون من عمل الخطّاط، كأنه أراد التأكيد على الوقف هنا. والدكتور الخلف ربما خطر له أن هذا من الخطأ الكتابي الذي قد لا تسلم منه عنوانات الكتب ولا متونها؛ وما أظنه أهمه الأمر لأول وهلة؛ ولكنه حين قرأ الكتاب لمعت في ذهنه الخاطرة اللطيفة التي أراد أن يعرضها بين يدي تسويغ هذا التسكين. ونقل لنا من نصوص المؤلف ما أوحت به فقال "يتّضح من النقول الثلاثة السابقة أنّ الخيال لم ينقطع عن تأليف حكايات ألف ليلة وليلة فكلّ راوٍ يضيف على ما قاله الرواة قبله محاولًا التفوّق عليهم وإضافة الجديد، وبالاستناد إلى هذا فجزم الفعل المضارع بـ(لا)

* نشر في الجزيرة الثقافية في الجمعة/السبت ٢-٣ ذو القعدة ١٤٤٥هـ/ ١٠ مايو ٢٠٢٤م. ع ١٨٦٣٣.

الناهية في العنوان (خيالٌ لا ينقطعْ) له وجاهته، فكأنّ المؤلّف ينهى عن انقطاع الخيال الذي يُسهِم في إضافة حكايات جديدة، وتنوّع في الحكايات، ونموٍّ لها عبر الزمن"، ولكن هذه الطرافة يضعفها أمران أولهما أن المؤلف واصف، ولا أحسبه يهمه زيادة حكايات (ألف ليلة وليلة) ولا الدعوة إلى ذلك، وآخرهما أن إسناد فعل النهي لغير المخاطب ضعيف، قال ابن عقيل "والذي ذكره غيره، أن لا الناهية تدخل على المبني للمفعول، غائبًا كان أو مخاطبًا أو متكلمًا، نحو: لا يُضربْ زيدٌ، ولا تُضربْ يا زيدُ، ولا أُضربْ أنا؛ وأما المبني للفاعل، فالأكثر دخولها فيه على ما هو للمخاطب، ويضعف للغائب والمتكلم"[(١)]؛ ولكن يمكن أن تبقى (لا) على بابها من النفي وتسويغ الجزم متابعة لبعض ما ورد عن العرب من جزم بلا النافية، قال الفراء "ويصلح فِي (لا) عَلَى هَذَا المعنى الجزم. العرب تَقُولُ: ربطت الفرس لا ينفلتْ، وأوثقت عبدي لا يفرِرْ. وأنشدني بعض بني عقيل:

وَحَتَّى رأينا أحسنَ الْوُدّ بيننا ... مساكتةً لا يقرِفِ الشرَّ قَارفُ

وبعضهم يقول: لا يَقْرفُ الشرّ، والرفع لغة أهل الحجاز. وبذلك جاء القرآن"[(٢)].

وأورد ابن مالك قول الفراء في شرحه على كتابه (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد)[(٣)]، ثم تعقبه أبو حيان لذلك فقال "ولم يذكر المصنف ولا ابنه الشارح خلافًا في هذه المسألة، وادعيا أن العرب تجيز الجزم والرفع في مثل هذا، وقد خالفا في ذلك

---

(١) المساعد على تسهيل الفوائد لابن عقيل، ٣/ ١٢٧.

(٢) معاني القرآن للفراء، ٢/ ٣٨٣.

(٣) ينظر: شرح تسهيل الفوائد لابن مالك، ٤/ ٤٨.

الخليل و(س)[١] وسائر البصريين، فكان ينبغي أن ينبه على خلاف هؤلاء، وإذا كان خلاف هؤلاء لا يُنقل ويُزعم أن العرب تقول مثل هذا اغترّ بذلك من ليس له اطلاع على مذاهب العرب ولا على خلاف أئمة العربية؛ ولكنْ حُسنُ الظن يَسَعُهما، أما ابن المصنف فلقلة محفوظه، وأما أبوه المصنف فلقلة اعتنائه بكتاب س"[٢]. وليس بغريب تعقيب أبي حيان "وهو أشد النحاة مخالفة لابن مالك وأكثرهم شغبًا عليه"[٣].

والحق أن عدها (لا) ناهية أو نافية جازمة ضعيف، ولعل تفسير السكون في هذا الموضع راجع إلى خطأ الكتابة؛ فإن أحسنا الظن أرجعناه إلى معاملة نهاية العنوان معاملة الروي المقيد.

---

(١) أي سيبويه.

(٢) التذييل والتكميل في شرح التسهيل لأبي حيان الأندلسي، ١٥/ ٣٦٢.

(٣) تقديم يوسف خليف لكتاب تسهيل الفوائد لابن مالك، ص: و.

ما لا ينوب عن الفاعل*

قد يحذف الفاعل وتغير بنية الفعل ليسند إلى المفعول به أو ما ينوب عنه من مفعولات لأغراض مختلفة(١)، وأما المفعولات التي تقام مقام الفاعل فهي المفعول به(٢). والمجرور(٣)والمصدر والظرف المكاني والزماني(٤).

وأما سوى ذلك من المفعولات فلا تنوب عن المفعول به في نيابته عن الفاعل(٥)؛ فلا يسند الفعل المبني للمفعول إلى (المفعول له)، قال الفارسي "وليس كذلك المفعول له، لأنك متى أقمته مُقامَ الفاعل خرج عن أن يكون مفعولًا له، ولم يكن عليه دلالة؛ لأنه إنما يُعلمُ [كونه] مفعولًا له متى كان [فضلة] بعد الفاعل يُقدرُ وصول الفعل إليه باللام. وهذا المعنى يبطله كونه [نائب] فاعل وينافيه لو قلت: (أتى الإكرمُ) لم يُفهم

* نشر في الجزيرة الثقافية في الجمعة/السبت ٧-٨ رجب ١٤٤٥هـ/ ١٩ يناير ٢٠٢٤م. ع ١٨٥٣٧.

(١) يحذف الفاعل ويبنى الفعل للمفعول إن عُرف الفاعل ابتداءًا، نحو (أُنْزِلَ الغيثُ) فمنزل الغيث هو الله سبحانه وتعالى، أو جُهِل نحو (سُرِقَ المتاعُ)، أو أُجِلَّ، نحو (ضُرِب الجاني) حذف الفاعل لأنه أجلّ من أن يذكر مع الجاني، أو حُقّر، نحو (قُتِلَ عمرُ) حذفنا الفاعل لأنا نراه أحقر من أن يذكر مع المفعول به، أو أُبْهِم، نحو (حُلَّ المُشكلُ) لأنا أردنا أن نخفي اسم الفاعل لغرض مّا، أو خيف منه، نحو (قُتِلَ الأميرُ) أخفينا اسم القاتل لا جهلًا به ولكن خوفًا منه إن صرحنا باسمه، أو خيف عليه، نحو (كُسِر الكأسُ) كأن يكون الفاعل طفلًا نخاف عليه من العقاب.

(٢) الأصول في النحو لابن السراج، ١/ ٨٦.

(٣) الأصول في النحو لابن السراج، ١/ ٨٨.

(٤) الأصول في النحو لابن السراج، ١/ ٨٩.

(٥) قال الشاطبي في (المقاصد الشافية، ٣/ ٥): "ولأنَّ غيرَه [المفعول به] لا يقوم مَقَامَ الفاعل إلا مع تصييره مفعولًا به مجازًا".

عنك [أنك] أتيت أمرًا من أجل الإكرام، بل يُفهمُ أنه فُعِل نفسُ الإكرام لا شيء غيرهُ من أجله. فلما كان كذلك لم يجز إقامته مقام الفاعل ولم يصح ذلك فيه"(١).

ولا يسند إلى (المفعول معه)، قال الفارسي "ومما لا يجوز من المفعولات أن يقام مقام الفاعل المفعول معه نحو (استوى الماء والخشبة)، وإنما لم يجز إقامته مقام الفاعل؛ لأن كونهُ مفعولًا معه يُبطله قيامه مقام الفاعل، لأن كونه مفعولًا معه يقتضي أن يكون مع فاعل ليكون مفعولًا معه، فإذا أقمته مقام الفاعل لم يكن مفعولًا معه كما لا يكون الباب الأول مفعولًا له، ويمتنع إقامة هذا الاسم مقام الفاعل من وجه آخر، وهو أنه لا يخلو إذا أقمته مُقام الفاعل من أن تذكرَ الحرف الذي تدل به على أنه مفعول معه أو لا تذكره، فإن أقمته مقام الفاعل ولم تذكر الحرف الذي يدل به على أنه مفعول معه لم يجز؛ لأن الاسم به يُدل على أنه مفعول معه، فإذا لم تذكره لم يدُل على ذلك، وإن ذكرت الحرف أيضًا لم يجز، وذلك أن الحرف وإن لم يكن عاطفًا هنا فإنه يمتنع استعماله إلا على حد ما كان في العطف"(٢).

ولا يسند إلى (الحال)، قال الشاطبي "وأمَّا الحالُ فيمتنع إقامته في مُقامَ الفاعل لأنَّه على تقدير: (في [حال] كذا)، وإذا أقمتَهُ لم يُفهم ذلك المعنى بحاله كما تقدّم في المفعول له، وأيضًا فإنَّ الحالَ يفارق المفعولَ به في كونه لا يقع إلا نكرة، بخلاف المصدر والظرف"(٣).

(١) المسائل البصريات لأبي علي الفارسي، ١/ ٢٢٩- ١/ ٢٣٠.

(٢) المسائل البصريات لأبي علي الفارسي، ١/ ٢٣٠.

(٣) شرح ألفية ابن مالك للشاطبي، ٣/ ١١-١٢.

ولا يسند إلى (التمييز) أيضًا، قال الشاطبي: "وأمَّا التمييزُ فإنَّه على تقدير (مِنْ)، وعلى معناها، وإذا أُقيم مُقَامَ الفاعل زالَ ذلك المعنى، كما مَرَّ في المفعول له. هذا إذا فرضتَه مُميَّزًا للمفرد، وإن كان مميَّزًا للجملة نحو ﴿اشتَعَلَ الرأسُ شَيْبًا﴾ فهو الفاعل في المعنى، فلا يَصِحُّ أنْ يُبْنَى له الفعلُ بناءَ ما لم يُسَمَّ فاعلُه؛ لأنه نَحْوٌ من بناء الفعل للمفعول مع ذكر الفاعل، وذلك لا يستقيم، وأيضًا فالتمييز يفارقُ المفعولَ به في لزومه التنكير كالحال"[(١)].

ولا يسند إلى (المستثنى) أيضًا، قال الشاطبي "وأمَّا المستثنى فلا يستقيم أيضًا أنْ يُقامَ، لأنَّه يودِّي إلى تفريغ الفعل لما بعدَ (إلا) في الإيجاب، فإذا قلتَ: قام القومُ إلا زيدًا، لم يَسُغ أن تقولَ فيه: قِيم إلا زيدٌ، كما لا يستقيم أنْ تقولَ: قام إلا زيدٌ، وأما في النفي فلوقوع اللبْس والإيهام لو قلتَ: ما جاء القوم إلا زيدًا، فبنيتَه للمفعول، فقلتَ: ما جيِء إلا زيدٌ لتُوُهِّمَ أنَّه مفعولٌ به، وأيضًا لا يُقامَ إلا ما أشبه المفعولَ به، واتُّسِع فيه حتى يصير مفعولًا به مجازًا مع بقاء معناه. وهذا متعذِّرٌ في المستثنى؛ إذ لا يُتَسَّع فيه كما يُتَّسَعُ في الظرف والمصدر"[(٢)].

(١) شرح ألفية ابن مالك للشاطبي، ٣/ ١٢.

(٢) شرح ألفية ابن مالك للشاطبي، ٣/ ١٢.

مجيء (أفعل) لغير التفضيل*

المشهور استعمال اسم التفضيل (أفْعَل) الملازِمه الحرف (مِن)، نحو قوله تعالى ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [١٦٧-آل عمران]، ولكنّ (أفعل) قد يستعمل في اللغة لغير التفضيل ولا يلازمه (من) الدال على التفضيل، فيكون (أفعل) بمعنى اسم الفاعل أو الصفة المشبهة باسم الفاعل، وشواهده كثيرة في القرآن وفي الأشعار، ومن ذلك قوله تعالى ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ [٣٢-النجم]، وقوله ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ [٢٢٨ —البقرة]

وقوله ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [٢٧-الروم]

وقوله ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ﴾ [٣٥-يونس]

قال أبوحيان "أحق: ليست أفعل تفضيل، بل المعنى: حقيق بأن يتبع"[١].

وقوله تعالى ﴿قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [٨٧-هود]

قال أبو حيان "أطهر: ليس أفعل تفضيل؛ إذ لا طهارة في إتيان الذكور"[٢].

وقوله تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ [١٦-الأحقاف]

قال الجَمل "بمعنى حسن، فالقبول ليس مقصورًا على أفضل وأحسن عبادتهم، بل يعم كل طاعتهم، فاضلها ومفضولها"[٣].

---

* نشر في الجزيرة الثقافية الجمعة/السبت٢-٣ رمضان ١٤٤٤هـ/ ٢٤ مارس ٢٠٢٣م، ع١٨٢٧٩.

(١) أبوحيان، البحر المحيط، ٦/٥٥.

(٢) أبوحيان، البحر المحيط، ٦/١٨٧.

(٣) سليمان الجمل، الفتوحات الإلهية بشرح تفسير الجلالين، نشرة: إبراهيم شمس الدين، ٧/ ١٦٤.

ومن ذلك في الأشعار قول الشنفرى[١]:

أَقيموا بَني أُمّي صُدورَ مَطِيِّكُمْ ... فَإنّي إلى قَوْمٍ سِواكُم لَأَمْيَلُ

وإن مُدّتِ الأَيْدي إلى الزّادِ لَمْ أَكُنْ ... بِأعْجَلِهِمْ إذْ أَجْشَعُ الْقَوْمِ أَعْجَلُ

ولعل هذه الشواهد وغيرها مما جاء في لغة العرب هي التي دعت أبا عبيدة إلى القول إن (أفعل) بمعنى فاعل، قال عند قوله تعالى ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [٢٧-الروم] "مجازه: وذلك هيّن عليه؛ لأن «(أفعل) يوضع في موضع الفاعل قال [معن بن أوس]:

لَعَمْرُكَ ما أَدْرِي وَإنّي لَأَوْجَلُ ... عَلى أَيِّنا تَعْدُو الْمَنِيَّةُ أَوَّلُ

أي وإني لواجلٌ أي لوجِل، وقال:

[تَمَنَّى رِجالٌ أن أَموتَ، وإنْ أَمُتْ] فتلك سبيلٌ لسْتُ فيها بأوْحَدِ

أي بواحد. وفي الأذان: الله أكبر، أي الله كبير. وقال الشاعر[الأحوص]:

إِنِّي لَأَمْنَحُكَ الصُّدودَ وإنَّني ... قَسَمًا إليكَ مَعَ الصُّدودِ لَأَمْيَلُ

وقال الفرزدق:

إنَّ الذي سَمَكَ السَّماءَ بَنى لنا ... بيتًا دَعائِمُهُ أَعَزُّ وأَطْوَلُ

أي عزيزة طويلة"[٢].

قال أبو حيان "وزَرَى النحويون على أبي عبيدة هذا القول، ولم يسلِّموا له هذا الاختيار، وقالوا: لا يخلو أَفْعَلُ من التفضيل. وعارضوا حججه بالإبطال، وتأوَّلوا ما

(١) الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين للخالديّين، ص٦٠.

(٢) أبو عبيدة، مجاز القرآن، ٢/ ١٢١.

استدلَّ به ... فأمَّا ما استدلُّوا به على كون أفْعَلَ يكون بمعنى فاعِل أو بمعنى الصفة المشبهة فهو محتمل فيه التفضيل"[١].

وأما المبرد فجعله قياسًا، قال "وَاعْلَم أَن (أفْعَل) إِذا أردْت أَن تضعه مَوضِع الْفَاعِل فمطرد، فَمن ذَلِك قَوْله:

قُبِّحْتُمُ يا آلَ زيدٍ نَفَرَا ... أَلْأَمُ قَومٍ أَصْغَرًا وأَكْبَرَا

يُرِيد: صَغِيرًا وكبيرًا فَهَذَا سَبِيل هَذَا الْبَاب"[٢].

وتوقف ابن مالك في هذا، قال "وأجاز أبو العباس محمد بن يزيد استعمال أفعل مؤوّلًا بما لا تفضيل فيه قياسًا. والأولى أن يمنع فيه القياس ويقتصر منه على ما سمع"[٣].

نخلص من هذا إلى أن النحويين اختلفوا فذهبوا ثلاثة مذاهب:

الأول: منع مجيء أفعل بمعنى فاعل ونحوه وتأوّل ما يفهم منه ذلك.

الثاني: قبول مجيء أفعل بمعنى فاعل ونحوه في حدود السماع.

الثالث: قبول مجيء أفعل بمعنى فاعل ونحوه وجعله مقيسًا.

ولعل الاتجاه الثاني أرجحها بشرط أن يكون ثمّ قرينة تصرف أفعل عن دلالة التفضيل.

---

(١) أبوحيان، التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، ١٠/ ٢٧٠.

(٢) المبرد، المقتضب، ٣/ ٢٤٧.

(٣) ابن مالك، شرح التسهيل، ٣/ ٦٠.

من علل النحويين المعاوضة أو المقاصة*

يعلل النحويون حدوث ظاهرة لغوية بأنه عوض من حدوث عكسها، فيظهر كأن ما حدث في إحداهما هو عوض مما حدث في الأخرى، أو هو اقتصاص، ولعل تعليلهم هذا دليل على غياب العلة المقنعة، ولذلك وصفها النحوي الجِهبِذ ابن مالك بالضعف[١]. وقال أستاذنا كمال محمد بشر: "وهو تعليل واه ضعيف"[٢]. ومن الأعمال السابقة في هذا الموضوع بحث "ظاهرة التقاص في النحو العربي"، كتبه دردير محمد أبوالسعود، نشر في مجلة الجامعة الإسلامية، السنة ١٦، العددان: ٦٣-٦٤ في رجب-ذوالحجة ١٤٠٤هـ. الصفحات (١٥٧-١٦٧)، وبحث "علة التقاصّ أو المقاصّة في النحو العربي"، كتبه عبدالناصر إسماعيل عساف، نشر في "التراث العربي"، مج ٣٢، ع ١٣٢، ١٣٣. عام (٢٠١٤)، الصفحات (٢١١-٢٤٠) . وسأكتفي بإيراد أمثلة لهذا التعليل، ولعل من هذه المثل ما لم يرد في البحثين.

١-قلب الهمزة هاء وقلب الهاء همزة، قال ابن يعيش "والهمزة قد تُبدَل من الهاء، قالوا: (ماءٌ)، و(شاءٌ)، والأصلُ: مَوَهٌ، وشَوَهٌ، وكان ذلك لضرب من التَقاصّ لكثرةِ إبدال الهاء من الهمزة. ألا تراهم قالوا: "هِنْ فعلتَ فعلتُ"، والمراد: (إن)"[٣].

---

* نشر في الجزيرة الثقافية في الجمعة/السبت، ١٤-١٥ رجب ١٤٤٥هـ/ ٢٦ يناير ٢٠٢٤م. ع١٨٥٤٣.

(١) إيجاز التعريف في علم التصريف لابن مالك، ص ١٦٣.

(٢) دراسات في علم اللغة لكمال محمد بشر، ص ١١٧.

(٣) شرح المفصل لابن يعيش، ٣/ ٧٦.

٢-إبدال التاء سينًا والسين تاءًا، فالفعل (استخذ) في قولهم (استخذ فلان أرضًا) أصله (اتّخذ)، "ثمّ أبدلوها من التّاء الأولى الّتي هي فاء افتعل من (تخذ) الّتي في قوله تعالى ﴿لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [٧٧-الكهف]، كما أبدلوا التّاء من السّين في: ستّ، معاوضة"[١]. وأصل (ست): سدس، ماثلت الدال السين في الهمس فصارت تاءًا، وماثلت السين الدال فصارت أسنانية لثوية، فهذه مماثلة تبادلية.

٣-قلب الهمزة علة، وقلب العلة همزة: "نحو: صحراء وخنفساء، تقول في جمعها: صحراوات وخنفساوات ... وإنما قلبوها حرف علة؛ لأن حروف العلة تقلب إلى الهمزة كثيرًا، فقلبوها إليها معاوضة"[٢]. ومثال قلب العلة همزة قائل في قاول، وبائع في بايع.

٤- السكون في الأفعال مقابل الكسر في الأسماء، فإن حرك الساكن اختير له الكسر، إذ "الأصل في التحريك لالتقاء الساكنين هو التحريك بالكسر؛ لأن السكون في الأفعال المجزومة عِوَضٌ عن الكسر الذي في الأسماء المعربة المجرورة، فلما احتيج ههنا إلى تحريك الساكن كان الأَوْلى التحريك بحركة كان السكون عوضًا عنها على سبيل المقاصَّة والمعاوضة"[٣].

٥-تعليل استعمال اللام لنطق الألف، ذكر ابن جني أنهم لما توصلوا إلى النطق بلام التعريف الساكنة بأن قدموا قبلها ألفًا نحو: الغلام والجارية قدّم واضع الهجائية قبل

---

(١) البديع في علم العربية، ٢/ ٥٥٤.

(٢) توجيه اللمع، ص: ٩٨.

(٣) شرح شافية ابن الحاجب لركن الدين الأستراباذي، ١/ ٥٠٠. وانظر: شرح شافية ابن الحاجب للرضي الأستراباذي، ٢/ ٢٣٥.

الألف في (لا)، لامًا، توصلًا إلى النطق بالألف الساكنة، فكان في ذلك ضرب من المعاوضة بين الحرفين[١].

٦- إبدال الواو من الياء، والياء من الواو: ذكر ابن عقيل أن الياء لامَ الاسم على بناء (فَعْلَى) تبدل واوًا بخلاف الصفة منه "نحو (تَقْوَى) وأصله (تَقْيا) لأنه من تقيت...ومثل تقوى (فَتْوى) بمعنى الفتيا و(بَقْوى)"، وفي المقابل تبدل الواو لامَ الوصف على بناء فُعْلَى ياءًا بخلاف الاسم نحو "الدُّنيا والعُليا"[٢].

قال الشاطبي "وكأنَّ هذا عند الناظم [ابن مالك] كالمعاوضة بين الاسم والصفة، فلما كان القلب في فَعْلي في الاسم ولم يكن في الصفة كان هنا [في فُعلى في الصفة]دون الاسم لضرب من المعاوضة"[٣].

٧-استعمال الوصف على بناء (فَعّال) بمعنى الوصف على (فاعل):

قال ناظر الجيش "وأشار [ابن مالك] بقوله: وقد يقام أحدهما مقام الآخر وغيرهما مقامهما، إلى أن المعاوضة قد تحصل بين فَعّال وفاعِل، وإلى أن غيرهما يقوم مقامها"[٤]، ومثّل لذلك واستشهد، فمن قيام فعّال مقام فاعل: نبّال، أي: ذو نبل، وظَلَّام، أي: ذو ظلم، وسيّاف، أي: صاحب سيف، وترّاس، أي: صاحب الترس، وبغّال، أي:

---

(١) سر صناعة الإعراب لابن جني، ١/ ٥٧.

(٢) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ٤/ ٢٢٦.

(٣) شرح ألفية ابن مالك للشاطبي = المقاصد الشافية، ٩/ ١٨٨.

(٤) تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد لناظر الجيش، ٩/ ٤٧٣٨.

صاحب بغل، ومثال قيام (فاعِل) مقام (فَعّال): حائك، أي: حوّاك؛ لأن الحياكة من الحرف والصنائع[(١)].

٨-جعل الفتحة علامة جر للممنوع من الصرف: وعدّ ابن الأثير ذلك "للمعاوضة من حملهم النصب على الجرّ في التثنية والجمع"[(٢)]. فعلامة نصب المثنى وجمع المذكر السالم الياء التي هي علامة الجر.

٩-تستعمل (غير) بمعنى (إلا) وتستعمل (إلا) بمعنى (غير): الأصل في (غير) أن يوصف بها "وأمّا الفرع: فدخولها على (إلّا) في بابها؛ فيستثنى بها، وتعطى حكمها، كالمعاوضة لها عن دخول (إلّا) عليها في باب الوصف"[(٣)]. "تقول: قام القومُ إلّا زيدٌ، فـ(إلّا) صفة، كأنّك قلت: قام القومُ غيرُ زيدٍ"[(٤)].

١٠- تكف (إن) عمل (ما) الحجازية، وتكف (ما) عمل (إنَّ): ذكر الزنجاني خمسة أمور تبطل عمل (ما) المشبهة بليس "أحدها: أن يفصل بينها وبين اسمها بـ(إنْ) المكسورة الخفيفة، تقول: ما إنْ زيدٌ قائمٌ ... وذلك لأن (ما) ضعفت بالفصل، ولأن (إنْ) الخفيفة تشابه (إنَّ) الثقيلة و(ما) يبطل عمل (إنَّ) كقوله تعالى ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [النساء: ١٧١]، فأبطلت (إنْ) عمل (ما) تقاصًّا بينهما"[(٥)].

(١) تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد لناظر الجيش، ٩/ ٤٧٣٨.
(٢) البديع في علم العربية لابن الأثير، ١/ ١٨.
(٣) البديع في علم العربية لابن الأثير، ١/ ٢١٦.
(٤) البديع في علم العربية لابن الأثير، ١/ ٢١٦.
(٥) الكافي في شرح الوافي للزنجاني؛ مج١، تحقيق: محمود بن يوسف فجال، ١/ ٥٠٣.

١١-قد يستتر الضمير حينًا ويبرز حينًا للمعاوضة: يرى النحويون أن عمل الوصف فرع على الفعل وأنه لذلك يستتر فاعله الضمير إن كان جاريًا على ما هو له تقول: (زيد قائم) فالفاعل ضمير مستتر، بخلاف الفعل الذي يستتر فيه الضمير ويبرز، تقول: زيد قام، والزيدان قاما. وحين رأوا الوصف يبرز ضميره إن كان جاريًا على غير ما هو له عللوا ذلك بعلل منها أنه عوض بروز الضمير مع الفعل، نقل ناظر الجيش عن ابن أبي الربيع قوله: «فلمّا كانت الصفة إذا جرت على من هي له في المعنى يستتر فيها الضمير مطلقًا، ولم تكن كالضّمير في الفعل في الكمون والظّهور، واستتر في الصّفة في مواضع ظهر فيها في الفعل - جعلوها إذا جرت على غير من هي له يظهر ضميرها مطلقًا؛ ليظهر فيها في مواضع كمن فيها في الفعل، كما استتر في مواضع ظهر فيها في الفعل فكأن هذا معاوضة»[١].

١٢-حذف تنوين الواحد المعرف بأل وبقاء النون في المثنى والجمع: ينتهي الاسم المعرب المتمكن تمكنًا أمكن بحركة وتنوين، ويرمز لهما بالكتابة بحركتين متماثلتين ضمتين أو كسرتين أو فتحتين (مسلمٌ، بمسلمٍ، مسلمًا)، وأما المثنى وجمع المذكر السالم فتخلف الحركتين نون (مسلمان، مسلمون)، فإن عرف الواحد بأل بقيت حركة الإعراب وحذف التنوين (المؤمنُ القويُّ خير من المؤمنِ الضعيفِ)، وأما في المثنى والجمع فتذهب الحركة وتبقى النون (المسلمان، المسلمون)، قال الزنجاني "لضرب من التعادل والتقاص"[٢].

(١) تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد لناظر الجيش، ٢/ ٩٦٦.

(٢) الكافي في شرح الوافي للزنجاني، ١/ ٣٢٥.

١٣-كسر نون المثنى وفتح نون الجمع: قال الزنجاني "وجعلوا الكسرة التي هي أثقل من الفتحة مع الألف التي هي أخف من الواو، والفتحةَ التي هي أخف من الكسرة مع الواو التي هي أثقل من الألف للتعادل"(١)، ويقصد بالتعادل المعاوضة أو المقاصة، وقد مرّ استعماله للتعادل قرينًا للتقاص في نصّ سابق.

(١) الكافي في شرح الوافي للزنجاني، ١/ ٣٢١.

هذه الثلاثة الأحرف*

قرأت في ملحوظات ومآخذ كتبها أستاذنا القدير أ.د. فوزي حسن الشايب، كتبها عن كتاب (تصحيح الفصيح لابن درستويه)، ونشرت في مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٤٤٣هـ-٢٠٢٢م. مج٣٤، ع٤. ص٣٣٢-٣٣٣.

توقف أستاذنا في قول ابن درستويه "في هذه الثلاثة الأحرف" (تصحيح الفصيح، ص ٢١٧)، قال "أما خطأ المؤلف [ابن درستويه]، فيتمثل في إلحاق «ال» بالمضاف إلى معرفة إضافة حقيقية، وهذا لا يجوز؛ لأن المضاف سيصبح عندها معرفًا من جهتين: بـ(ال) التعريف، وبالإضافة إلى المعرّف بها، فيجتمع على الاسم تعريفان، وهذا لا يجوز؛ لأنه لا يجوز أن يجتمع على الاسم تعريفان من وجهين"، وذكر استثناء النحويين لما إضافته لفظية مثل (المنفذو المشروع)، ولإضافة الصفة المشبّهة إلى مرفوعها، نحو: أقبل الرجلُ الحسنُ الوجهِ، وقال "ولذا فالصواب أن يقول: في ثلاثة الأحرف هذه".

والحق أن ابن درستويه لم يخطئ؛ لأن اسم الإشارة يقتضي أن يتبع بما هو محلّى بـ(ال)، قال الزمخشري "واسم الإشارة لا يوصف إلا بما فيه الألف واللام كقولك يا هذا الرجل ويا هؤلاء الرجال"[١]. ويفضل السهيلي عدّه بيانًا، قال "وكذلك المبهم عندي أيضًا لا ينعت إنما يبين بالجنس الذي يشير إليه. كقولك: هذا الرجلُ، فالرجل تبيين لـ(هذا) أي: عطف بيان، وتبيينه بالجنس الذي يشير إليه آكد من تحليته بالنعت. فإذا

* نشرت في الجزيرة الثقافية الجمعة/السبت٢٣-٢٤ ذوالقعدة ١٤٤٥هـ ٣١ مايو ٢٠٢٤م. ع ١٨٧٥١.

(١) المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري، ص ٦٤.

عرفت المخاطب ما الذي تشير إليه فحِينئذ فانعته إن شئت أو لا تنعته، ولا معنى لوصف (هذا) و(ذلك) بصفة مضافة. وهو إشارة كالإشارة باليد والرأس، حتى يذكر المشار إليه"[١]. وتابعه ابن يعيش، قال "واعلم أنّ حقيقةَ هذا النعت، وما كان مثلَه في نحو: (هذا الرجلُ) إنّما هو عطفُ بيان، وقولُ النحويين إنه نعتٌ تقريبٌ، وذلك لأن النعت تَحْلِيَةُ الموصوف بمعنى فيه، أو في شيء من سَبَبه، وهذه أجناسٌ، فهي شرحٌ، وبيانٌ للأوّل كالبَدَل، والتأكيدِ، فلذلك كان عطفَ بيان، ولم يكن نعتًا"[٢].

والذي أشكل على أستاذنا إضافة العدد إلى المعرفة، وإضافة العدد ليست كإضافة أسماء الذوات بل هي أشبه بإضافة الصفات، فكأن إضافتها إضافة لفظية، إذ لم يُعرّفها المضاف إليه بل ميّز جنسها. ولذا أجاز الكوفيون إدخال (ال) على العدد المضاف، قال ابن سيدة "وَأَجَازَ الْكُوفِيُّونَ إِدْخَال الْألف وَاللَّام على الأول وَالثَّانِي، وشبهوا ذَلِك بالْحسنِ الْوَجْه، فَقَالُوا: الثَّلَاثَة الأثواب، والخمسة الدَّرَاهِم، كَمَا تَقول: هَذَا الْحسنُ الْوَجْهِ، وقاسوا هَذَا بِمَا طَال أَيْضًا فَقَالُوا: الثَّلَاثُ الْمِائَةِ الْألفِ الدِّرْهَمِ"[٣]. ولذا ساغ أن يكون العدد المضاف المحلى بـ(ال) صفة لاسم الإشارة أو عطف بيان.

ونجد ما استعمله ابن درستويه استعمله غيره من النحويين واللغويين، نذكر أمثلة من غير استقصاء، مثل ابن السراج، قال "فأما سحر إذا أردت به سحر يومك وغدوة وبكرة، هذه الثلاثة الأحرف، فإنها لا تتصرف"[٤]. والزجاجي قال "وكذلك كل

(١) نتائج الفكر في النحو، تحقيق: البنا، ص ٢١٤.
(٢) شرح المفصل لابن يعيش، ١/ ٣٢٣.
(٣) العدد في اللغة، لابن سيدة، ص ٦٤.
(٤) الأصول في النحو لابن السراج، ١/ ١٩٠.

معطوف بعد جواب الجزاء من الأفعال المستقبلة يجوز فيه هذه الثلاثة الأوجه"[١]. والقالي قال "وتمد هذه الثلاثة الأحرف أيضًا"[٢]، والسيرافي قال "وقد كان تعدّي الفعل في هذه الخمسة الأفعال بحرف جرّ"[٣]. والأنباري قال "وإذا جاز أن تكون هذه الخمسة الأمثلة معربة"[٤]. وابن مالك قال: "لا سيما كلمة تلازمها التاء كملازمتها هذه الثلاثة الأسماء"[٥].

ولا يعاند هذا الاستعمال ما جاء عند المبرد قال "فعلى هَذَا تَقول: هَذِه ثَلَاثَة أَثوَاب، كَمَا تَقول: هَذَا صَاحب ثوبٍ، فَإِن أردْت التَّعْرِيف قلت: هَذِه ثَلَاثَة الأثواب، كَمَا تَقول: هَذَا صَاحب الأثواب؛ لِأَن الْمُضَاف إِنَّمَا يعرفهُ مَا يُضَاف إِلَيْهِ، فيستحيل (هَذِه الثَّلَاثَة الأثواب) كَمَا يَسْتَحِيل (هَذَا الصاحب الأثواب)، وَهَذَا محَال فِي كل وَجه"[٦]؛ لأن المبرد يخبر بـ(ثلاثة أثواب) عن (هذه)، ولم يرد أنه مشار إليه، إذ المشار إليه غير ملفوظ، والتقدير: هذه الأثواب ثلاثة أثواب. ولذلك حين عرّف عرّف المضاف إليه المعدود.

(١) أخبار أبي القاسم الزجاجي للزجاجي، تحقيق عبدالمحسن المبارك، دار الرشيد للنشر/ بغداد، ١٩٨٠م. ص ٣١.

(٢) المقصور والممدود لأبي علي القالي، ص ٤١١.

(٣) شرح كتاب سيبويه للسيرافي، ١/ ٢٨٢. وانظر: ١/ ٤٥١، ٥/ ١٩٣، ٥/ ٣٩٥.

(٤) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين للأنباري، ١/ ٣٠. وانظر: ٢/ ٦٤٤.

(٥) شرح التسهيل لابن مالك، ١/ ١٢٥.

(٦) المقتضب للمبرد، ٢/ ١٧٥.

المطلب الثالث

مسائل لفظية ودلالية

البقاقير*

قال مشعان بن هذّال:

وْهَلّتِ ادموعَ العين من شوفها الدار*** سِكّانها الَاجْنابْ هُمْ والبِقاقير

البقاقير جمع (بَقَّار)، قال الأصمعي: "البَقّار: صَاحب البَقَر"[١]. وليس بقّار اسم فاعل للمبالغة من الفعل (بَقَرَ)؛ بل هو مشتق من اسم ذات هو (بقر) كما اشتقوا من الجمل (جمّال) ومن حمار (حمّار)، ومن التمر (تمّار)، ويعد النحويون ذلك من النسبة. والبقر اسم جنس جمعيّ واحده (بقرة)، ينطلق على الأنثى والذكر، فإن أريد الذكر خاصة قيل: (ثور)، وجمع بقرة (بقرات)، أما أبقار فجمع (بقر).

عشت في بيئة ريفية كان اعتماد الفلاحين منهم على الأبقار في شؤون كثيرة منها السواني، وهي ما تسحب رشاءَ الغرب من البئر وسريحه[٢]، ومنها دوس سنابل القمح الحصيد، وهم أيضًا يحلبونها فيشربون حليبها ويمخضونه ليفصلوا زبدته عن لبنه، وأما

---

* نشر في الجزيرة الثقافية يوم الجمعة/السبت ٨-٩ ذو الحجة ١٤٤٥هـ/ ١٤-١٥ يونيو ٢٠٢٤م. ع ١٨٦٦٣.

(١) جمهرة اللغة لابن دريد، ٣/ ١٣٢٢.

(٢) الرشاء حبل من الليف أو الصوف أو ما يماثلهما قوة يرفع جانبًا من الغرب والسريح حبل من قديد جلد البعير يرفع فوهة الغرب.

أكلها فقليل في بيئات نجد، حدثني والدي أنهم يعتقدون أن لحوم الأبقار يمعدهم[١]، وأنهم لا يأكلونه إلّا في الشتاء القارس البرد فيكون أسلم لهم. ولعلهم بذلك متأثرين بقوله ﷺ "إنَّ ألبانَها — أو لَبَنَها – شِفاءٌ، وسَمْنَها دَواءٌ، ولَحَمَها – أو لُحومَها – داءٌ"[٢].

والفلاحون وغيرهم من سكان الأرياف لا يكاد بيت أحدهم يخلو من بقرة؛ لأنها من أهم مقومات حياتهم، بل إن منهم من احتملوا أبقارهم معهم حين هاجروا إلى المدن، فأذكر أن بعض أهل نجد الذين سكنوا في حي الصالحية في مدينة الرياض في بيوت ليس فيها أحواش احتالوا على إدخال البقرة برفعها على سطح المنزل برافعة.

ولأهمية البقر في حياة الناس جاءت أمثالهم معبرة عن ذلك، إذ يحكى أن البقرة غارت من اهتمام الناس بالخيل وإطعامها والعناية بنظافتها فتظلمت أمام أربابها، فحاولوا أن يبينوا لها أن الخيل تتسابق وتقطع أشواطًا بسرعة، فزعمت البقرة أنها تستطيع ذلك.

جاء نهار السباق فقالوا للبقرة (مع الخيل يا شقرا) أي قفي مع الخيل لتجري جريها، فمضت وهي تقول (محّم)، أي معْهم، وهذا من المماثلة التبادلية إذ أثرت الهاء المهموسة في العين فحولتها لنظيرها المهموس وهو الحاء، وحولت الحاء الهاء إلى مخرجها فصارت حاءًا فأدغمتا، قال سيبويه "ومما قالت العرب تصديقًا لهذا في الإدغام قول بني تميم: محُّم، يريدون: معْهُم"[٣].

---

(١) جاء في المحكم والمحيط الأعظم لابن سيدة، ٢/٣٩ (ومَعَدَه: أصَاب مَعِدَته).

(٢) السنن الكبرى للبيهقي تحقيق: التركي، ١٩/ ٥٢٩.

(٣) الكتاب لسيبويه، ٤/ ٤٥٠.

وذهب القول (مع الخيل يا شقرا) مثلًا بين الناس يضربونه لمن يفعل الأمر لا عن قناعة بل مجاراة لغيره وتقليدًا له من غير وعي، وهو ما يتصف به كثير من الناس، وإن يكن في اللغة ما يسمى خطأ شائعًا فإن في السلوك الاجتماعي ما هو خطأ شائع أيضًا.

جرت البقرة ما شاء الله لها أن تجري؛ ولكن خارت قواها ولم تكمل الشوط كما تفعل الخيل، فضرب الناس المثل بشوطها هذا، فقالوا "شوط بقرة". وصار يضرب مثلًا لكل من يبدأ أمرًا ثم لا يكمله.

والبقر من أشد الحيوان خضوعًا وخنوعًا؛ قالوا (ما يصبر على الجور إلا ثور)، فنال البقرَ من الإنسان على الرغم من منفعتها احتقارُه، وصارت مضرب المثل في الغفلة والغباء (ثور الله في برسيمه)، وربما توصف المرأة بأنها بقرة والرجل بأنه ثور؛ لبيان ما هما عليه من خرق، ورعونة، قالوا (غبر يا ثور وعلى قرنك)، والبقرة ميالة إلى البلادة قالوا (إذا عاونت البقره ربضت)، وهي مع ذلك لها مماثل (البقرة الخثاقة تلقى لها رفاقة)، وهي لا تحسن إخفاء حالها (شف وجه البقرة واحلب لبن)، ولكل ذلك ربما كان في نسبة البقّار والبقاقير شيء من الوصف بالهوان، ومثله الحمّار بل ذلك أشد، ولذا قالوا (من قال لك يابا البقر قل له يابا الحمير)، ولهذا المثل أكثر من دلالة يظهرها السياق المستعملة فيه.

بل التمرُ مَساميرُ الرُّكَب*

هذا مَثَل سمعناه من آبائنا وأجدادنا بهذه الصيغة المعبرة عن حقيقته، فكون التمر مساميرَ للركب مجازٌ أريد به التعبير عن الطاقة التي تنال الجسم من تناوله؛ ولذا كان إفطار الصائم على التمر، ولم يكن الناس يسعفون مَن أهلكه العطش بشرب الماء صافيًا لخطره عليه بل ممزوجًا بتمر مذاب، لم يكن التمر عند القدماء فاكهة تصاحب سمرهم بل كان قوتًا يعيشون به؛ لأنهم يتعبون في أعمالهم منذ الفجر حتى المساء، ومتى جاع الإنسان ضعفت قواه، وصدق المثل في التعبير عن هذا، كما صدق المثل الآخر (أَحْسَبْ كَرْكَبْ يَنْقِلْ خَرْخَبْ وَاثِرْ خَرْخَبْ يَنْقِلْ كَرْكَبْ)، هكذا أورده عبدالكريم الجهيمان، والمثل كما أحفظه (أحَسِبْ طَرْطَبْ يَنْقِل خَرْخَبْ إثِرْ خَرْخَبْ يَنْقِل طَرْطَبْ). قال الجهيمان: "أحسب: أظن واعتقد وكركب هي القدم وخرخب هو البطن والمعنى أنني كنت أظن أن رجلي تنقل بطني .. وإذا الواقع خلاف ذلك وهو أن بطني هو الذي ينقل رجلي ... وهذا المثل أطلقه أحد الأعاجم الذين يتكلمون بالعربية ويخلطونها بكثير من الألفاظ الأعجمية"(١).

ولا أعلم لم أراد د.محمد حطحوط تغيير هذا المثل بما ظن أنه الصواب حين قال في تغريدة نشرت في ١٠أغسطس ٢٠١٦م: "(التمر مسامير الركب) نقلت إلينا خطأ. قال الهمذاني: التمر يسميه المسافرون (مُسامرُ الرَّكْب) و(أنيس المسافرين)" (دلائل

---

* نشر في الجزيرة الثقافية يوم الجمعة/السبت١٦-١٧ ذوالقعدة ١٤٤٥هـ/ ٢٤ مايو ٢٠٢٤م. ع١٨٦٤٥.

(١) الأمثال الشعبية في قلب جزيرة العرب لعبدالكريم الجهيمان، (المثل١٢٥)، ١/ ٦٨.

النبوة)[1]، وقد ردّ فأحسن نوّاف العصيمي بقوله (غير صحيح) ونشر مع ردّه صورة لغلاف كتاب الهمذاني والصفحة التي ورد فيها قوله الصحيح (التمر مسامير الركب)[2].

وكتب أستاذنا أ.د. عبدالعزيز بن ناصر المانع مقالًا بعنوان (حول المثل: التمرُ مُسامِرُ الرَّكْب)[3] وهذا مشكل؛ فليس لدينا مثل بهذه الصيغة، وإيراده بهذه الصيغة جزم منه ابتداءًا بصحتها، وليس الأمر كذلك؛ فالصيغة الصحيحة ما ذكر هو نفسه أنه سمعها قبل أن يتحول موافقة منه لمن ذهبوا إلى ذلك، قال أستاذنا: "ولذلك فقد ذهبتُ أبحث عن هذا المثل في منطقة الأحساء فإذا بي أجده في أمثالهم مدوّنًا في كتاب (الأمثال الشعبية في منطقة الأحساء)[4] الذي ألّفه الدكتور فهد المغلوث بالنصِّ نفسه: «التمرُ مساميرُ الرَّكَب». فهل هم أول من صنع هذا المثل أم أول من حرَّفه بهذه الطريقة الشائعة عند الناس؟"

وقال "أكاد أجزم بالخيار الثاني"، والمثل معروف في أنحاء الجزيرة ذكره الجهيمان[5] والعبودي[6] قبل أن يذكره المغلوث، وليس الإحساء منتج التمر الوحيد فالتمر في بيئات مختلفة من الجزيرة.

(١) https://twitter.com/mHatHut/status/763411441588244481. واسم الكتاب (تثبيت دلائل النبوة).

(٢) https://twitter.com/NawafOsaimi/status/763850127236792320

(٣) نشر في السبت ٨ ذوالحجة ١٤٣٧هـ/ ١٠-٠٩-٢٠١٦م.ع ١٦٠٥٣.
https://www.al-jazirah.com/2016/20160910/cm2.htm

(٤) ظهرت طبعته الثانية في: ١٤١٩/١٩٩٩.

(٥) الأمثال الشعبية في قلب جزيرة العرب لعبدالكريم الجهيمان، (المثل ١٥٩١)، ٢/ ١٣٦.

(٦) الأمثال العامية في نجد لمحمد بن ناصر العبودي، (المثل ٤٨٩)، ص ٣٢٢.

وهكذا غلب على ظن أستاذنا أن الأصل في المثل ما أثبته في العنوان، وقال بعد ذلك: "وقد اتفق معي آخرون، ولذلك فقد قرأته معهم: (التمرُ مُسامِرُ الرُّكْب)، بل كنتُ من مؤيدي هذه القراءة الجديدة ومن المتحمسين لصحتها إلى أن جاء بعض الباحثين الأكارم فاحتج علينا بورود هذا المثل بصيغته القديمة في كتاب (تثبيت دلائل النبوة)[١] لمؤلفه قاضي القضاة عبدالجبار بن أحمد الهمذاني – المتوفَّى سنة ٤١٥هـ– وقد أعدت قراءة هذا النص فإذا هو يقول: «وفي التمر – مع اللذة بأكله– إخراجُ التعب وراحةٌ للمكدود، والمَلّاحون يسمونه لأجل ذلك مَسامير الرُّكَب"[٢]. وعلق أستاذنا بقوله "قلتُ: هذا ليس بحجة رغم كون المؤلف من علماء القرن الرابع الهجري؛ لأن الهدف من أكل التمر ليكون مسامير للركب، يساعدها على المشي، قد انتفى في هذا الخبر! إذ إن المقولة فيه منسوبة للملاحين، والملاحون لا يحتاجون إلى مسامير لركبهم، فهم جلوس طوال رحلاتهم في مراكبهم؛ فرُكَبُهُمْ بخير"، وأقول: إن أستاذنا لم ينتبه إلى المجاز في الاستعمال، وأن المثل يُتداول من بيئة إلى أخرى، وللجمّالة وللفلاحين وللملاحين رُكَب ينالها التعب والوهن من الجوع ونقص السكر، وقوله عن الملاحين إنهم جلوس وركبهم بخير غير صحيح؛ والمثل عام في دلالته، فالتمر ليس للركب وحدها بل للجسم كله، وكما قال هو "مُخرج التعب، ومُريح المكدود".

(١) تثبيت دلائل النبوة للقاضى عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني الأسد أبادي، أبو الحسين المعتزلي (المتوفى: ٤١٥هـ) تحقيق عبدالكريم عثمان، دار المصطفى – شبرا– القاهرة. وللكتاب نشرة أخرى بعناية سليم محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧١م.

(٢) تثبيت دلائل النبوة للهمذاني بتحقيق عبدالكريم عثمان، ٢/ ٦٣٧. وبعناية سليم محمد ص ٤٨٧.

وقال أستاذنا "وأما رواية المثل عند قاضي القضاة الهمذاني فلا شك عندي أنها من تصحيفات المحقق المعاصر الذي ربما استحلى سماعه من أحد العامة، فقرأ به النص رغم عدم اتساقه مع السياق!"، وقوله هذا متوقف فيه؛ فلا سبيل إلى نسبة التصحيف إلى المحقق أستاذنا عبدالكريم عثمان إلا ببينة كالاطلاع على المخطوط، وأستاذنا المانع من أعلم الناس بالمخطوطات؛ ولكنه لم يعد إلى المخطوط ليثبت لنا التصحيف.

خلَفَ وأخْلفَ*

سعدت بلقاء الشيخ الدكتور عبدالمحسن بن عبدالعزيز العسكر، وفي كل لقاء ألقاه أستفيد من علمه وفوائده، وكان من ذلك ذكره الفرق بين (خَلَفَ) المجرد و(أخْلفَ) المزيد بالهمزة. وذكر ما جاء في (الفروع وتصحيح الفروع) "(اللَّهُمَّ أَجِرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَ). (أَجِرْنِي) مَقْصُورٌ وَقِيلَ مَمْدُودٌ [آجرني] وَ(أَخْلِفْ) بِقَطْعِ الْهَمْزَةِ وَكَسْرِ اللَّامِ، يُقَالُ لِمَنْ ذَهَبَ مِنْهُ مَا يُتَوَقَّعُ مِثْلُهُ: أَخْلَفَ اللَّهُ عَلَيْك، أَيْ رَدَّ عَلَيْك مِثْلَهُ. وَمَنْ ذَهَبَ مِنْهُ مَا لَا يُتَوَقَّعُ مِثْلَهُ: خَلَفَ اللَّهُ عَلَيْك، أَيْ كَانَ اللَّهُ خَلِيفَةً مِنْهُ عَلَيْك"(١).

يزاد الفعل الثلاثي المجرد بحرف، فيكون من ذلك ثلاثة أبنية: أَفْعَلَ وفاعَلَ، وفَعَّلَ، فمن الفعل (خَلَفَ) نجد أَخْلَفَ: يُخْلِف، وخالَفَ: يُخالِف، وخَلَّفَ: يُخلِّف. قال تعالى ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ الله عَهْدَهُ﴾ [٨٠-البقرة]، وقال تعالى ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [٦٣-النور]، وقال تعالى ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ﴾[٨١-التوبة].

والأصل أن يكون في المزيد فضل معنى؛ لأن زيادة المبنى تهب زيادة في المعنى، فالمجرد اللازم يُعدّى بدخول الهمزة؛ ولذلك تسمى (همزة النقل)، فهي تنقل اللازم إلى المتعدي، وتنقل المتعدي إلى واحد ليتعدى إلى اثنين. مثال ذلك (جلسَ زيدٌ) تعديه بقولك

* نشر في الجزيرة الثقافية في الجمعة/السبت ٩-١٠ صفر ١٤٤٥هـ/ ٢٥ اغسطس ٢٠٢٣م؛ ع١٨٤١١.

(١) الفروع وتصحيح الفروع للمرداوي وابن مفرج، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، مؤسسة الرسالة/ بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ٣/ ٣٩٦.

(أجلستُ زيدًا)، ومثل المتعدي (علمَ زيدٌ الأمرَ) تقول (أعلمتُ زيدًا الأمرَ). وزيادة المعنى هنا تضمُّنُ الفعلِ (جعل)؛ فقولك أجلست زيدًا يعني جعلت زيدًا يجلس. وقد يكون المزيد بضد المعنى لتضمنه الفعل (أزال)، نحو (قسط الرجل): جار، و(أقسط): عدل؛ أي أزال القسوط، و(شكا الرجل): بيّن علته وألمه، و(أشكاه) أي أزال شكواه، و(أعجمه) أزال عجمته. وقد تنقل الهمزة الفعل المتعدي إلى اللازم كما في الفعل (قطَعَ)، تقول: قطَعْتُ النخلَ، وتقول: أقطَعَ النخلُ أي حان وقت قطعه. وقد يكون (فَعَلَ) مطابقًا لـ(أفْعَلَ) من حيث المعنى، قال ابن جنّي: "فَعَلَ وأَفْعَلَ كثيرًا ما يعتقبان على المعنى الواحد، نحو: جدَّ في الأمر وأجدَّ، وصددته عن كذا وأصددته، وقصَر عن الشيء وأقصر، وسحَته الله وأسحته"[1]. ولعل هذا الاتفاق لاختلاف لغات العرب قال ابن سيدة "وَقد يكون فَعَلْت وأَفْعَلت بِمَعْنًى واحدٍ كأنَّ كل وَاحِد مِنْهُمَا لغةٌ لقوم ثمَّ تختلط فتُستعمَل اللُّغتان كَقَوْلِك قِلْتُه البيعَ وأَقَلْته وشَغَلَه وأَشْغَلَه وصَرَّ أُذُنَيْه وأَصَرَّ: إِذا أقامهما وبَكَرَ وأَبْكَر"[2].

وأما الفعل (خلَف) فقال ابن دريد "وخَلَفَ الله عَلَيْهِ وأخلفَ، وَهَذَا ممّا يُختلف فِيهِ، يُقَال: خَلَفَ الله عليكَ، إِذا رُزِئَ بِمَا لَا يُعتاض مِنْهُ، فَقَالُوا: خَلَفَ الله عليكَ، أَي كَانَ الله عَلَيْك خَليفَة، فَإِذا رُزِئَ بِمَا يُعتاض مِنْهُ قَالُوا: أَخْلفَ الله عَلَيْك"[3]. وقوله مما يختلف فيه أي قد يُفرّق بين معنى المجرد ومعنى المزيد وقد يكونان بمعنًى، ونلمح التفريق في ما جاء في (تهذيب اللغة) "قَالَ [الفراء]: وَإِذا مَاتَ أَبُو الرجل أَو الأمُّ أَو ذهب لَهُ ما لا

(١) الخصائص لابن جنّي، ٢/ ٢١٤.

(٢) المخصص لابن سيدة، ٤/ ٣٠٥.

(٣) جمهرة اللغة لابن دريد، ٣/ ١٢٦٠.

يُخْلَفُ. قيل: خَلَفَ الله عَلَيْك ــ بِغَيْر أَلِفٍ"[١]. وما جاء في قول النحاس "ويقال عند فقْد ما لا يُستخلف، كالوالدين: خلف الله عليك. وأخلف الله خيرًا مما ذهب لك، وأخلف الله عليك ذاك، عند فقْد ما يُستخلف، مثل المال والولد وغيره"[٢].

وأما كون (خلف وأخلف) بمعنًى فيفهم مما ورد في (تهذيب اللغة) "وَقَالَ الأصمعيُّ: يُقَال: "خَلَفَ الله عَلَيْك بِخَيْرٍ" ــ إِذا أَدْخَلْتَ الْبَاء أَلْقَيْتَ الألِفَ ــ و"أَخْلفَ الله عَلَيْك خَيرًا"[٣]. أي بتعدية الفعل بالحرف أو بالهمزة، مثل الفعل (ذهب به) فهو بمعنى (أذهبه). جاء في (إسفار الفصيح) "(وذهبت به)، فأنا أذهب به ذهابًا وذهوبًا ومذهبًا، فأنا ذاهب به، والمفعول مذهوب به: إذا مررت به معك. (وأذهبته) بالألف أيضًا: بمعناه، فأنا أذهبه إذهابًا، وأنا مذهِب بكسر الهاء، وهو مذهَب بفتحها. (وأدخلته الدار، ودخلت به الدار)، ومعناهما واحد"[٤]. وقال تعالى ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ﴾[١٧-البقرة]، وقال تعالى ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنّا الْحَزَنَ﴾[٣٤-فاطر].

والذي يُنتهى إليه أنه يقال في الدعاء عند فقْد ما لا يُعوض أو هو بمنزلة ما لا يعوّض (خلف الله عليك، ويَخْلف الله عليك)، وعند فقْد ما يُعوّض: خلف الله عليك بخير أو أخْلف الله عليك خيرًا.

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري، ٧/ ١٦٩.

(٢) عمدة الكتاب لأبي جعفر النحاس، ص: ٣٩٧.

(٣) تهذيب اللغة للأزهري، ٧/ ١٧٣.

(٤) إسفار الفصيح، للهروي، ١/ ٤٨٢.

تقول العامة لمن تصرف بحمق أو غباء خلف الله عليه أو يخلف الله عليه، كأنه فقَد ما لا يعوض وهو عقله. ويقول المتحسر على ما فاته "الله يخلف".

الشوشرة*

استعملت (الشوشرة) في لغة المحدثين بمعنيين أحدهما حسّيّ، والآخر معنويّ، وأما الحسيّ فهو إشارات كهرومغناطيسية أو إشارات صوتية قد تصاحب إشارات البثّ الفضائي، ويُحتال لتجنبها باستعمال أجهزة تحجزها وتصفي الإشارة منها، وفي الأصوات تُستعمل لواقط خاصة ويُستعان بغرف خاصة تحجب الخلفيات الصوتية المزعجة، وأما المعنوي المجازي فهو كل تصرف يعترض أمرًا فيخل به ويفسد اتساقه، فإن كان عفويًّا فمرتكبه يشوّش، وإن كان متعمدًا قاصدًا فهو يشوشر، ومن استعمالات (الشوشرة) ما وجدته في الصحافة أذكره للتمثيل من غير حصر ولا قصد، جاء في صحيفة (سبق): "كيال: ابتعدوا عن الشوشرة .. وهذا سر غياب (العابد)"[(١)]. وفي صحيفة المدينة "نجران: حادثة الثقفي وأبو يابس هدفها (الشوشرة)"[(٢)].

وكان مجمع اللغة العربية الافتراضي قد غرد بهذه الكلمة وهذا نص التغريدة:

"كلمة اليوم: #الشوشرة يقال: شوشر الرجل على رفاقه إذا شوّش عليهم وأوجد الاضطراب، وشوشرت المرأة على زوجها.. ولا تشوشرْ علينا.. هل هي مولدة؟"[(٣)].

ووجدت من أجابوا عن هذه التغريدة من مناطق مختلفة ومن بلاد مختلفة، فمنهم من يذكر استعمالها في موطنه، ومنهم من ينكر ذلك، واتضح من ذلك انتشار استعمالها

---

* نشر في الجزيرة الثقافية الجمعة/السبت١٢-١٣رجب ١٤٤٤هـ ٠٣ فبراير ٢٠٢٣م، ع١٨٢٣٧.

(١) صحيفة (سبق)٣٠ سبتمبر ٢٠١٦ - ٢٩ ذو الحجة ١٤٣٧هـ.

(٢) صحيفة المدينة، الجمعة ٠٤ / ٠٦ / ٢٠١٠م.

(٣) https://twitter.com/almajma3/status/548714536417505280

في كثير من مناطقنا بغض الطرف عن عمر هذا الاستعمال وأصالته، فبعض المناطق دخل اللفظ إليها من غيرها سماعًا من غير أهلها أو سماعًا من وسائل الإعلام. ولعل اللفظ في الأصل من العامية المصرية، فقد جاء في (معجم تيمور الكبير) "عمل شُوشَرَة: أي إشاعة ولغط حول شيء"[١].

ولست تجد (الشوشرة) في المعاجم القديمة؛ لأنها من موضوع المحدثين، فهي مصدر الفعل (شوشر) وهو من الرباعي الملحق بالثلاثي أُخذ من الفعل (شوَّش) بتضعيف الواو، فتخلصوا من التضعيف كراهة المتماثلين، وأبدلوا بإحدى الواوين الراء (شوّش> شوْشر)، وجاء مصدر (شوّش) في بعض المعاجم العربية مثل (تهذيب اللغة)، قال: "وَأما التشويش فَإِن اللّغويين أَجمعُوا على أَنه لَا أصل لَهُ فِي الْعَرَبِيَّة وَأَنه مِنْ كَلَام المولّدين. وَأَصله التهويش، وَهُوَ التَّخْلِيط"[٢]، ولكن قال صاحب (متن اللغة) "ولكن الليث والجوهري أثبتاه في أصل العربية، وأصله التهويش وهو التخليط"[٣]. وكذلك جاء في معجم (ديوان الأدب) "شَوَّشَ عليه الأمرَ فتشوَّش"[٤]، وجاء في (شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم): "شَوَّش عليه الأمرَ، بالشين معجمةً: أي لَبَّسَ"[٥]. ومن المعاجم الحديثة المعجم الوسيط: "(شوَّشه): خلطه وأساء ترتيبه. ويُقال: شوَّش بَينهم

(١) أحمد تيمور، معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية، ٦/ ٢٥٧.

(٢) الأزهري، تهذيب اللغة، ١١/ ٣٠٥.

(٣) أحمد رضا، معجم متن اللغة، ٣/٣٩٥.

(٤) الفارابي، معجم ديوان الأدب، ٣/ ٤٣٢.

(٥) نشوان الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ٦/ ٣٥٨٧.

فرق وأفسد"[١].

وأما في عاميات الجزيرة فنجد الفعل (شاش يشوش) بمعنى ثار واستشاط غضبًا، ونجد (الشوشة) وهي شعر الرأس الطويل المشعث الثائر، وربما لقب من هو بهذه الصفة بشوشان، وشوشان من أسماء الناس في نجد، وهذا يعني أن للفعل (شوشر) جذوره في لهجات الجزيرة.

وجاء الفعل (شوشر) ومصدره (الشوشرة) في (معجم اللغة العربية المعاصرة) "شوشرَ يشوشر، شوشرةً، فهو مُشوشِر.

- شوشر التِّلميذُ: أحدث جلبة واختلاطًا وضوضاء (تُعدّ الشوشرة مظهرًا من مظاهر التلوّث السمعيّ).
- شوشر الجِهازُ: أحدث اهتزازات وأصواتًا خارجيّة"[٢].

وإن اعتمدنا على مبدأ ما قيس على كلام العرب هو من كلامهم فإن ما أُخذ من كلامهم هو من كلامهم أيضًا؛ فالفعل (شوشر) ومصدره (الشوشرة) عندي من العربية الصحيحة موافقة لأستاذنا أحمد مختار عمر.

---

(١) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، ١/ ٤٩٩.

(٢) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ٢/ ١٢٤٧.

القول في تاء (شفة)*

لم أكن سأقف على مثل هذا لولا ما قرأت في ملحوظات ومآخذ كتبها أستاذنا القدير أ.د. فوزي حسن الشايب كتبها عن كتاب (تصحيح الفصيح لابن درستويه) نشرت في مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٤٤٣هـ-٢٠٢٢م. مج٣٤، ع٤.

قال "قوله: (فهذه الهاء التي فيها بدل من تاء التأنيث). يقصد بذلك كلمة: (شفة). والعبارة على هذا النحو غير صحيحة، والصواب فيها هو العكس، أي: إن التاء التي في: (شفة) بدل من الهاء، التي هي لام الكلمة؛ فمن المعروف أن التاء يؤتى بها عوضًا من أصل محذوف، كفاءِ الكلمة المحذوفة، كما في صِفة وعِدة وزِنة، أو لامها المحذوفة، كما في: عِضة، ولِثَة، وشَفَة... وأغلب الظن أن هذا خطأ طباعي، لم يتنبه عليه المحقق، وابن درستويه بريء من عهدته". (ص٣٤٢)

لم يكن التوفيق حليف أستاذنا في توقفه؛ فابن درستويه يقصد أن ما يسمع هاءًا عند الوقف هو تاء التأنيث وليس لام الكلمة؛ إذ اللام محذوفة، وهذا واضح كل الوضوح من نص ابن درستويه الذي تحدث فيه عن هاءين هاء محذوفة وأخرى باقية، قال: "وأما قوله: وجمع الشَّفَة: شِفَاه؛ فلأن الشفة اسم ناقص قد حذفت منه لام الفعل وهي هاء، فهذه الهاء التي فيها بدل من تاء التأنيث. وأصلها: شَفَهة، فإذا صُغّرت أو جُمعت عادت فيها الهاء المحذوفة، فظهرت في اللفظ، مثل قولك: شُفَيهة وشفاه"[١].

* نشر في الجزيرة الثقافية في الجمعة/السبت ١-٢ ذوالحجة ١٤٤٥هـ ٠٧ يونيو ٢٠٢٤م ع. ١٨٦٥٧.

(١) تصحيح الفصيح لابن درستويه، ص ٤٣٣.

وأمر تسمية تاء التأنيث هاءًا معروف عند النحويين، وأشار إليه أستاذنا في غير موضع من ملحوظاته، ومن استعمال هاء التأنيث قول السيرافي "وتُردّ لام الفعل، فمن ذلك قولهم في (دم): (دميّ) وفي (يد): (يديّة)؛ لأن أصله (دمي) و(يدي) وفي (شفة): (شفيهة)؛ لأن هاء التأنيث لا يعتدّ بها وأصله (شفهة) والهاء لام الفعل"[١]. وهذا الحريري يسميهما هاءين، قال "فَهِيَ تجْرِي مجْرى شفة الَّتِي أَصْلهَا شفهة، وَقد حذفت إِحْدَى الهاءين مِنْهَا، بِدَلِيل تصغيرها على شفيهة"[٢]. ويبين أبو حيان مزية تسميتها هاء تأنيث في قوله "وقوله: هاء التأنيث خرج بذلك أخت وبنت لأنها تاء التأنيث لا هاء التأنيث"[٣].

والذي أشكل على أستاذنا عدّ النحويين تاء التأنيث عوضًا عن الهاء أو بدلًا، وليس قولهم هذا بمعنى الإبدال الصرفي كإبدال التاء في (اتّصل) أو الطاء في (اطّرد)، والمقصود بالتعويض الإغناء عنها في عدّة الأحرف، وقد أحسن ابن يعيش في التعبير عن هذا في قوله "والأصل: (شَفْهَةٌ) اللامُ هاء، والهاء مشبَّهةٌ بحرف العلّة لخَفائها وضَعْفها بتطرُّفها. وهم كثيرًا ما يحذفون حروف العلّة إذا وقعت طرفًا، وبعدها تاء التأنيث، نحو: (ثُبَةٍ)، و(بُرَةٍ)، و(قُلَةٍ)، كأنّ تاء التأنيث قامت مقامَ المحذوف"[٤]. وتأمل نصه على أن تاء التأنيث كانت قبل حذف اللام، وقوله كأنها قامت مقام المحذوف. ويزيد ابن يعيش بيانه بيانًا بقوله إن تاء التأنيث لا يعتد بها كما قال السيرافي،

---

(١) شرح كتاب سيبويه للسيرافي، ٤/ ١٩٣.

(٢) درة الغواص في أوهام الخواص للحريري، ص: ١٩٢.

(٣) التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل لأبي حيان، ١/ ٣٢٣.

(٤) شرح المفصل لابن يعيش، ٣/ ٣٤١.

ولذا رُدّت الهاء، لام الكلمة، عند تصغيرها، قال: "فإن قيل: أنتم إنما رددتم المحذوف ضرورةَ تكميل بناء التصغير، وهو(فُعَيْلٌ)، وتاءُ التأنيث يتِمّ بها الاسمُ، ويصير على ثلاثة أحرف، فهلّا اجتُزئ بالتاء مُكمّلة، ولم يُرَدّ المحذوف؟ فالجواب أنّ تاء التأنيث لا يُعْتَدّ بها؛ لأنّها تُعَدّ منفصلةً بمنزلةِ اسم ضُمّ إلى اسم"(١).

وننتهي إلى أن التاء في(شفة) هي علامة التأنيث سميتها تاءًا أو هاءًا، وهي باقية بعد حذف اللام وليست هي لام الكلمة، ولا تثريب على ابن درستويه ولا على محقق كتابه.

---

(١) شرح المفصل لابن يعيش، ٣/ ٤٠٢-٤٠٣.

كتابة الفعل ائت ونحوه*

قد تتوالى همزتان في أول اللفظ متحركة فساكنة، فإن كانت الحركة فتحة قلبت الساكنة ألفًا حسب الصرفيين، نحو قوله تعالى ﴿آمِنُوا كَما آمَنَ النَّاسُ﴾ [١٣-البقرة]، وإن كانت ضمة قلبت واوًا، نحو قوله تعالى ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى﴾ [١٣٦-البقرة]، وإن كانت كسرة قلبت ياءًا، نحو قوله تعالى ﴿إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾[٢-قريش]، والخط واللفظ متطابقان بدئ باللفظ أم جاء في الدرج، وهذا مطرد في الهمزتين إن كانتا همزتي قطع؛ ولكن إن كانت أولى الهمزتين همزة وصل فإن قلب الهمزة الآخرة لا يكون إلا إن بدئ التلفظ بهمزة الوصل، فإن وقع اللفظ في الدرج صحت الهمزة الآخرة؛ لأن همزة الوصل لا يؤتى بها فلا تجتمع همزتان، وبيان هذا ما ذكره الغلاييني "الأمر من المهموز الأول، إن نُطِقَ به ابتداءً، فإن همزته تنقلبُ واوًا، إن ضُمَّ ما قبلها، مثلُ (أُومُلْ يا زُهيرُ الخيرَ)، وياءً إن كُسِرَ ما قبلَها مثلُ (إيتِ يا أُسامةُ المعروفَ) فإن نُطقَ به موصولًا بما قبَلهُ، ثبتت همزته على حالها، مثلُ (يا زهير اؤْمُل الخيرَ، ويا أُسامةُ ائْت المعروفَ)"(١).

يبين الغلاييني لنا حال اللفظ لا الخطّ؛ ولذا رسَم همزة (أومل) بالقطع وهي همزة وصل، وتظهر لفعل الأمر من (أتى) حالان إحداهما بالياء (إيتِ) والأخرى (ائتِ)، فكيف نحقق ذلك في الخط؟ فكل لفظ بدئ به يصلح أن يكون في الدرج، ولذلك

* نشر في الجزيرة الثقافية الجمعة/السبت ١٩-٢٠ رجب ١٤٤٤هـ/ ١٠ فبراير ٢٠٢٣م، ع١٨٢٤٣.

(١) جامع الدروس العربية لمصطفى الغلاييني، ١/ ٢٢٦.

يشكل عندي ما كتب من قول ابن مالك: "والمثل كقولهم: (كلَّ شيء ولا شتيمةَ حُرّ) أي ايتِ ولا ترتكبْ"(١).

لا شكّ أن ما بعد (أيْ) موضع استئناف؛ ولكن الوصل غير مدفوع، وهو أمر يقتضي لفظ الفعل بتصحيح الفاء (ائت)، وقريب من هذا الوضع حال الفعل في قوله تعالى ﴿يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ [٧٧-الأعراف]. قال القاضي عن (يا صالح ائتنا) "أبدل همزة حالة وصل صالح بـ(ائتنا) ورش والسوسي وأبو جعفر، سواء وقفوا على (ائتنا) أم وصلوه بما بعده، وكذلك حمزة إذا وقف على (ائتنا)، وأما عند الوقف على صالح والابتداء بـ(ائتنا) فالجميع يبتدئون بهمزة وصل مكسورة مع إبدال الهمزة ياء ساكنة مدية"(٢).

قد يقال إن جاء الفعل (ائت) في بداية كلام ليس مظنة أن يسبق بغيره فإنّ همزته تعلّ، فتكتب بالياء (ايتِ)، وإن جاء في بداية كلام يصح أن يستأنف الفعل فيه أو يوصل فإن همزته تصح فيكتب (ائتِ)، فإن وصل الكلام أعلت في اللفظ لا الخط.

والجواب عن ذلك أن همزة الوصل نفسها تقطع في اللفظ وتوصل، فإن بدئ بها أو استُؤنف قطعت لفظًا وأما في الوصل فهي وصل، ومع أن لها حالين في اللفظ اقتُصر في كَتْبها على حال واحدة هي حالها في الوصل.

وقريب من هذا حال لام التعريف فهي تبدل مع الحروف الشمسية وتصح مع الحروف القمرية، فلها في اللفظ حالان ولكن اقتصر في الكَتْب على حال واحدة هي

(١) ابن مالك، شرح التسهيل، ٢/ ١٥٨.

(٢) عبدالفتاح القاضي، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، ص ١١٩.

حالها عند ملاقاة الحروف القمرية، نحو قوله تعالى ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا*وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾ [١، ٢- الشمس].

ومثل ذلك حال أواخر الكلم المتحركة؛ فهي في الوصل يتلفظ بحركتها وفي الوقف تحذف حركتها لفظًا؛ ولكن روعي في الكتْب حال الوصل لا الوقف فأثبتت الحركة، نحو قوله تعالى ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [٢- العلق].

والذي أرجحه أنّ الفعل (ائتِ) ونحوه ينبغي كتبه بهذه الصورة في كل أحواله أعلت الهمزة أم صحت، فيقل:

-ائت يا زيدُ مبكرًا. (ولكن الفعل ينطق ايت).

-وَائْت يا زيدُ مبكرًا.

المثنى جمع في اللغة المحكية*

سأل أستاذنا الدكتور عبدالله الوليعي بعلة ترك الناس اليوم وصف المثنى بمثنى أو إسناد فعل إلى ضمير المثنى، فيقولون مثلًا "وقّفنا رجالَين مسافرِين، وسألانهم ولا قالوا لنا أي علم"، وكنت أجبته إجابة مجلسية، ولعل ما يأتي يقرب ما أردت.

تعبر اللغة العربية عن الاثنين بصيغة تصريفية خاصة؛ إذ ينتهي الاسم بألف ونون أو ياء ونون، وفي لغات أخرى لا صيغة تصريفية للمثنى بل تعبر بالعدد، ففي العربية (كتابان) وأما في الإنجليزية فيقال (two books)، وهكذا تجد أن من الناطقين بغير العربية من يقول (اثنين كتاب).

ومع هذا الأمر القياسي عرفت العربية أن المثنى في حقيقته متجاوز للواحد كتجاوز الجمع للواحد؛ ولذلك ربما استعمل الجمع في ما القياس فيه التثنية.

وأشهر ما يكون ذلك في أعضاء الحيوان؛ إذ تجمع إذا أضيفت إلى المثنى، قال سيبويه "وسألتُ الخليل رحمه الله عن: ما أحسنَ وجوهَهما؟ فقال: لأن الاثنين جميعٌ"[(١)].

ويؤيد هذا عند الخليل بقياس شكلي، وهو إسناد الفعل إلى ضمير المتكلم إذ يعامل المثنى معاملة الجمع، قال "وهذا بمنزلة قول الاثنين: نحن فعلنا ذاك"[(٢)].

---

* نشر في الجزيرة الثقافية في الجمعة/السبت ٢٨-٢٩ رجب ١٤٤٥م/ ٠٩ فبراير ٢٠٢٤م. ع١٨٥٥٥.

(١) الكتاب، ٢/ ٤٨.

(٢) الكتاب، ٢/ ٤٨. وانظر: ٣/٦٢٢.

ويبين علة جمع ما حقه التثنية بقوله "ولكنهم أرادوا أن يفرقوا بين ما يكون منفردًا وبين ما يكون شيئًا من شيء"[(١)].

قال السيرافي "المنفرد نحو: ثوب ودار وفرس، إذا ثنّي هذا الضرب، فالوجه لفظ التثنية كقولك: ثوبان وداران وفرسان. والذي هو شيء من شيء نحو: وجه ورأس وبطن وظهر وقلب، وهو من حيوان"[(٢)].

ويبين السيرافي أن المختار في تثنية هذه الأعضاء أن تجمع، وبين علة جمعها، قال "فإذا ثنّوها فالاختيار لفظ الجمع في تثنيتها، كقولك في تثنية وجه (أوجه) و(وجوه). قال الله عز وجل ﴿إِنْ تَتُوبا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما﴾ [٤-التحريم]، وإنما صار هكذا لأن في البدن أعضاء كثيرة مثناة وهي أكثر البدن، وإذا ضمّ ما في بدن واحد من المثنى إلى مثله صار جمعًا لأنه يصير أربعة، والواحد المضموم إلى مثله من آخر محمول على الاثنين، فلذلك اختير الجمع"[(٣)]. فجمعك عينين من رجل إلى عينين من رجل آخر سيكون أعينًا، والقلب من الرجل بمنزلة قلبين فإذا جمعته مع قلب رجل آخر سيكون قلوبًا.

ويسوق السيرافي علة أخرى، قال "ووجه آخر فرقوا بين ما في البدن منه واحد وما في البدن منه اثنان. إذا ضموا أحد الاثنين إلى مثله من آخر يكون مثنى [عين وعين=

(١) الكتاب، ٢/ ٤٨.

(٢) شرح كتاب سيبويه للسيرافي، ٢/ ٣٧٧.

(٣) شرح كتاب سيبويه للسيرافي، ٢/ ٣٧٨.

عينان]، وإذا ضموا الواحد إلى مثله يكون جمعًا [قلب وقلب= قلوب] للفرق، وهذا هو الاختيار"(١).

وفي جمع المثنى المضاف تعدت اللغة إلى ما هو غير عضو حيوان، قال ابن مالك "فإن لم يكن المضاف جزءَ ما أُضيفَ إليه فالأكثر مجيئه بلفظ التثنية نحو: سَلّ الزيدان سيفيهما. فإن أمن اللبسُ جاز جَعْل المضاف بلفظ الجمع. وفي {يعذبان في قبورهما} شاهد على ذلك، وكذا قوله عليه الصلاة والسلام لعلي رضي الله عنه {إذا أخذتما مضاجعكما}"(٢).

وبين النحويون أن المضاف الدال على المثنى إن كان جزءًا من المضاف إليه فالمختار إذا أضيف إلى مثنى أن يأتي بصيغة الجمع ويجوز المفرد ويقل المثنى(٣). قال ابن مالك: "فإذا وجدت الشروط في المضافين المذكورين فلفظ الجمع أولى به من لفظ الإفراد، ولفظ الإفراد أولى به من لفظ التثنية، وذلك أنهم استثقلوا تثنيتين(٤) في شيئين هما شيء واحد لفظًا ومعنى، وعدلوا إلى غير لفظ التثنية، فكان الجمع أولى لأنه شريكهما في الضم، وفي مجاوزة الإفراد. وكان الإفراد أولى من التثنية لأنه أخف منها والمراد به حاصل، إذ لا يذهب وهم في نحو (أكلت رأس شاتين) إلى أن معنى الإفراد مقصود"(٥).

(١) شرح كتاب سيبويه للسيرافي، ٢/ ٣٧٨.
(٢) شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك، ص٢٥٦.
(٣) انظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك، ص١٩. وشرح التسهيل له ١/١٠٥.
(٤) يقصد تثنية اللفظ وتثنية الضمير.
(٥) شرح التسهيل لابن مالك، ١/ ١٠٦.

وإن كان غير جزء من المضاف إليه فالمختار التثنية ويجوز الجمع والإفراد إن أمن اللبس، قال ابن مالك "وإن لم يكن المضاف جزأي المضاف إليه ولا كجزأيه لم يعدل عن لفظ التثنية غالبًا نحو: قضيت درهميكما، لأن العدول في مثل هذا عن لفظ التثنية إلى لفظ الجمع موقع في اللبس غالبًا، فإنْ أمن اللبسُ جاز العدول إلى الجمع سماعًا عند غير الفراء، وقياسًا عنده، ورأيه في هذا أصح، لكونه مأمون اللبس، مع كثرة وروده في الكلام الفصيح"[١].

ولعلنا بعد هذا نجد العذر لمعاملة المثنى معاملة الجمع في اللغة المحكية في مثل قولهم (سمعت الولدين يتكلمون).

---

(١) شرح التسهيل لابن مالك، ١/ ١٠٧.

من طرائف الأسماء*

ابن وُوْ وُوْ وُوْ:

قال الجاحظ "وزعم الهيثم بن عدي قال: كان رجل يسمّى كلبًا، وكان له بنيّ يلعب في الطريق، فقال له رجل: ابن من؟ فقال: ابن وو وو وو"(١).

حماميز الله:

قال الأبشيهي: «وكان لرجل من الأعراب ولد اسمه حمزة، فبينما هو يومًا يمشي مع أبيه إذا برجل يصيح بشاب يا عبد الله، فلم يجبه ذلك الشاب، فقال: ألا تسمع؟ فقال: يا عم كلنا عبيد الله، فأي عبد تعني، فالتفت أبو حمزة إليه وقال: يا حمزة ألا تنظر إلى بلاغة هذا الشاب؟ فلما كان من الغد إذا برجل ينادي شابًا يا حمزة، فقال حمزة بن الأعرابي: كلنا حماميز الله، فأي حمزة تعني، فقال له أبوه: ليس يعنيك يا من أخمد الله به ذكر أبيه»(٢).

ابن هذا:

قال الجواليقي: "يقال إن أوس بن حجر انطلق مسافرًا حتى إذا كان في أرض بني أسد والناس بادون في ربيع بين شرج لعبس وبين ناظرة ليلًا حيث البيوت جالت به

* نشر في الجزيرة الثقافية، يوم الجمعة/السبت ٤-٥ شعبان ١٤٤٤هـ/ ٢٤ فبراير ٢٠٢٣م، ع ١٨٢٥٥.

(١) الحيوان للجاحظ، ٢/ ٣٤٠.

(٢) المستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي، تحقيق محمد خير طعمة الحلبي، ط٥، دار المعرفة، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص٣٦٠.

ناقته فصرعته ظلامًا فاندقت فخذه وسرحت الناقة فبات في مكانه فلما أصبح غدت جوارٍ من بني أسد يجتنبن الخطمي والكمأة ومن جنى الأرض وإذا ناقته تجول حوالي زمامها فلما رأينه رعن منه فأجلين غير حليمة ابنة فضالة بن كلدة وكانت أصغرهن فقال: من أنت؟ قالت: ابنة فضالة قال: اذهبي إلى أبيك وأعطاها حجرًا فقولي له يقول لك ابن هذا ائتني فأتته فبلغته فقال: لقد أتيت أباك بمدح طويل أو بهجاء طويل"(١).

أنف الناقة:

قال ابن عبدربه "كان بنو حنظلة بن قريع بن عوف بن كعب يقال لهم بنو أنف الناقة يسبّون بهذا الاسم في الجاهلية، وسبب ذلك أن أباهم نحر جزورًا وقسم اللحم، فجاء حنظلة وقد فرغ اللحم وبقي الرأس، وكان صبيًا، فجعل يجرّه، فقيل له: ما هذا؟ فقال: أنف الناقة. فلقّب به، وكانوا يغضبون منه حتى قال فيهم الحطيئة:

سِيري أمامَ فإنَّ الأكثرينَ حَصى ... والأكرمينَ إذا ما يُنسَبونَ أبـا

قومٌ همُ الأنفُ، والأذنابُ غيرُهُمُ ... ومن يُسوّي بأنفِ الناقة الذَّنَبا

فعاد هذا الاسم فخرًا لهم وشرفًا فيهم"(٢).

نفطويه:

قال ياقوت الحموي "وكان بين نفطويه وابن دريد مماظّة، فقال فيه لما صنف «كتاب الجمهرة»:

---

(١) شرح أدب الكاتب للجواليقي، ص٢٣٩.

(٢) العقد الفريد لابن عبدربه، تحقيق عبدالمجيد الترحيني، دار الكتب العلمية/ بيروت، ١٩٨٤م. ٦/ ١٧٧.

ابن دريد بقره ... وفيه لؤم وشره

قد ادّعى بجهله ... جمع كتاب الجمهره

وهو كتاب العي ... ن إلّا أنه قد غيّره

فبلغ ذلك ابن دريد فقال يجيبه:

لو أُنزل الوحي على نفطويهِ ... لكان ذاك الوحي سخطًا عليهِ

وشاعر يُدعى بنصف اسمهِ ... مستأهل للصفع في أخدعيه

أحرقه الله بنصف اسمه ... وصيّر الباقي صراخًا عليه"[١]

كُشاجِم:

قال الحصري القيرواني: "وأبو الفتح كشاجم هذا اسمه محمود بن الحسن بن السندي ... وكان كامل آلات الظرف، جامعًا لخلال الأدب واللطف، وله تآليف ملاح، تدل على معرفته وتوسعه، وقد ذكروا أنه سَمّى نفسه كشاجم لما يعلمه؛ فالكاف من كاتب، والشين من شاعر، والألف من أديب، والجيم من منجم، والميم من مغن"[٢].

(١) إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لياقوت الحموي، ١/ ١١٨.

(٢) جمع الجواهر في الملح والنوادر للحصري القيرواني، تحقيق البجاوي، ط٢، دار الجيل (مصور عن طبعة عيسى الحلبي/ القاهرة، ١٣٧٢هـ-١٩٥٣م)، ص١٣٢.

هل تأتي (إنَّ) بمعنى (نعم)؟*

ذكر هذا سيبويه قال "وأما قول العرب في الجواب (إنَّهْ)، فهو بمنزلة (أجل). وإذا وصلت قلت: إنَّ يا فتى، وهي التي بمنزلة (أجل). قال الشاعر:

بَكَـرَ العَـــواذِلُ في الصَّبو...حِ يَلُمْنَني وَأَلـومُهُنَّه

وَيَقُلْنَ شَيْبٌ قَدْ عَلا ... كَ وَقَدْ كَبِرْتَ فَقُلْتُ إنَّه"(١)

ولما كانت محتملة أن تكون على أصلها والهاء ضمير توقف في ذلك أبو عبيد قال "أَي: إنه قد كَانَ كَمَا تقلن. والاختصار فِي كَلَام الْعَرَب كثير لَا يُحْصى وَهُوَ عندنَا أعرب الْكَلَام وأفصحه"(٢).

ولكن النحويين استشهدوا بشواهد أخرى منها ما جاء عند الزجاج (٣١١هـ) وهو عدّه (إنّ) بتشديد النون في قراءة لقوله تعالى ﴿إنْ هَذانِ لَساحِرانِ﴾ بمعنى (نعم)، ووافقه على ذلك المبرّد وغيره(٣)، وأما ابن شقير (٣١٧هـ)، فأورد "قول الشاعر:

قَالَت بَنَاتُ الْعَمِّ يَا سلمى وَإِنْ

كَـــــانَ فَقِيرًا مُعْدِمًا قَالَتْ وَإِنْ

قَالَتْ وَإِنْ، قَالَتْ وَإِنْ، قَالَتْ وَإِنْ

* نشر في الجزيرة الثقافية في الجمعة/السبت٢٠-٢١ شعبان ١٤٤٥هـ/ ٠١ مارس ٢٠٢٤م. ع ١٨٥٧٣.

(١) الكتاب لسيبويه، ٣/ ١٥١، وانظر: ٤/ ١٦٢.

(٢) غريب الحديث لأبي عبيد، ط الهندية، ٢/ ٢٧٢.

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٣/ ٣٦٣.

أَي نَعَمْ"[١]. ولعل هذا وهم فـ(إنْ) هنا شرطية، وذكر الأبيات النحويون؛ ولكن ليس شاهدًا لهذا. ومنهم الزجاجي قال "وَتَكون بِمَعْنى (أجل) فَلَا تعْمل شَيْئًا كَقَوْل الْقَائِل لِابْنِ الزبير: لعن الله نَاقَةً حَملتنِي إِلَيْك، فَقَالَ: إنَّ وراكبَها. مَعْنَاهُ (أجل)"[٢].

أما ابن مالك فقد اهتم بحشد الشواهد لها، وتأكيد معنى (نعم) للحرف (إنّ)، قال "أنكر بعض العلماء كون (إنّ) بمعنى (نعم)، وزعم أنّ (إنّ) في قوله:

بكَــرَ العــواذِلُ في الصَّبُو ... حِ يَلُمْنَنِي وأَلومُهُنَّه

ويَقُلْنَ شَيب قد علا ... ك وقد كبرت فقلت إنّه

مؤكِّدةٌ ناصبةٌ للاسم رافعةٌ للخبر، وجعل الهاء اسمها، والخبر محذوفًا، كأنه قال: إن الذي ذكرتنَّ واقع كما وصفتنَّ، فحذف الخبر للعلم به، واقتصر على الاسم. والذي زعم هذا القائل ممكن في البيت المذكور، فلو لم يوجد شاهد غيره لرجح قوله، ولكن الشواهد على كون (إنَّ) بمعنى (نعَم) مؤيّدها ظاهر، ودافعها مكابر، فلزم الانقياد إليها، والاعتماد عليها. فمنها قول عبد الله بن الزُّبَيْر رضي الله عنه لابن الزَّبير الأسدي لما قال له: لعَنَ الله ناقة حملتني إليك: إنَّ وراكبَها. أراد: نعم، ولعن راكبَها. ومنها قول حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه:

يقولون أعمَى قلتُ: إنّ وربما ... أكون وإني من فتى لبصير

ومنها ما أنشده أحمد بن يحيى من قول الشاعر:

---

(١) المحلى (وجوه النصب) لابن شقير، ص ١٠٨.

(٢) حروف المعاني والصفات للزجاجي، ص ٥٦.

ليت شِعْري هل للمحب شفاءٌ ... من جَوَى حبِّهنَّ؟ إنَّ، اللقاءُ

ومنها قول بعض الطائيين:

قالوا أخِفْتَ فقلت إنَّ وخيفتي ... ما إنْ تزالُ مَنُوطة برجاء

ونبهت في هذا الباب على ورود (إنَّ) بمعنى (نعم) ليعلم بها، فتعامل بما تعامل (نعم) من عدم الاختصاص، وعدم الإعمال، وجواز الوقف عليها"(١).

ونقض أبو حيان(٧٤٥هـ) الاستشهاد بشواهد ابن مالك وتأولها، قال "اختُلف في (إنَّ) هل تأتي بمعنى (نَعَمْ) حرفَ جواب، فلا يكون لها إذ ذاك عمل، أو لا تكون بمعنى (نَعَمْ) البتة؟ فذهب بعضهم إلى إثبات ذلك، وهو قول س [سيبويه] والأخفش واختيار المصنف. وذهب بعضهم إلى إنكار ذلك، وهو قول أبي عبيدة [أبي عبيد] واختيار ابن عصفور. وزعم المصنف أنَّ الشواهد قاطعة بذلك من لسان العرب"(٢)، وعَدَّد شواهد ابن مالك وأضاف "وأنشد غير المصنف:

قالوا: غَدَرتَ، فقلتُ: إنَّ، ورُبَّما   نالَ المُنَى وشَفى الغَليلَ الغادرُ

وقوله:

بَكَرَ العَــواذلُ في الصَّبُو ... حِ يَلُــمْنَنِي وأَلُــومُهُنَّــــهْ

ويَقُلْنَ: شَيبٌ قد علا ... كَ، وقد كَبِرتَ، فقلتُ: إنَّهْ

(١) شرح التسهيل لابن مالك، ٢/ ٣٢-٣٣.

(٢) التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل لأبي حيان، ٥/ ١٢٨-١٢٩.

وقال الأخفش [الصغير] في قوله تعالى ﴿إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾: إنَّ بِمعنى نَعَمْ"[١].

وأجاب عن شواهد ابن مالك وشواهد غيره فقال "وما ذكروه لا ينهض أن يكون دليلًا على مرادفة (إنَّ) لـ(نَعَمْ) إذ يحتمل أن تكون هي العاملة. فأمَّا قوله (فقُلتُ إنَّه) فهو من حذف خبر (إنَّ)، وقد تقدم أنه يَجوز لفهم المعنى، التقدير: إنَّه كما قُلْتنَّ. وأمّا قوله (إنَّ اللّقاءُ) فهو من حذف الاسم لفهم المعنى، وقد تقدم أنه يَجوز، كما قال: (ولكنَّ زَنْجِيٌّ عَظيمُ المَشافرِ)، والتقدير: إنَّه اللقاء، أي: إنَّ الشّفاءَ اللقاءُ. وأما قوله: (يَقولونَ: أَعْمَى، قُلتُ: إنَّ)، و(قالوا: أَخِفْتَ فقُلتُ: إنَّ)، وقولُ ابن الزُّبَير (إنَّ وصاحِبَها)، و(قالوا: غَدَرْتَ، فقُلتُ: إنَّ) فهو مِمّا حُذف فيه الاسم والخبر لفهم المعنى، ولا يَجوز حذفهما معًا إلا في (إنَّ)، والتقدير: قلتُ إنَّ عَمايَ واقعٌ، وإنَّ خوفي واقعٌ، وإنَّها مَلعونةٌ وصاحبَها، وإنَّ غَدْري نافعٌ. وهذا المذهب أولَى؛ لأنه قد تقرر فيها أنَّها تنصب الاسم وترفع الخبر، ولم يستقر فيها أن تكون بمعنى (نَعَمْ)"[٢].

وقال أيضًا "فأمّا قولُ الشاعر:

إذا قالَ صَحْبِي: إنَّك اليومَ رائحٌ ... ولم تَقْضِ منها حاجةً قلتُ: إنَّ لا

فقيل: إنَّ التقدير: إنَّه لا تَتِمُّ لي حاجة. وقيل: (إنَّ) بِمعنى (نَعَمْ). وكذلك ما أنشد الكسائي:

إنَّ لا خَيرَ فيه أَبْعَدَهُ الله ... لَيُزْري بِنفسِهِ ويَرِي

(١) التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل لأبي حيان، ٥/ ١٢٩- ١٣٠.

(٢) التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل لأبي حيان، ٥/ ١٣٠- ١٣١.

قال الكسائي: (إنَّ) فيه بمعنى (نَعَمْ). وأُوِّلَ على حذف الاسم، ويدل على ذلك وجود اللام في (لَيُزْري)"[١].

والذي أميل إليه مذهب أبي حيّان في بقاء (إنَّ) على أصل معناها، ولعل بعض النحويين عدّها بمعنى (نعم) لأنها مؤكدة للمعنى، والتأكيد كالتصديق الذي تهبه (نعم) في الجواب، ولم نجدهم استعملوها في لغتهم بهذا المعنى، فلا أظن أنّ أحدًا سيجيب من يسأله قائلًا: هل جاء زيد؟ فيقول: إنَّه.

(١) التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل لأبي حيان، ٥/ ١٣١- ١٣٢.

الفصل الثاني

كتب ورسائل

الأفعال العماد*

هذا عنوان كتاب الصديق الزميل الدكتور فايز بن سعد آل لجم، ولعنوان هذا الكتاب صلة فهو "الأفعال العماد في العربيّة الفصيحة القديمة والعربية المعاصرة: دراسة تحليلية مقارنة باستخدام المدونات اللغوية"، وهذا الكتاب في أصله رسالة دكتوراه في جامعة القصيم بإشراف أ.د. عزالدين محمد المجدوب وأ.د. عبدالمحسن بن عبيد الثبيتي. نشرته في ٣٤٩صفحة دار كنوز المعرفة في عمّان- الأردن، عام ١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٢م.

جاء هذا الكتاب في فصلين غير مسميين استغناءً بتسمية المباحث فيهما إذ قسم كل فصل إلى ثلاثة مباحث، وكان من طريقته أن يختم المبحث بخلاصة، ونجده جعل خاتمة للفصل الأول بعد خلاصة المبحث الثالث منه، وأما الفصل الثاني فلم يذكر له خاتمة كخاتمة الفصل الأول ولعله اكتفى بالخاتمة النهائية العامة لفصلي الكتاب بمباحثهما.

عالج الدكتور فايز في المبحث الأول من الفصل الأول "تعريف الفعل العماد، والمصطلحات المنافسة له"، ولعله يقصد بالمنافسة المرادفة لمصطلح الأفعال العماد. قال المؤلف في (ص٢٥) "يأتي مصطلح (الفعل العماد) ترجمة للمصطلح الفرنسيّ (verbe support) وللمصطلح الإنجليزيّ (light verb)، وهو في الدراسات اللغوية الحديثة امتداد لظاهرة (الأفعال الناقصة) في البحث النحويّ القديم. ولعله يقابل جملة الأفعال الداخلة على المبتدأ والخبر (كان وأخواتها، كاد وأخواتها، وكذلك ظنّ وأخواتها)، وإن

* نشر في الجزيرة الثقافية الجمعة/السبت ٢٥-٢٦ ربيع الأول ١٤٤٤هـ/ ٢١ أكتوبر ٢٠٢٢م. ع. ١٨١٤٧.

تكن كتب النحو اهتمت بعدد قليل من هذه الأفعال فإن هذه الدراسة توسعت فيها على نحو مدهش؛ إذ "بلغت الأفعال العماد في القائمة المستخرجة من المدونة القديمة، والمدونة المعاصرة (ثمانين وأربع مائة فعلٍ)" (ص٢٦). ووقفنا على ما سماه المصطلحات المنافسة وهي (الأفعال المساعدة)، و(الأفعال الناقلة)، و(الأفعال المشبّعة)، و(العبارات المتكلّسة).

أصّل في المبحث الثاني لظاهرة الأفعال العماد في التراث مبيّنًا المصطلح، ووقفنا على ضمير الفصل الذي سماه الكوفيون عمادًا، و(إيّا) التي هي عماد لما اتصل بها من ضمائر نحو (إيّاي/إيّانا/إيّاك/إيّاه). ووقفنا على الأفعال الناقصة وأفعال المقاربة والشروع والترجي، قال المؤلف "ولم يجعل الباحث (ظن وأخواتها) ضمن الأفعال العماد؛ لأن الأفعال العماد فارغة دلاليًّا، بينما (ظن وأخواتها) تدل على الحدث، وهو الظنّ، وهو حدث قلبيٌّ، كما أن مرفوعها ليس مبتدأ في الأصل، وليست محتاجة لخبرها كما في الأفعال الناقصة مثلًا" (ص٩٠)، ولعلي أتوقف في قوله هذا؛ فصحيح أنَّ (ظن وأخواتها) ليست ناقصة نقصان (كان وأخواتها) لأنها ذات فاعل، ولكنها ناسخة؛ لأنّها تغيّر أحكام المبتدأ والخبر كما غيّرتهما (كان)، وهي لا تكتفي بالمبتدأ حتى يُتَمَّ بالخبر، فلا تقول: "ظننتُ زيدًا" وتسكت عن خبره ما لم ترد بظنّ الاتهام، ومن هذا الاعتبار يمكن عدّ (ظنّ) ناقصة، لأنها لا تكتفي بالمبتدأ كما لم تكتف (كان) به، وفعل الظن عماد؛ لأنّ معنى الظن لا يكفي بل هو وصلة للمعنى المفهوم من الخبر، ففي قولنا (ظننتُ زيدًا قادِمًا) نجد الحدث الأساسيّ هو القدوم وأما الظنّ فهو عماده. ووقفنا الباحث بما يدل على جودة استقصائه وتتبعه على استعمال (هذا) ونحوه استعمال (كان) بما سُمي بـ(التقريب)، ذكر ابن السراج عمله "واستشهد بقوله تعالى ﴿وَهَذَا بَعْلِي

شَيْخًا﴾ [هود: ٧٢]، حيث عملت (هذا) عمل الفعل الناقص بنصب كلمة (شيخًا)، وهذا لا يكون إلا للأفعال دون الأسماء"(ص٩٢). وعرض للعبارات المتكلسة (الأمثال) وحاول أن يبين أن أفعالها استعملت استعمال الأفعال العماد.

وأما المبحث الثالث فكان عن ظاهرة الأفعال العماد في البحث اللغوي الحديث، تحدث فيه عن المحمول الفعليّ وخصائصه، ثم استعرض إحدى عشرة دراسة اهتمت بالفعل العماد في البحث اللغويّ الحديث.

إن صح أن نعد الفصل الأول درسًا تنظيريًّا فإن الثاني هو الدرس التطبيقي، وقد جعله الباحث في ثلاثة مباحث، أولها عن مقاييس بناء صنفي المدونة: العربية القديمة والمعاصرة، وقفنا على تعريف المدونات اللغوية وأنواعها وطرق الإفادة منها، واختيار المدونتين، فبيّن ما اختير من القديم والمعاصر وسبب الاختيار وبيانات المدونتين، وخطوات إعدادهما للدراسة من تشذيب وتجزئة وتقطيع وتوسيم واستعمال للأداة (غوّاص).

وأما المبحث الثاني فكان عن تصنيف الأفعال العماد، فوقفنا على معايير اختيار الأفعال العماد ومنها الفراغ الدلاليّ وكثرة التوارد وقابلية الاشتقاق، ووقفنا على آلية إدراج الفعل ضمن قائمة الأفعال العماد.

وأما المبحث الثالث فهو مقارنة بين الأفعال العماد في اللغة العربية القديمة إلى حدود القرن الرابع الهجري، مع الأفعال العماد في اللغة العربية المعاصرة، فوقفنا على ما ورد في المدونة القديمة ولم يرد في الحديثة، وما ورد في الحديثة ولم يرد في القديمة، ووقفنا على مقارنة بين المدونتين من حيث الوحدة المعجمية واستعمالات الأفعال العماد

فيهما، ثم حسب الحقول المعجمية، والوظائف المعجمية، وبيّن بعدُ أسباب الفروق التي ترد إلى الترجمة وتنوع الأوعية، أي (روايات، وصحف، ومجلات، وأنظمة، إلخ.).

كان من حسنات هذا العمل إنجاز قائمتين مهمتين: قائمة بالأفعال العماد وقائمة بالمصطلحات الواردة في الدراسة. وكلل العمل الجليل بسبعة فهارس فنية مهمة، كان سابعها فهرس المصادر والمراجع الذي جعله في خمسة أقسام، وكان الأولى، في نظري، الاقتصار على قسمين: المصادر والمراجع العربية، والمصادر والمراجع الأجنبية.

هذا الكتاب الرائع ثمرة جهد جادّ أصيل مبتكر في بابه، وهو دليل على أن البحث اللغوي يكون عظيم الأثر حين يتضافر القديم والحديث برؤية لغوية حديثة ثاقبة، وفق الله الزميل الدكتور فايز بن سعد آل لجم إلى مزيد من الأعمال النافعة، ونحن ننتظر منه ومن أمثاله كل جديد مفيد. وما كتبته هنا إنما هو لمحة عابرة لا تغني عن قراءة الكتاب قراءة متأنية.

تشومسكي في عباءة سيبويه*

هذا عنوان كتاب أ.د. سعد بن سيف المضيّاني، نشره النادي الأدبي الثقافي بالحدود الشمالية، عام ٢٠٢٠م، ولعنوان الكتاب عنوان شارح هو "قراءة في ردود حمزة المزيني على من وصفهم بالثرثارين في قضية تأثر النحو التوليدي بالنحو العربي"، ويبين هذا العنوان الشارح هدف المؤلف بوضوح تامّ، غير أن العنوان الأساسي ربما يفهم منه القارئ تحيّزًا ظاهرًا نحو القول بتأثر تشومسكي بالنحو العربي، وأمر التأثر ممكن كما أن عدمه ممكن، فالأفكار التي تلقاها سيبويه من أساتذته النحويين وحررها وطورها لا تمنع أن يقع لغيره من المتأخرين نحو ما وقع له من غير أن يكون له صلة به.

جعل الكتاب في تمهيد وأربعة مباحث، وجاء في التمهيد إشارة إلى الهجوم الذي شنه الوصفيون على النحو العربي ثم عودة اللسانيين بعد ظهور النحو التوليدي إلى تقدير النحو العربي قدره، بل راح فريق من الباحثين يشيع أن النحو التوليدي هو أثر من آثار النحو العربي.

وأما المبحث الأول فهو عن (تشومسكي ونظريته) يذكر فيه أن والد تشومسكي متخصص بالنحو العبري الذي هو مستفاد من نحو العربية بل كتب في بداياته بلغة عربية، فهذا طريق لمعرفته النحو العربي إلى جانب ما ذكر في الكتاب من درسه كتاب سيبويه. وأما نظريته فأهم مرتكزاتها الاكتساب اللغوي الذي هو فطرة عند تشومسكي لا محاكاة ودربة ومران كما هي عند السلوكيين، ولو كان الأمر فطريًّا فقط لنطق الطفل الذي عاش في الغابة مع الحيوانات وقلد أصواتها ولنطق الأصم، ومن مرتكزاتها القدرة

* نشر في الجزيرة الثقافية الجمعة/السبت١٠-٠٢ جمادى الأولى ١٤٤٤هـ/ ٢٥ نوفمبر ٢٠٢٢م. ع. ١٨١٧٧.

الإبداعية أي إنشاء جمل لم يسمعها من قبل، ومنها الكفاية والأداء، ومنها الحدس اللغوي ومنها البنية العميقة والبنية السطحية ومنها الكليات اللغوية والقواعد التوليدية والتحويلية.

والمبحث الثاني (أهم مواطن التشابه بين نظرية تشومسكي والنحو العربي وموقف اللسانيين منها) وعد من مواطن التشابه **استقلال نظام القواعد** وهو استقلال نظام اللغة عن دلالتها. وهنا إشارة إلى قول سيبويه عن استقامة الكلام وإحالته، فجملة (سآتيك أمسِ) كلام مستقيم محال، ومنها إبداعيّة اللغة أي قدرة المتكلم على إنشاء جمل لم يسمعها من قبل، وهنا تُذكر أقوال لنحويين مثل ابن مالك مثل "فلو كان الكلام دالًّا بالوضع وجب فيه ذلك، ولم يكن لنا أن نتكلم بكلام لم نسبق إليه". ومنها **الحدس اللغوي** وهو اعتماد صحة الكلام على تقبل المجتمع، وقرنه المؤلف باعتماد سيبويه على من (يوثق بعربيته) و(الموثوق بهم)، وأحسب أن الأمرين مختلفان، فالأمر عند تشومسكي أن الكلام صحيح متى قبله المجتمع الذي يستعمله الآن، أما عند سيبويه فهو ينظر في النصوص التي يعتمد عليها في التقعيد، ولذلك كان اللحن مردودًا وإن شاع استعماله واشتهر أمره فلا يكفي أن يقبل الناس استعمالًا ليكون محل قبول النحوي له. ومنها **الأصالة والفرعية (البنية العميقة والبنية السطحية)**، ولعل الأصل والفرع وهو معتمد في النحو العربي يختلف عن (البنية العميقة والبنية السطحية) لأن من الأصل والفرع ما هو مستعمل في البنية السطحية أي التي يستعملها متكلم اللغة مثل المبني للمعلوم والمبني للمجهول فجملة (ضرب زيد عمرًا) و(ضُرب عمرٌو) مستعملتان، ولكن يمكن النظر إلى الجمل المقدرة مما ينص عليه أنه للتمثيل ولا يتكلم به، مثل نيابة المفعول المطلق عن فعله، ونصب المفعول المشتغل عنه، ورافع الاسم بعد (إنْ وإذا) الشرطيتين، ورافع النعت

المقطوع أو ناصبه، فكل ذلك يمكن عدّه من البنية السطحية التي تفسرها بنية عميقة. ومنها **العامل** و**التحويل النحوي**. وأما مواقف اللسانيين فجاءت مختلفة، فمنهم من أقر بالتشابه؛ ولكنه لم يتوقف عنده مثل مصطفى غلفان، ومنهم من أيّد تأثر تشومسكي بالنحو العربي منهم: هاينس غروتسفلد، وفولف ديتريش فيشر، وتمام حسان، وكمال أبوديب، وعبدالرحمن الحاج صالح، ومازن الوعر، ونهاد الموسى، وعبدالسلام المسدي، وصلاح الدين الشريف، ومنهم من رفض تأثر تشومسكي بالنحو العربي، منهم: مرتضى جواد باقر، وحافظ إسماعيلي علوي، ولم يجعل المؤلف حمزة المزيني هنا؛ ولكن قال في مطلع المبحث الثالث "لا شك أن الدكتور المزيني ضمن القسم الثالث الذي يرفض فكرة تأثر تشومسكي بالنحو العربي".

والمبحث الثالث (ردود المزيني على من يرى تأثر تشومسكي بالنحو العربي) وهي ردود وصفها المؤلف بعد عرض وتفصيل بأنها فيها **مغالطات ظاهرة وتناقضات صريحة واستطرادات لا تخدم القضية واستدلالات ضعيفة أو غير صحيحة وانتقائية**. وسرد المؤلف أمثلة لما ذكر. ووقفنا المؤلف على المناقشات التي ركز فيها المزيني على تتبع الهفوات فأولها مناقشة مقابلة مازن الوعر لتشومسكي وفيها تكذيب مازن الوعر مرتين الأولى في مقال (كذبة الآجرومية) والآخرة في مقدمة كتاب (البنية المنطقية للنظرية اللسانية) لتشومسكي، والثانية مناقشة عبدالرحمن الحاج صالح، والثالثة مناقشة عبدالسلام المسدي، والرابعة مناقشة فواز عبدالحق التي ذكر المؤلف في ختامها "أن المزيني له كامل الحق في ألا يعتمد على هذه الرواية، وألا يقبل رأي من اعتمد عليها، ولكن ليس له الحق قطعيًّا في أن يُكذّب كل هذا التكذيب، ويسخر كل هذه السخرية،

وليس لديه أي مستند سوى أن تشومسكي أنكر!"، وهذا قول مبين، فليس من الخير التكذيب والسخرية.

والمبحث الرابع (عرض ومناقشة مراسلات تشومسكي). بدأ بعرض مراسلات المزيني وتشومسكي وهن إحدى عشرة رسالة ثم ناقشها، ثم عرض المؤلف مراسلاته هو نفسه وتشومسكي ثم ناقشها.

وختم المؤلف عمله مبيّنًا أن تأثر عالم بالنحو العربي لا يضيره وعدم تأثره لا يضير النحو العربي. وأنه يجب ألّا تخرجنا موافقة تشومسكي أو مخالفته عن الموضوعية. وأنه بغض الطرف عن التأثر فعمق النحو العربي وغناه اتفق عليه اللسانيون في الغرب والشرق، وأن انحصار هدف الدارسين في إثبات التأثر أو نفيه غير مجد في الدرس اللساني. وأن مسألة التأثر والتأثير أوسع من المحاكاة الساذجة والنقل المباشر. وأن د.حمزة المزيني لم يقدم ما يقنع القائلين بالتأثر. وأن مشكلته إجلاله للنحويين الغربيين، وأما النحويون بعد سيبويه فلا يراهم نحويين بل رواة نحو. وأن أستاذنا د.حمزة بن قبلان المزيني قامة علمية نفخر بها في تخصصه اللسانيات وبخاصة الترجمة ومناقشته أو مخالفته لا يمكن أن تمس هذه المكانة.

بقي أن نتوجه للدكتور سعد بن سيف المضيّاني بالشكر لعمله الجليل المتصف بالاستقصاء ودقة التحليل والتوثيق والموضوعية.

التعليقة على ملحة الإعراب*

لم أعرف د. بندر بن عبدالولي بن عبدالله السلمي حتى اتصل بي ليقول لي إنه من طلاب مرحلة الماجستير في قسم اللغة العربية، وأنه يعد رسالة عنوانها "معايير ابن خروف في اعتراضاته النحوية على ابن بابشاذ" بإشراف أ.د. خالد عبدالكريم بسندي، واستأذنني بندر أن يتصل بي كلّما وجد حاجة إلى مناقشة مسألة نحوية أو إجراء منهجي، وعلمت منه أن مشرفه وجهه إلى ذلك، رحبت به، وكانت بيننا مكالمات كثيرة طويلة، وجدته فيها مهتمًّا بالدقائق والتفاصيل، مستوضحًا كل ما يشوبه غموض أو يعرض له إشكال، لم يكن يمرّ الأمور إمرارًا، وشاء الله أن ينتظم في شعبة مرحلة الدكتوراه التي أشارك فيها طلاب الدراسات العليا التعلم فألفيته كما عهدته، كلفًا بالتدقيق، حريصًا على التعلم بوضوح وبسط، فلا يغادر مسألة حتى يصل فيها إلى ما يقنع عقله، كان غزير الاطلاع، واسع المعرفة، يحسن الاستفادة من مصادره ومن مراجعه، يحسن التخير، ويتوخى الصواب، ويتحرى الحكمة. ثم كان لي شرف مناقشة رسالته للدكتوراه "تضعيفات أبي حيان النحوية في كتابه البحر المحيط" التي أشرف عليها د.حسان بن عبدالله محمد الغنيمان، رحمه الله. وكانت رسالته من الرسائل الجياد في قسمنا المبارك.

---

* هذه المداخلة هي تقديمي لكتاب (التعليقة على ملحة الإعراب) الذي نشره مركز النشر العلمي بجامعة الملك عبدالعزيز عام ١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٢م. ونشرت في الجزيرة الثقافية في الجمعة/السبت ٢٩-٣٠ جمادى الأولى ١٤٤٤هـ/ ٢٣ ديسمبر ٢٠٢٢م. ع. ١٨٢٠١.

ويفاجئني د. بندر اليوم بخوضه غمار عالم جديد، هو عالم المخطوطات وتحقيقها، وذلك حين كابد تحقيق كتاب "التعليقة على ملحة الإعراب". ومؤلفه هو شهاب الدين أحمد بن أرسلان الرملي الشافعي (ت ٨٤٤ هـ). جاء في زمن استوى فيه النحو ونحا العلماء في الغالب منحًى تعليميًّا فما الملحة وما المنظومات النحوية الأخرى سوى سعي لزوي النحو المستقر في شكل صالح للاستظهار ميسر للطالب أمر تذكر الأحكام اللغوية، وهي منطلق للتعليم ببسطها وشرحها والتعليق عليها، ومن هنا تأتي تعليقة ابن أرسلان التي هدفها تعليمي بل تربوي يظهر الجانب التربوي في بعض الاستطرادات الوعظية أو الأدبية أو التاريخية وهو دليل على أن يتوجه بهذا التعليق إلى متلقين مباشرين. ويظهر لك أهمية ذلك من كشف المحقق مدى استفادة ابن أرسلان من النحويين السابقين، والمحقق تتبع ذلك في نحو فريد دقيق.

لم يكتف المحقق بأيسر ما يقتضيه تحقيق النصوص، وهو إخراجها في الصورة التي أرادها المؤلف أو الصورة التي هي أقرب إلى تلك الصورة، بل أراد أن يبلغ بالنص درجة عالية من الوضوح والتوثيق؛ لأن هدفه الأسمى هو خدمة العربية وطلابها؛ من أجل ذلك سلك طريقًا منسجمًا مع ما تعوده من طلب التفصيل والتوضيح والتدقيق، فألزم نفسه بما لا يلزم، وكان من ذلك أنه وثق أقوال العلماء من كتبهم أو من أقرب كتب إلى عصرهم، وهو ينص على ما استفاده ابن أرسلان من غيره من غير عزو، وهو بصنيعه هذا يقوي النص ويشده بأصوله فيزيده تلاحمًا ويجعل الثقة به أقوى والاستفادة به أرجى.

وهو كذلك يخرج الشواهد التي وردت في النص المحقق، فيخرج قراءة الآيات من كتب القراءات ولا يكتفي بورودها في تفسير من التفاسير، إذ ربما توقف في قبول عدها قراءة كالقراءة التي نسبتها التفاسير إلى ابن مسعود، وهي (حتى تنفقوا بعض ما تحبون)،

قال "ولعلها تفسير للمعنى وليست قراءة؛ لأنني لم أجد لها ذكرًا في كتب القراءات" وهو موافق بذلك قول السمين الحلبي الذي ذكره المحقق، وهو مع ذلك قد يوثق القراءات من التفاسير، وهي مصادر معتمدة.

حرص على نقل شرح الغريب الوارد في الملحة والتعليقة، ينقل الشرح من المعاجم ابتداءًا من (العين) لا يكتفي بنقل المعنى.

يوثق الشواهد الشعرية من كتب النحو ودواوين الشعراء، وأراه أثقل حواشيه في ذلك، فالشاهد الشعري عندي إنما يوثق من أول مصدر نحوي ورد فيه مثل كتاب سيبويه، ولا تذكر مظانٌّ أخرى إلا إن اختلف الإنشاد. وقريب من هذا أنه اهتم بالترجمة لبعض الأعلام الذين رأى أهمية للترجمة لهم.

وأبرز ما يظهر من عمل المحقق المدقق عنايته باتساق النص، فهو يحذف ما رأى أن زيادته من خطأ النساخ، وهو يضيف ما لا يستقيم النص إلا به لوقوع سقط أو لسهو عرض للناسخ فأخل بالنص.

أحسن المحقق في دراسته التي جعلها بين يدي الكتاب فترجم لابن أرسلان، وتحدث عن عمله في التعليقة، فكان ما ذكره على وجازته كاشفًا عن طريقة المعلق في عمله، ومن ذلك ما اتصف به المعلق من حب الاستطراد، وهو أمر غير مألوف في شروح المتون النحوية أو حواشيها والتعاليق عليها، والمعلق مع ذلك لا يستطرد إلى ذكر ما يمكن عده تكملة للموضوع النحوي؛ فصاحب الملحة اكتفي من المبتدأ بنوع واحد هو المبتدأ الذي له خبر، فكان من المتوقع أن يذكر المعلق النوع الثاني وهو المبتدأ الذي له فاعل سدّ مسدّ الخبر مثل (أقائم الزيدان).

ربما يقول قارئ غير متخصص كلف بكتب التراث: أي فائدة في تحقيق كتاب مثل هذا؟ يغني غيره عنه، وهو قول من لا يدرك أن نشر التراث واجب بغض الطرف عن مدى قيمته، إذ قد تجد في بعض ما تظنه بلا قيمة نفائس لا تجدها في غيره. والكتب النحوية متكاملة يوثق بعضها بعضًا فكم من أقوال لعلماء متقدمين نقلتها كتب متأخرة وهي أقوال قد لا نجدها في كتب المتقدمين.

بارك الله في جهود الدكتور بندر بن عبدالوالي السلمي ووفقه وأسعده. وجزى الله القائمين على مركز التميز البحثي في اللغة العربية بجامعة الملك عبدالعزيز خير الجزاء على استشعارهم المسؤولية تجاه لغتنا العربية، وحرصهم على نشر تراثها، وخدمة طلابها.

ثابت الإيقاع متنوع الوقع*

ليس ما تراه من جناس وطباق في هذا العنوان من قبيل الزخرف اللفظي بل هو عنوان يزوي قضية مهمة أبدع معالجتها العلامة القدير أستاذنا الدكتور سعد بن عبدالعزيز مصلوح، ويبين العنوان الشارح للكتاب(١) أنه (رسالة في بلاغة التشكيل الصوتي للتفعيلة العروضية)، وهي رسالة قليلة الورَق ثقيلة ثقل الورِق، وهي قضية أهمت صاحبها منذ عرف الشعر، وهو الشاعر بن الشاعر، وهي **أنى يكون للبحر الشعري الواحد عند الشاعر الواحد أو عند أكثر من شاعر أن يتصدى للعبارة بكفاية واقتدار عن تجارب إنسانية متباعدة ومتشاكسة، بما تتحقق به لذة الاستجابة ومتعة التلقي؟**

ويضرب لنا مثالين، فهذه قصيدة لأبي صخر الهذلي في الغزل، جاء فيها:

عَجِبْتُ لِسَعي الدّهر بيني وبينها ... فَلمّا انقضى ما بيننا سكَنَ الدَّهْرُ

فيـــا حُبَّها زِدْني جوًى كلّ ليلةٍ ... ويا سلوة الأيـــام موعِدُك الحشْرُ

ويقول أبو تمام في الرثاء:

كذا فليجُلَّ الخطب وليفدحِ الأمر...فليس لعين لم يفِضْ ماؤها عُذرُ

فتًى مات بين الطعن والضرب مِيتة... تقوم مقامَ النصْر؛ إذ فاته النصرُ

---

* نشر في الجزيرة الثقافية، الجمعة/السبت ٢٣-٢٤ صفر ١٤٤٥هـ/ ٠٨ سبتمبر ٢٠٢٣م. ع ١٨٤٢٣.

(١) نشر كتاب (ثابت الإيقاع متنوع الوقع: رسالة في بلاغة التشكيل الصوتي للتفعيلة العروضية)، في: دار الكاتب، القاهرة، ط١، ٢٠٢٣م.

القصيدتان من بحر الطويل ورويهما راءٌ مضمومة، وهذا هو الإيقاع الثابت، فمن أين يأتي التغير الذي هو (الوقع)؟ إنه يأتي من محتوى القالب الثابت ذلك المحتوى المتغير بأصواته صوامته وحركاته وأجناس كل ذلك.

استعان أستاذنا لمعالجة هذه المسألة بعلوم متضافرة: العروض والبلاغة والأصوات، وكان أن زويت له هذه العلوم حتى جلّى فيها علمًا وتعليمًا.

جاءت هذه الرسالة في سبعة مباحث، جعل الأول تمهيدًا يشرح فيه الفرق بين ما سماه إيقاعًا وما سماه وقعًا، وهو ما ينال السامع فيرضى ويطرب أو ينفر ويعرض، وبيّن الأستاذ أهم ما يفرق بين الإيقاع والوقع، وندرك من ذلك أن الإيقاع عام مشترك وأن الوقع خاص يتنافس فيه الشعراء كلٌّ بحسب عبقريته وثقافته اللغوية والمعرفية وموهبته الخاصة، وأما المبحث الثاني فيقود القارئ برفق وأناة إلى معرفة الأصل المعني بالمعالجة وهو الصوت، فالشعر في المقام الأول لغة، واللغة صوت، ولذا يشرح الأستاذ المعنى الفيزيائي للصوت، وهو حركة جسم في وسط ناقل للحركة بما يسمى موجات، ويشرح بدقة وسهولة أجزاء الجهاز الصوتي للإنسان ابتداء من الرئة التي تدفع الهواء فتضطرب الحبال الصوتية، وتواصل موجات حركتها في عمود الهواء حتى الشفتين، وفي مجرى الهواء جملة مناطق لحبس الصوت أو تضييق مجراه وللسان كيفيات بها تتغير غرفة الرنين، ولانفتاح الأنف أو إقفاله أثر في الصوت، وتتضافر جملة من الصفات والمخارج التي تضمن لكل صوت تميزه السمعي، وكلَّ ذلك يشرحه الأستاذ بدقة واختصار مبين، ولكن معرفتنا لهذا التمايز الصوتي لا تكفي، فيأتي المطلب الثالث المبين للسلم التراتبي النغمي لصوتيمات العربية [الحروف والحركات]، وهو سلم يتألف من عشر درجات، أولها الألف المدية أي الفتحة الطويلة وآخرها وقفيات مهموسة (همزة القطع والتاء والطاء

والكاف والقاف)، ويقصد بـ(الطاء) الطاء المعاصرة لا التراثية المجهورة، وإذ فرغ من تقرير ذلك كلّه انتقل إلى تفصيل (تنوع الوقع)، وهو موضوع المطلب الرابع، وفيه يبين أن منها ما هو وقع ناعم ومنها ما هو وقع جاس، ويختم بما سماه تجليات السلم العشري في مسائل الرويّ، وهو تفسير لبعض ما وصفت به بعض أحرف الروي من صفات كالقوافي النفر والحوش والذّلل، وفي المبحث الخامس وهو (بلاغة الأنساق في التشكيل الصوتي) وأجملها في ثلاثة مظاهر المطابقة والمقاربة والمعاقبة، وهو يشير إلى جهود القدماء في بيان أنواع الجناس والطباق، وأما المبحث السادس فجعله لخصائص الصوامت العربية من منظور نطقي وهو بيان لمخارج الأصوات وصفاتها، وأظن أن هذا المبحث كان يمكن أن يلي الحديث عن الصوت والجهاز النطقي، أما المبحث السابع فهو مبحث تطبيقي بيّن فيه أن المطابقة في الإيقاع لا تلزم منها المطابقة بالوقع، وتوسل لبيان ذلك برسوم بيانية تفصيلية بالتفاعيل وموقع الأصوات فيها من السلم العشري.

لا جدال في أن هذا العمل رائد جدير بالتأمل والمتابعة والاختبار، ولعل من له بصر بالعروض والصوتيات والبلاغة يخوض في هذا المجال، أما أنا فأقول إن طائفة من جوانب الموضوع غمضت عليّ، ولم أحسن فهمها؛ لقصور مداركي عنها ولقلة حظي من المنابع التي تعود إليها، ولذلك لا أجد جوابًا صريحًا شافيًا للنفس عن السؤال الذي أثار هذه المسألة.

الدرة المضية في شرح الألفية*

هذا كتاب (الدرة المضية في شرح الألفية) للشيخ العالم العلامة إبراهيم بن موسى الأبناسيّ (٨٠٣هـ) يقدم نفسه بعنوانه، فحسبه أن يكون شرحًا لأشهر منظومة نحوية زوت ما تخيره النحوي العبقري ابن مالك من نحو المذهبين البصريّ والكوفيّ، وتلقاها الناس بالقبول، وما زالت تدرس في معاهد العربية وكلياتها إلى يومنا هذا، ويكاد ينصرف مصطلح النحو إذا أطلق إلى هذا النحو المالكي الذي ثقفه الناس من الألفية وما دار حولها من كتب الشرح والحواشي.

وأما الأبناسي فهو"إِبْرَاهِيم بن مُوسَى بن أَيُّوب الأبناسي برهَان الدَّين أَبُو مُحَمَّد، الْعَالم الْفَقِيه العابد، ولد بأبْناس بِفَتْح الْهمزَة وَسُكُون الْمُوَحدَة بعْدهَا نون وَفِي آخرهَا سين مُهْملَة، وَهِي قَرْيَة صَغِيرَة بِالْوَجْهِ البحري [المصري] سنة خمس وَعشْرين وَسَبْعمائة تَقْرِيبًا ... وَقدم الْقَاهِرَة وَله بضع وَعِشْرُونَ سنة وَسمع بهَا وبدمشق من جمَاعَة وَخرج لَهُ الْحَافِظ ولي الدَّين ابْن الْعِرَاقِيّ مشيخة، وَتخرج فِي الْفِقْه على الشَّيْخَيْنِ جمال الدَّين الْإِسْنَوِيّ وَولي الدَّين المنفلوطي وَغَيرهمَا، وَتخرج فِي الحَدِيث بمغلطاي قَالَ المؤرخ نَاصِر الدَّين ابْن الْفُرَات كَانَ شيخ الديار المصرية مربيًا للطلبة، وَله مصنفات فِي الحَدِيث وَالْفِقْه وَالْأُصُول والعربية، وَحج وجاور مَرَّات، قَالَ الْحَافِظ شهَاب الدَّين ابْن حجر أمتع الله بِبَقَائِهِ فِيمَا كتب إِلَيّ أَنه مهر فِي الْفِقْه وَالْأُصُول والعربية وشغل فِيهَا، وَبنى زَاوِيَة بالمقس

* نشر في المجلة الثقافية في عددين:

الجمعة/السبت ٢٨-٢٩ محرم ١٤٤٤هـ/ ٢٦ اغسطس ٢٠٢٢م. ع. ١٨٠٩٩.

الجمعة/السبت ٠٦-٠٧ صفر ١٤٤٤هـ/ ٠٢ سبتمبر ٢٠٢٢م. ع. ١٨١٠٥.

ظَاهر الْقَاهِرَة، وَأقَام بهَا يحسن إِلَى الطّلبَة ويجمعهم على التفقه ويرتب لَهُم مَا يأْكُلُون وَيسْعَى لَهُم فِي الرزق خُصُوصًا الواردين من الضواحي، فَصَارَ أَكثر الطّلبَة بِالْقَاهِرَةِ من تلامذته، وَتخرج بِهِ مِنْهُم خلق كثير، وَكَانَ حسن التَّعْلِيم لين الْجَانِب متواضعًا بشوشًا متعبدًا متقشفًا مطرح التَّكَلُّف، وَقد درس بمدرسة السُّلْطَان حسن، وبالآثار النَّبَوِيَّة، وبالجامع الْأَزْهَر، وَقد عين للْقَضَاء مرّة فتوارى، وَذكر أَنه فتح الْمُصحف فَخرج ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيّ مِمَّا يَدْعونَني إِلَيْهِ﴾ [٣٣-يوسف] وَلم يزل مستمرًّا على طَرِيقَته وإفادته ونفعة إلى أَن حجّ فِي سنة إِحْدَى وَثَمَانمِائَة فَمَاتَ رَاجعًا فِي الْمحرم بعيون الْقصب بِالْقرب من عقبَة أَيْلَة وَدفن هُنَاك"(١).

وكان من نعم الله عليَّ أن أراد أستاذنا الجليل الدكتور عبدالله بن عليّ الشلال بكرمه السابغ أن أقدم هذا الكتاب، إكرامًا لي، لا تلبية لحاجة يقتضيها العمل، فالله أسأله أن يجزيه عني خير الجزاء.

يأتي هذا الكتاب بعد سنوات من المعاناة والجهد والنصب ومكابدة قراءة مخطوطات الكتاب ومقابلة بعضها ببعض في حلة قشيبة وإخراج حسن.

تميز عمل أستاذنا في ضبطه نص الألفية ضبطًا كاملًا، وضبط ما هدي إلى ضبطه من كلم الشرح، وهو أمر مهم قد يغفل بعض المحققين عنه فيشكل على غير المتخصصين الضبط الصحيح.

---

(١) طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة، ٤/ ٥-٧.

وهو بذكر الفرق بين النسخ في حواشي الكتاب يكون قد وفى بحق التحقيق الوفاء الذي يقتضيه منهج التحقيق، ولكنه لشدة حرصه على منفعة القارئ وطالب العلم ألزم نفسه بما لا يلزم من الأعمال الشاقة، من ذلك توثيق جميع القراءات الواردة وبيان جهة الاستشهاد بها، وتوثق الأمثال ولغات العرب موضحًا ما يحتاج إلى توضيح، وتحقق الأقوال والآراء التي ذكرها الشارح بالرجوع إلى مصادرها ما أمكن.

أما الشواهد فحرص على توثيقها من دواوينها ثم مواطن ورودها في كتب النحو واللغة، وكان يكفي في نظري أن يوثق من الديوان وأول كتاب نحوي أو لغوي ورد فيه الشاهد ما لم يكن له إنشاد مختلف يقتضي ذكر مصدره، ولم يكتف بتوثيق الشاهد بل عرف قائله وذكر من نسب إليه عند اختلاف النسبة، ثم إنه يعين الشاهد وجهة الاستشهاد.

اهتم أستاذنا المحقق بذكر ما في الشرح من الغريب وبخاصة في أبواب الصرف. وعرف الأعلام الواردة في الشرح على كثرتها إذ بلغت مئتين وأربعين علمًا مع أن منهم المشهورين الذين لا حاجة إلى تعريفهم مثل سيبويه وابن جني ونحوهما. وختم عمله الجليل بكشافات فنية مهمة.

ويأتي عمل أستاذنا الدكتور عبدالله بن علي الشلال امتدادًا لاهتمامه المبكر بالألفية منذ تعلمها أثناء الطلب ثم درّسها ودرس شروحها وحقق بعض تلك الشروح، قال أستاذنا "وقد أحببت ألفية ابن مالك رحمه الله، وأولعت بها وبشروحها منذ كنت طالبًا، ودرّستها عدة سنوات، وعُنيت بتحقيق بعض شروحها ونشرها؛ ليستفيد طلاب العلم والباحثون في قضايا النحو والصرف من تعدد الشروح بأساليب متنوعة سهولة وبسطًا".

ولهذا الكتاب أهمية أظهرها مؤلفه الأبناسيّ في مقدمته الموجزة إذ قال "فإن كتاب الخلاصة للشيخ جمال الدين ابن مالك، عَذُب لفظه، وكبُر[١] حظّه، وقد ولِع به أهل الزمان، وسارت به الرُّكبان، وكنت ممن واظبه بحثًا وحفظًا، وقيّدته معنًى ولفظًا، وجمعت عليه شروحًا موجزة ومسهَبة، فلخصت لنفسي منها جملة مقربة؛ ليسهل عليّ وعلى كل مبتدئ فهم معضله، وحل مشكله، قاصدًا بذلك وجه الله".

ومن أجل ذلك حرص أستاذنا على عرض الكتاب على غيره من شروح الألفية خاصة شرح المراديّ لشدة اعتماد هذا الشرح على عبارته والاستفادة من إحالاته الأقوال إلى أصحابها مثل القول بأن الأسماء قبل تركّبها لا معربة ولا مبنية نسبه الشارح لابن عصفور وهو ما ذكره المرادي قبله.

ولم يكتف أستاذنا بما يقتضيه الكتاب من أمر التحقيق والتدقيق والتوثيق بل راح يدرسه دراسة فاحصة معمقة كشفت عن جوانب مهمة، فدرس حياة الشارح الأبناسي وذكر آثاره العلمية، ودرس الكتاب فبيّن منهج الأبناسي في شرح الألفية وآراءه ومذهبه النحوي، وما كان من مخالفته للناظم، وما له من ملحوظات على عبارات الألفية، وتتبعه الاختلافات بين بعض كتب ابن مالك والألفية، وما استدركه عليها من شروط وما اقتضت من تتمات، ثم إنه تعقب أقوال ابن الناظم لأهميتها فهو أول شراح الألفية، ولم ينس أن يعرف صاحب الخلاصة ابن مالك وقد أحسن بإيراد ذلك موجزًا.

ولم يقف أستاذنا أمام نص الشرح موقف المحقق بل تجاوز ذلك إلى موقف الناقد فتراه في حواشيه يستدرك على الشارح؛ فعند قوله: "والمركب تركيب تقييد كغلام زيد"

---

(١) كبُر بالضم بمعنى عظُم، وكبِر بالكسر صار كبيرًا.

علق أستاذنا في الحاشية قائلًا "مثال المركب تركيب تقييد: حيوان ناطق، أما (غلام زيد) فمركب إضافي"، وفعل أستاذنا تقيد بحرفية التحقيق؛ إذ يبدو أن النص ناله شيء من الحذف بانتقال نظر الناسخ، وكان من المفيد في نظري إثبات هذا الحذف في المتن مع الإشارة في الحاشية إلى ذلك. ومن ذلك قول الشارح "قال ولده: لفظة استقم من تمام الحد. ورد بأنّ الكلام عند النحويين هو المفيد، وقد تمّ الحدّ به، فاستقم مثال، لا تمام"، وعلق أستاذنا في الحاشية بعد توثيق قول ابن الناظم "والحقيقة أن قول ابن الناظم لا يختلف عن قول والده ولا عن قول النحويين، حيث قال: (الكلام عند النحويين هو اللفظ الدال على معنى يحسن السكوت عليه، وهذا ما أراد بقوله: مفيد كاستقم، كأنه قال الكلام لفظ مفيد فائدة تامة يصح الاكتفاء بها كالفائدة في استقم، فاكتفى عن تتميم الحد بالتمثيل) فاستقم جملة مفيدة يحسن السكوت عليها، فاكتفى بها في الدلالة على المراد".

أعجبني التزام المحقق رسم تنوين المنصوب على الحرف لا الألف، ورأيته يرسم الألف بعد الأسماء التي تنتهي بألف وهمزة خلافًا لما ألفه الناس من ترك الألف إن ختم الاسم بألف وهمزة، وهذا عود بالفرع إلى الأصل وهو ما قرره المحقق وزملاؤه المؤلفون لكتاب (دليل توحيد ضوابط الرسم الإملائي للكتابة العربية) الذي نشره المركز العربي للبحوث التربوية لدول الخليج- الكويت، ٢٠٠٩م).

وبعد فهذا الكتاب هدية قيمة لطلاب العربية وإثراء لمكتبة النحو الجليلة وهو بما ازدان به من دراسة معمقة مجال خصب لتوسيع آفاق هذه الدراسة واستقصاء جوانب البحث فيها لتشمل وصف عبارات الشارح وموازنتها بعبارات الشروح الأخرى ومراجعة

الأقوال والآراء المنسوبة للعلماء للتحقق من صدق نسبتها إليهم ودقة الفهم عنهم، ولعل أحد طلاب الدراسات العليا ينشط لمثل هذا.

دعاء من القلب بالتوفيق لهذا العالم الجليل الذي وهب نفسه للعربية ولطلابها.

رَهَبُوتٌ وَرَحَمُوت*

هذا كتاب أبدع نسجه الأستاذ العالم النحوي الدكتور فريد بن عبدالعزيز الزامل السليم، وأوّل ما يأخذ بانتباه القارئ هذا العنوان الغريب الذي اختاره الدكتور فريد تلبية لشغف نحوي لغوي بألفاظ هذه اللغة الخالدة التي نحس أنّ علينا واجب تجديد استعمال ألفاظها التي أهملت؛ إذ لا تكاد يتداول في فصحانا من أمثلة (فَعَلوت) سوى (جَبَروت)، وأما لفظا العنوان "فالرَّحَمُوتُ وَالرَّهَبُوتُ مصدران بمعنى الرَّحْمة والرَّهْبة"(١)، ولكن يأتي عنوانه الشارح "حكاية قرن ووحي صحبة" ليجلي الغرض ويكشف عن المقصود، ومما يثيره العنوان دلالة واو العطف، فالواو في الغالب لمطلق الجمع، أي إن الرهبة لا تسبق الرحمة بل هما متمازجتان؛ فرهبة الابن التي يحسها لأبيه لا تنفك عن إحساسه رحمته. ولعل للترتيب مساغًا، فرهبة الصغير للكبير أول أموره وأظهرها؛ ولكنه حين يشب عن الطوق ويشتد عوده يدرك ما وراء مظاهر الرهبة من رحمة، ربما يزويها المثل الشعبي (صياحه ولا صياح عليه)، قبول بأهون الضررين.

صدر الكتاب عن دار الثلوثية للنشر والتوزيع في عام ١٤٤٤هـ، وقد أكرمني الصديق الدكتور فريد بأن أقرأ الكتاب قبيل نشره، وكنت خشيت أن يكون كتاب نحو أو لغة فيه من الجدّ ما يبعث على السأم؛ ولكن العمل فاجأني مفاجأة عظيمة جدًا، فهو كتاب رائع كلّ روعة، إذ يجمع بين الطاقة الكتابية العجيبة والقدرة على الاستقصاء

* نشر في الجزيرة لثقافية في الجمعة/السبت ١٣-١٤جمادى الآخرة ١٤٤٤هـ،/ ٠٦ يناير ٢٠٢٣م، ع١٨٢١٣.

(١) ابن يعيش، شرح المفصل، ٤/ ١٨٣.

والضبط البحثي، فهو يعامل موضوعه معاملة الباحث الدقيق المتقن المزود بالتواريخ وبالتوثيق الجيد.

والأمر اللافت ما يتصف به العمل من القدرة السردية، فما كتبه الدكتور فريد، في نظري، هو في جانب من جوانبه عمل سردي لا يقل عن الأعمال السردية المحتفى بها، والحقّ أني كنت نويت أن أقرأ الكتاب مُنَجَّمًا؛ ولكن حينما بدأت به دعاني فلم أدعْه، فقد ملك عليّ نفسي، تركت كل شيء وواصلت القراءة، فالكتاب ممتع غاية الإمتاع، وهو إلى الجانب السردي الجميل الذي يبهجك بحكايات وقصص ومواقف يحفل بقيم تربوية عالية، عمادها هذه العلاقة بين الأب والابن، وتربية الأب لابنه هذه التربية الصالحة المثمرة.

الكتاب على خصوصية مضمونه يشير إلى مثال رائع من أمثلة المعلمين في مدارسنا، من هذا الجيل الذي ينتمي إليه الوالد، هو الجيل من المعلمين العظماء، بله ما لهم من قدرة علمية وتمكن في التعليم فلهم أخلاق ومبادئ بها استطاعوا أن يكون لهم التقدير والحظوة والمكانة الاجتماعية اللائقة بهم بسبب ما يتصفون به من انضباط ومن حسن رعاية تربوية؛ فهم لا يعلمون فقط ولكنهم أيضًا يربون، وما وصفه الدكتور فريد من تشدد في والده قد يبلغ درجة التحكم أو شيئًا من هذا القبيل في نظر بعض الناس؛ مفيد من جوانب مختلفة، فلا يفسد التعليم إلا التساهل والتهاون وترك الأمور هينة للطلاب وللمعلمين، وهو أمر ظهر على مستوى التلقي عند المتأخرين.

قدم الدكتور فريد لنا في كتابه (رهبوت ورحموت) مثلًا مشرقًا لشخصية تستحق الاحترام والتبجيل، إذ هي صورة مشرقة لرجل من رجال بلادنا الذين نعتز بهم.

وأحسن الدكتور فريد كثيرًا في أنه جمع بين الإتقان الإحصائي والجمال السردي وصاغ ذلك في هيأة لم يجُر فيها أحدهما على الآخر، فكان في عمله نوع من التوازن الذي لا يمل معه القارئ، تحية وتقدير للصديق الدكتور فريد.

رواية (عودة الرجاء)*

تفضلت عليّ الروائية المبدعة أروى الغلاييني بإهداء رواية (عودة الرجاء)، وأروى حفظها الله هي ابنة زميلتنا في قسم اللغة العربية في جامعة الملك سعود الدكتورة رجاء عودة، كانت زميلة لأم أوس رحمهما الله جميعًا.

هذه الرواية أو السيرة هي رواية وسيرة في الوقت نفسه؛ فهي لها الصفة الأدبية التي تجعلها في الروايات، ولها طابع سرد السيرة؛ لأنها تتبعت تتبعًا جيدًا مراحل مختلفة لحياة هذه المرأة العظيمة، منذ كانت صغيرة، وأتاحت الفرصة لأن يتعرف عليها القارئ في هذه المراحل المختلفة.

وتهب أيضًا اطلاعًا على البيئة الدمشقية في ذلك الوقت، أي البيئة التي تغلب عليها العادات الدينية والتحفظ الشديد والعادات الاجتماعية الخاصة التي كانت مصادمة بعض الشيء لرغبة هذه المرأة الطموح التي ترغب في التزود من العلم بما يناسب ما لها من قدرات عالية وشغف بالتعلم؛ لكن كانت الظروف أصعب منها، وكان الرجاء ملازمًا لها.

أرى الكاتبة القديرة قد أحسنت وضع عنوان العمل، كان لفتة ذكية بالغة. وحين رأيت العنوان للوهلة الأولى (عودة الرجاء) قلت في نفسي: إنها فقط أرادت القلب المكاني لكي تتحدث عن والدتها (رجاء عودة) رحمها الله، ولكن تبين لي من القراءة أنّ القضية أعمق من ذلك، وأنها كان حقًّا يلازمها رجاء منذ أن توقفت عن الدراسة

---

* نشر في الجزيرة الثقافة الجمعة/السبت ٣٠جمادى الآخرة-١رجب ١٤٤٥هـ/١٢-١٣يناير٢٠٢٤م. ع١٨٥٣١.

استجابة وطاعة لوالديها، واستجابة للعرف الاجتماعي القاهر في ذلك الوقت، نعم انقطعت عن الدراسة وظل يلازمها الرجاء أن تتمكن من إكمال الدراسة، وشاء الله أن تكمل الدراسة فكانت دراسة البكالوريوس والماجستير والدكتوراه.

وأنا أقرأ هذه الرواية حدث ما لم يحدث لي أبدًا عند قراءة رواية أو سيرة أخرى، شيء لم أعرف له تفسيرًا؛ إذ لم يرقأ دمعي من أول سطر إلى النهاية حتى آخر سطر، إن في مواقف مفرحة أو مترحة، كان سرد الكاتبة لها باعثًا على ذلك، ومنذ بدأت بالقراءة لم أستطع أن أتوقف، فأوقفت كل النشاطات، كل الكتابات، كل القراءات، وواليت القراءة بمثابرة حتى أنهيتها، ثم أفاجأ بأنّ هذا هو الجزء الأول، وأنا الآن انتظر الجزء الثاني.

كانت اللغة التي استعملتها الكاتبة فيها مراوحة بين اللغة الفصيحة واللغة العامية، وهذا مقبول في الحوارات؛ ولكنه أحيانًا يتسلل إلى السرد.

وأما بنية الرواية فبدأت العمل راوية، وكنتِ تضعين بين قوسين صوت البطلة بخط مائل، كان هذا في الأجزاء الأولى ثم في الفصل الثاني عشر وما بعده أصبحت البطلة هي التي تتحدث وتوارت الراوية، وهكذا إلى آخر الرواية. وفي جزء من الأجزاء صغير جدًّا رجعت الراوية؛ ولكنها اختفت مرة أخرى.

اجتهدتِ الكاتبة في وضع معجم في نهاية الرواية ليسهل على القارئ فهم بعض المصطلحات التي لابد من استعمالها في مثل هذا العمل وهذا مفيد؛ ولكن لاحظت أن بعض الألفاظ لم تُذكر في المعجم؛ ولم أهتدِ إليها في المعجم، وبعضها لم تُميز بالسواد حتى يعلم أنها خاصة أو لها استعمال خاص، ونحن نعلم أنها تحتاج إلى بعض الشرح،

قد تكون مشهورة في بيئات؛ لكن في بيئات أخرى لا تفهم. وبعض الألفاظ يتضح من السياق أنها أكلة وفي المعجم لا يزيد عن أنه يقول: أكلة كذا، وهذا لا يكفي، فالقارئ بوده أن يعرف ما طبيعة الأكلة، فقوله: (أكلة شامية) لا يكفي.

كان بودي أن تكون هذا الكلمات المشروحة في أسفل الصفحة حتى لا ينتقل القارئ كل مرة إلى النهاية ليكشف عن معنى الكلمة فمن الخير أن يراها مباشرة في أسفل الصفحة فيواصل بسرعة القراءة.

وظهر لي أيضًا أثر الثقافة الدينية التراثية، يظهر في تضاعيف هذا العمل في استلهام قصة النبي يوسف وإخوته وهو اهتمام ظهر في قصة أخرى رافقت هذه القصة فقد تفضلت علي ابنتنا الفاضلة أروى الغلاييني بإهدائي نسخة من رواية (مكيدة أرض عدنان). ونجد تلك الثقافة أيضًا في الأعلام المختارة، فهي لم توضع عشوائيًّا، وبخاصة الذكور، نجد آدم (نبي) و(محمدًا) و(موسى) وأخاه (هارون) وهكذا الأم (مريم). وإلى ذلك كله لم يُغفل الجانب الشعبي؛ وذلك يظهر في أسماء شامية بحتة مثل: (بوران)[١] و(نازك)[٢] وغيرهما.

رواية متماسكة النص، جيدة السبك، محكمة النسج، وهي جديرة بالقراءة.

---

(١) اسم أنثى ولعله من الفارسية أو التركية بمعنى العاصفة الثلجية. وهو اسم ابنة كسرى.

(٢) نازك اسم أنثى، جاء في (معجم أسماء العرب) "اسم فارسي بمعنى ظريف لطيف رقيق جميل مهذب أهيف، ويكنى به عن المعشوق".

شكر وتثمين*

هذا عنوان رسالة أسعدني بها زميلي أخي صديقي أبو زكريا صالح بن سليمان الحجي، ويشرفني أن أورد رسالته هنا:

"السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد،

فقد شرفت بتسلم نسخة من كتاب (أبو أوس إبراهيم الشمسان) الذي أعده أبناء أبي أوس، وتفرغت لتقليب صفحاته وإمتاع ناظري بمحتواه فوجدت ما بين يدي عملًا رائعًا شكلًا ومضمونًا، ولم تك ثمة غرابة! فالشمسانيون الذين أتحفونا بهذا العمل المبارك، إن شاء الله، هم فضلاء يحيطهم الوفاء من كل اتجاه فبقدر الوفاء الذي قدمه أبو أوس لآخرين كثر هاهم أفراد أسرته يضربون أصدق برهان على الوفاء لعَلَم فيهم استحق أن يُفرد له كتاب سيرة لرجل فذ سطع نجمه في سماء الساحة الثقافية، واشرأبت الأعناق لتنظر إليه فدنا بتواضعه من أحبابه ومريديه ليروه ويراهم عن قرب متبسطًا غير متعال، ولم يأبه بعلو مكانته العلمية ولم يحجبه عن المحيطين به سمو تلك المكانة.

تحية إجلال وتقدير واحترام لأم أوس وأبنائها حين فطنوا لما غفل عنه الكثيرون فأعدوا عن أبي أوس هذا العمل العظيم الذي سيخلُد بإذن الله ويخلِّد الأسماء التي كَتَبت أو كُتبت عنها هذه السيرة العطرة.

أمد الله في عمر أبي أوس وعمر أم أوس على خير ما يطول به عمر مسلم من رضا الله وطاعته وأثاب أبناءهما بما يجازى به البارون بوالديهم وجزى الله بالخير كل من سطرت أياديهم مواد هذا الكتاب. اللهم آمين.

حرر في مساء الاثنين ١٤٤٤/٥/٤هـ وكتبه محبكم أبو زكريا صالح الحجّي".

---

* نشر في المجلة الثقافية في الجمعة/السبت ١٥-١٦ جمادى الأولى ١٤٤٤هـ/ ٠٩-١٠ ديسمبر ٢٠٢٢م. ع١٨١٨٩.

كنت في مدرسة اليمامة الثانوية، أنتهز الفرص بين الحصص الدراسية لأقف أمام الصحيفة المدرسية التي يحررها طالبان هما صالح الحجي ومحمد أبا حسين، لم تكن الموضوعات المنشورة، على أهميتها، ما يجعلني أقف طويلًا أمامها بل الخط الرائع الذي كتبت به الموضوعات عناوانها ومتونها، آية من الجمال، ولم يتيسر لي معرفة المحررين ولكني لما التحقت بكلية الآداب أكرمني الله بمزاملة أبي زكريا في السنة الأولى وهي سنة عامة قبل السنوات الثلاث التخصصية بعدها، وفي هذه السنة لفت انتباهي جمال خط زميلي أبي زكريا في دفاتره التي يدون عليها ملحوظاته، فبينت له عشقي للخط العربي وما كان من وقوفي أمام الصحيفة، فقال إنه هو من كان يخطها.

أكمل أبو زكريا دراسته في قسم التاريخ، وأكملت في قسم اللغة العربية؛ ولكنه من الزملاء الذين استمرت صلتي بهم، بل صرنا أصدقاء فعرفته وعرفت أسرته، والديه رحمهما الله وأخوه عبدالله الخطاط المبدع رحمه الله، وعرفت أخويه عليًّا ومحمدًا، وكان أن رحلنا معًا لزيارة أهله في الدوادمي ثم أهلي في المذنب وأخواله في البدائع.

كان من بين نشاطات اللجنة الثقافية في الكلية إجراء مسابقة في الفنون المختلفة منها الرسم والخط، فتجرأت في المشاركة في الرسم، أما الخط فلم أفكر في ذلك لعلمي أن خطي خربشات إلى جانب خطّ أخي أبي زكريا. وبعد تخرجنا في الكلية عُيّن في المكتبة في قسم المخطوطات وعينت معيدًا في قسم اللغة العربية.

تجد جمال خط أبي زكريا الرائع ظاهرًا على عنوانات فهارس المخطوطات وفي الملصقات التعريفية. زرته يومًا في مكتبه أستكتبه عنونًا للكتاب الذي أُعده وهو (الشاذليّات) وكتبت في العنوان الشارح "أبحاث مهداة إلى الأستاذ الدكتور حسن الشاذلي فرهود"، توقف أخي أبوزكريا في (الشاذلي) وقال لعلها (شاذلي) ولكني أصررت

على ما كتبت، فلما طبع الكتاب واطلع عليه أستاذنا غضب لهذا التحريف وقال اسم والدي (شاذلي) ولام من فعل ذلك؛ ولكنه رجع عن لومه حين اعترفت له بأني من أخطأ، وقد أزلت (ال) من غلاف النسخة الإليكترونية.

ومن طرائف ما أخبرني به أبو زكريا أول اشتغاله بقسم المخطوطات أنه زاره شيخ جليل يلبس غترة يحرص أن يضعها خلف أذنه لوَقْر (ثقل) في سمعه، رحب به أبو زكريا ودعاه للجلوس، فقال له إنه من المهتمين بالمخطوطات، فأخذه أبوزكريا في جولة على المخطوطات حتى اكتفى من مشاهدتها، أجلسه ليكرمه بتقديم الشاي ونحوه إليه، وخطر بباله أن يسأله عن اسمه فسأله، فقال الشيخ: أنا حمد الجاسر. قال لي أبوزكريا: دارت الدنيا بي ولم أعرف ما أفعل، ورحت أعتذر للشيخ من أنّي لم أعرفه وأني لم أفِه حقه من الاستقبال والحفاوة، ولكني والله يعلم أنجزت كل ما تقتضيه الزيارة.

أصبح أبوزكريا خبيرًا بالمخطوطات خبرة أهّلته للتحدث عنها في الندوات والإذاعة، منها سلسلة نشرها في كتاب "رحلة إذاعية في عالم المخطوطات العربية" عام ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، وكتب المقالات وألف الكتب منها "الثمر الينيع في إجازات الصنيع"، نشر الكتاب في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية (١٤٣١هـ/٢٠١٠م)، وكتاب "الجانب العلمي في سيرة الشيخ سليمان الصنيع: ١٣٢٣هـ ١٣٨٩هـ" نشرته مكتبة العبيكان في ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م.

تحية من القلب وشكر لأخي أبي زكريا حفظهما الله.

صغير ذو زَمَاع*

قال ابن سيدة "والزَّمَعُ والزَّماعُ: المضاء فِي الْأَمر، والعزم عَلَيْهِ. وأزْمَعَ الْأَمرَ، وَبِه، وَعَلِيهِ: مضى فِيهِ"(١). والشيخ النحوي الدكتور سليمان بن عبدالعزيز العيوني مبدع هذه الرواية ذكر المعنى فجعل (ذا الزماع) في ص٧ ضدّ المستسلم.

كنا في زيارة كريمة إلى بيت الشيخ حفظه الله، وكان من مكملات كرمه السابغ فوق أريحيته وما أكرم به ضيوفه أن عرض جملة من كتب في المنصرَف بعد الزيارة، فبادرت إلى اختيار جملة من الكتب كانت هذه الرواية منها.

عرفت الشيخ النحوي سليمان أستاذ نحو وصرف يعلّمهما في الجامعة وفي غيرها من معاهد الدرس، وساعيًا ما استطاع إلى نشرهما، فبسط القول حينًا واختصره حينًا، نظم العلم في بيوت وشرحها؛ ولكن أمر الرواية أدهشني؛ فقلّما تجد من النحويين من يبدع في فنون الأدب، ولست أعرف من اللغويين المحدثين من كتب الرواية سوى (علي أبو المكارم)(٢) رحمه الله.

تتناول الرواية حكاية (عبد الرحمن) الشخصية التي تدور حولها أحداث الرواية فتبين مراحل من حياته، وهو فتى أظهر على صغر سنه صلابة وعزيمة، وتحلى بصفات عظيمة، وسيرته تكاد تكون نمطًا متكررًا لرجال عرفهم مجتمعنا، وبخاصة رجال الأعمال الذين تسمع حكاياتهم منهم هم أنفسهم أو من غيرهم، تعجب لشدة ما عانوا، ولقوة بأسهم

---

* نشرت في الجزيرة الثقافية الجمعة/السبت١٦-١٧ جمادى الآخرة ١٤٤٥هـ، ٢٩ ديسمبر ٢٠٢٣م. ع١٨٥١٩.

(١) المحكم والمحيط الأعظم لابن سيدة، ١/ ٥٣٨.

(٢) كتبت عن أستاذنا في كتابي (من شجون اللغة)، نادي القصيم الأدبي/ بريدة، ١٩١٧م. ص ٢١٩.

وصادق عزيمتهم. وهي بالجملة تصف الحياة الاجتماعية أو صورة منها بما فيها من سلوك الإنسان وطبائعه فتظهر التدافع وما يتصف به الناس من أثرة أو إيثار ومن حبّ أو كره، من غبطة أو حسد، من عون أو خذلان، من نصح أو كيد، ومن خير أو شرّ، وتبين الرواية أثر حسن تربية الأم ولدها، وعرفت في حياتي من فقد والده صغيرًا فعاش في كنف أمه فأحسنت تربيته فنشأ نشأة صالحة، وتبين الرواية أن الإنسان يستطيع بجده وصبره وصدقه واعتماده على نفسه أن يصل إلى ما يريد.

وتعتمد الرواية في بنيتها على الحوار في المقام الأول، فالحوار أكثر من السرد. ولست تجد تفصيلًا كافيًا عن أماكن الأحداث ولا تجد تفصيلًا عن الشخصيات وأشكالها إلا قليلًا نجده حين توفي (أبو فهد) فوجدنا الروائي يفصل في بيان هيأته الجسدية وكل ما عرفناه قبل أنه تاجر من كبار التجار وأنه لا يخلو من الحسد فقد كاد لعبد الرحمن غير مرّة.

هذه الرواية واضحة البنية لا تعقيد في سبك أحداثها، فهي تتابع بانسجام، وجعلها الراوي المبدع في أربعة فصول عبرت عن مراحل متنامية من حياة بطل الرواية، الفصل الأول: **عبدالرحمن في دكان أبيه**، ومضمون هذا الفصل عمل عبد الرحمن مع والده، وعبد الرحمن هو أكبر أبناء صاحب الدكان (أبو سالم) من امرأته الأولى التي طلقها حين اضطرته أم سالم إلى ذلك كما اضطرته إلى التكني باسم ابنها سالم، وعاش الصبي في صراع بين رغبته في التعلم عملًا برغبة والدته وحثها له، والانصياع لطمع والده أن يعمل في الدكان وفاقًا لرغبة أم سالم التي لا تريد لابن ضرتها المطلقة أن يتعلم ويتفوق على أبنائها، وحاول الصغير بمعاونة خاله أن يلتحق بالمدرسة غير أن والده هدده بأخذه من أمه، فانصاع لأمر أبيه، ووُفّق لتعلم بعض أمور التجارة، حتى إذا كادت له خالته

أم سالم فأغرت زوجها أن ينحيه عن العمل في الدكان ويحل أبناءها محله في الصيف اضطر إلى كسب رزقه فاشتغل حمّالًا في السوق حتى فرّج الله عنه بأن صار صاحب دكان، وهذا موضوع الفصل الثاني: **عبدالرحمن في دكانه**، والدكان في الحق لوالدته أخذته من أخيها أحمد ببضاعته وبسيارة النقل التابعة له، وهو نصيبها من ورث أبيهما إلى البيت الذي هي فيه، وأتاح العمل في هذا الدكان لعبدالرحمن أن يعرف كبار التجار وأن يكتسب ودّهم بحسن خلقه ورجاحة عقله وجمال منطقه، وإن لم يسلم من حسد الحاسدين وكيدهم من مثل التاجر (أبو فهد)، الذي توفي وترك دكانه الواسع المطل على جانبين وهيأ الله لعبد الرحمن أن يشتريه بما اجتمع عنده من مال وبمساهمة التاجر (أبو عائشة)، فصار عبدالرحمن تاجرًا وهذا مضمون الفصل الثالث: **عبدالرحمن التاجر**، واستطاع بمشاركة (أبو عائشة) أن يفتح لمحله فروعًا في مدينته وفي غيرها. وأما الفصل الرابع وهو: **عبدالرحمن الزوج والأب**، فيتحدث عن زواجه بابنة شريكه بعد أن حرم من الزواج بابنة خاله التي فتن بها منذ صغره، ويتحدث الفصل عن بره بوالده وإخوته وأخواته، إذ حرص على توظيفهم وتزويجهم بكرم بالغ وسخاء، ولذا صدق عليه أن يكون (الأب) وهذا ما ظهر من عنوان الفصل في المتن وصدق عليه أن يكون (الأخ) بحق وهذا ما ظهر في الفهرس، فعنوان الفصل الرابع في الفهرس **عبدالرحمن الزوج والأخ**، وفي الغالب أن الخلاف سهو من الطابع، والحق أن عبدالرحمن ينطبق عليه وصف (الأب الأخ).

حرص الشيخ النحوي العيوني على أن يستحيي ألفاظ العربية القديمة وإن على استحياء، يظهر هذا في عنوان الرواية (صغير ذو زَماع)، و(رَجِيَّةٌ) ص٣٤٧، وقال ابن

دريد "وَمَا لي فِي فلَان رَجِيَّةٌ، أَي مَا أرجوه"[١]. (وطُلَعةٌ) ص٣٥٨، هي من صيغ المبالغة، جاء في (العين) "وتقول: إنّ نفسك لَطُلَعَةٌ إلى هذا الأمر، أي: تَتطلّع إليه، أي: تنازع إليه"[٢]. (والْتاثَتْ) ص٣٦٩، قال الأزهري في "واعتاص عليّ هَذَا الأمرُ يعتاص فَهُوَ معتاصٌ إِذا الْتَاث عَلَيْهِ، فَلم يهتدِ لجِهَة الصَّوَاب فِيهِ"[٣]. (الملَوان) في قوله: "وأدبه الملوان"ص٣٧٠، قال الجوهري "والمَلَوانِ: الليل والنهار. يقال: لا أفعله ما اختلف الْمَلَوانِ، الواحد مَلًا مقصورٌ"[٤]. (وغَرِيَتْ) في قوله "وغريت نفسه به" ص٣٧٤، قال الرازي "وَ(غَرِيَ) بِهِ مِنْ بَابِ صَدِيَ أَيْ أُولِعَ بِهِ، وَالِاسْمُ (الْغَرَاءُ) بِالْفَتْحِ وَالْمَدِّ"[٥]. (واندَمقا) في قوله "واندمقا دون إذن" ص٣٩٦، "والاندِماقُ: الانخراط، ويقال: اندَمَقَ عليهم بغتة ضربًا وشتمًا"[٦]. (وهاضه) في قوله "وهاضه الكرى"ص٣٩٩، قال الزمخشري "ومن المجاز: هاضه الكرى، وبه هَيْضَةُ الكرى: تكسيره وتفتيره"[٧]. وبعض تصاريف الفعل مستعملة في اللغات المحكية في الجزيرة. (يتوكف) في قوله "وهو يتوكَّف خبرًا" ص٤١١، قال الأزهري "يقالُ: هُوَ يتوَكَّفُ خَبَرًا يَرِدُ عَلَيْهِ أَي يتوقّعهُ"[٨].

(١) جمهرة اللغة لابن دريد، ٢/ ١٠٣٩.

(٢) معجم العين للخليل بن أحمد، ٢/ ١٢

(٣) تهذيب اللغة للأزهري، ٣/ ٥٢.

(٤) الصحاح للجوهري، ٦/ ٢٤٩٧.

(٥) مختار الصحاح للرازي، ص ٢٢٦.

(٦) معجم العين للخليل بن أحمد، ٥/ ١٢٤.

(٧) أساس البلاغة للزمخشري، ٢/ ٣٨٥.

(٨) تهذيب اللغة للأزهري، ١٠/ ٢١٤.

(أجفلت) في قوله "أجفلت السنة الثانية والعشرون" ص٤١٨، قال الزبيدي "وَأَجْفَلَتْ أَي أسرعَتْ"[١].

وربما استحيا بعض التراكيب التي ندرت في لغة المحدثين مثل الإتباع الصوتي، قال عن الهاتف ص٤١٢ "ما له صار شحيحًا نحيحًا، وكان صوته من قبل كثيرًا بَثِيرًا"، قال ابن سيدة "النَّحِيحُ: صَوت يردده الرجل فِي جَوْفه. وشحيحٌ نَحِيحٌ إتْباعٌ، كَأَنَّهُ إِذا سُئِلَ اعتل كَرَاهَة للعطاء فردد نَفَسه لذَلِك"[٢]. وقال "وَيَقُولُونَ: كَثير بَثير، والبَثير: هُوَ الْكثير مَأْخُوذ من قَوْلهم ماءٌ بَثْر: أَي كثير فَقَالُوا بَثير لموضِع كَثير"[٣]. ومن ذلك استعمال (من) للمجاوزة كما في قوله "واغتسل من لوعة الشَّجا" ص٤٦٦، أي عنها[٤].

وهو يحرص على ضبط ما يحتاج إلى ضبط من الألفاظ كما في (يكنُس) ص١٢، فهي بالضم تعني ينظف، ولكنها بالكسر تعني دخل في مأوى، وفي (خرِبت) ص١٣٩، لأن العامة يفتحون الراء، و(مِخَدَّتان)، قال الصفدي "والعامة تقول مَخَدّة، بفتح الميم. وصوابه كسرها"[٥]. و(غُصَّة) لأن بعض العامة تكسر العين، و(الخِطبة) في قوله "دعاك إلى خِطبتها" ص٤١٠؛ لتتميز عن الخُطبة، قال ابن دريد "وخَطَبَ الرجل خَطابة فَهُوَ خَطيب بَيّن الخَطابة. وَاسم الْكَلَام: الخُطْبَة. وخِطْبَةُ النِّسَاء بِالْكَسْرِ وَكَذَلِكَ هُوَ فِي

(١) تاج العروس للزبيدي، ٢٨/ ٢١٣.

(٢) المحكم والمحيط الأعظم لابن سيدة، ٢/ ٥٣٨.

(٣) المخصص لابن سيدة، ٤/ ٢١٦.

(٤) انظر في دلالة (من) على المجاوزة: الجنى الداني للمرادي، ص٣١١.

(٥) تصحيح التصحيف وتحرير التحريف للصفدي، ص ٤٧٠.

التَّنْزِيل: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ وَالله أعلم"[١]. وكسر فاء (هِزّة) في قوله "أهي هِزَّة انتصار" ص٣٤٧؛ لأنها اسم هيأة ولو أراد المرة لفتح الفاء (هَزَّة)، وفي قوله "ولا يتوقَّف قِدْرُ صدره عن الغليان" ص٤٠٧. ضبط قِدْرًا حتى لا تلتبس بِقَدْر أو قَدَر. وقد ذكّر (القِدْر) موافقة لاستعمال المعاصرين أما عند القدماء فالقِدْر مؤنثة. (وشَرِقَ) ص٤١٢، لأن العامة يفتحون الراء. (ينزِع) ص٤٦٦، كسر الراء لأمرين أحدهما لينبه إلى أن الفعل جاء على بابه (ضرب) ولم ينقل إلى باب (فتح) وإن كانت لامه حرفًا حلقيًّا، والآخر ليميزه عن الفعل (نزِع ينزَع) على باب (طرِب)، قال ابن منظور "والنَّزَعُ: انْحِسارُ مقدَّم شعَر الرأْسِ عَنْ جَانِبَيِ الجَبْهةِ، وموضِعُه النَّزَعةُ، وَقَدْ نَزِعَ يَنْزَعُ نَزَعًا"[٢].

وفي الرواية مواطن جمال في التراكيب والكلمات قد يتعذر أن أقف القارئ عليها. وإن يكن القارئ ملولًا مثلي فلن يمل متابعة قراءة هذه الرواية.

---

(١) جمهرة اللغة لابن دريد، ١/ ٢٩١.

(٢) لسان العرب لابن منظور، ٨/ ٣٥٢.

قواعد الكتابة العربية في علمي الخط والنقط*

هذا عنوان رسالة دكتوراه أعدها الباحث القدير: أسامة عبدالرزاق عبدالغفور شيراني (من باكستان)، وعنوانها الكامل: قواعد الكتابة العربية في علمي الخط والنقط: من القرن الثالث الهجري حتى العصر الحديث (دراسة وصفية تاريخية).

وقدمت هذه الرسالة إلى: الجامعة الإسلامية كلية اللغة العربية قسم اللغويات، وأشرف عليها العالم القدير: د.عبدالله بن عثمان اليتيمي. وكان لي شرف المشاركة في مناقشتها في يوم الأربعاء ١٣ من شوال عام ١٤٤٤هـ.

أشكل عليّ عنوانها؛ إذ يوحي قوله (قواعد الكتابة) بأنه يضع قواعدها، وليس هذا هو الغرض والدليل العنوان الشارح (دراسة وصفية تاريخية) فلعل الأولى جعل العنوان (تاريخ الكتابة العربية)، وأشكل عندي استعمال (الخط) لأنه مشترك لفظي فهو يدل على رسم الأصوات بكتبها، وهو يدل أيضًا على هندسة صورة الحرف المكتوب وهو ما يطلق عليه القلم مثل القلم الكوفي والثلث والنسخي والإجازة والفارسي والديواني ونحوها، وأشكل (النقط) الذي ارتبط في الغالب بنقطي الإعجام والإعراب، والباحث توسع في استعماله. وأشكل استعمال (حتى)؛ فالمشهور أنّ ما بعدها داخل فيما قبلها، والأولى استعمال (إلى)، كما في قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيامَ إِلى اللّيلِ﴾ [١٨٧-البقرة]، والباحث صرح بذلك في قوله "لأن غايتي الوصف والتأريخ للهجاء القديم لا المعاصر".

* نشرت في الجزيرة الثقافية الجمعة/السبت ٢٩-٣٠ شوال ١٤٤٤هـ/ ١٩ مايو ٢٠٢٣م. ع ١٨٣٢٧.

جاءت الرسالة في ١١٣١ صفحة، وهذا طول ظاهر؛ ولكن يمكن أن يلتمس للباحث العذر بالطول الزمني لموضوعها، وبكثرة الصور من المخطوطات، ولأنه بسط القول في الأصول التي اعتمد عليها في البحث وهو منهج تحقيقي. وربما أمكن التخفيف من بعض الطول بإيجاز القول عن الأصول واستعمال الجداول والحواشي.

هذه الرسالة من أكثر الرسائل التي قرأتها تميزًا، فهي تتصف بالإخراج الفني المتميز على الرغم من صعوبة موضوع البحث، وهي رسالة أصيلة، فيها جوانب من الإبداع في العرض والمعالجة، بما تهيأ لها من سلامة المنهج ووضوح خطوات البحث، وبما اتصف به الباحث من قدرة على استقصاء مادة بحثه فجودة استيعاب مفردات هذا البحث، ثم دقة وصف الظواهر وعمق تحليل القضايا، ويسعد ذلك ما عمد إليه الباحث من قراءة ناقدة موضوعية ظهر فيها تقدير العلماء، وتميز هذا العمل بالعناية بالتوثيق من ذكر الأعلام بتاريخ وفياتهم باطراد، وهذا لم أره في عمل آخر في هذا المستوى، ومنه دقة العزو للمصادر والمراجع وأوعية النشر المختلفة، وهي أوعية اتصفت إلى غزارتها بتنوعها. وقد صنفها الباحث في نهاية الرسالة في مجموعات وهي طريقة يتبعها كثير من الباحثين؛ ولكني لا أراها مفيدة كل الفائدة لأن الغرض من الثبت إطلاع الباحث على معلومات نشر المصادر والمراجع، وتقتضي السرعة أن يكون الثبت واحدًا مرتبًا ترتيبًا هجائيًّا فيسلم القارئ من مراجعة اسم المصدر أو المرجع في غير مجموعة.

ومن أبرز ما تميز به هذا العمل أنه يقفنا على أطوار كتب الحروف اعتمادًا على المخطوطات لا على أخبار متناقلة عنها، وهو يعزز ذلك بإلصاق صور تلك الأطوار في السرد فترى الصورة كما كتبت في المخطوط، وهذا اقتضى العودة والاستفادة من عدد هائل من المخطوطات.

من الأمور اللافتة في هذا العمل الجليل ظهور شخصية الباحث بقوة وثبات، واطراد مستوى الأداء من بداية الرسالة حتى نهايتها. وعلى الرغم من طول الرسالة اتسمت لغته بالوضوح والدقة والسلامة اللغوية في الغالب.

تألفت الرسالة بعد المقدمة من تمهيد في ثلاثة مباحث عن (الكتابة العربية وأصولها الخطّية)، ومن الباب الأول (علم الخطّ) وفيه سبعة فصول، وكل فصل ذو مباحث وكل مبحث ذو مطالب، وأما الباب الثاني فهو (علم النقط) وفيه ثلاثة فصول، وكل فصل ذو مباحث ومطالب، وكان من نتائج بحثه: أنه ظهر من مسائل البحث وقضاياه ضرورة العودة إلى الأصول الخطية لفهم الهجاء القديم وتصوره، وأن الكتابة القديمة اعتمدت على التلقين لأنه لابد من حفظ هيآت الكلمات وهو ما اختلف عن الإملاء الحديث المعتمد على مطابقة المخطوط للمنطوق ما أمكن. توهم بعض محققي الكتب حين يصفون كتابة بعض المخطوطات بالخطأ والمخالفة مع أنها مطابقة للقواعد المعروفة في زمانهم، وظهر أن بعض أخطاء المحققين سببها جهلهم بالهجاء القديم، وأن الدعوة إلى مطابقة الخط اللفظ قديمة عند بعض العلماء كالمبرد، وظهر أن المتقدمين قد لا يلتزمون طريقة واحدة، وظهر أن أوسع القرون تعدد مذاهب القرن الرابع.

وعلى الرغم من طول الرسالة وصعوبة موضوعها وتعدد مسالكها ممتعة للقارئ المتخصص، فهي جديرة بالقراءة وأرجو أن تطبع طباعة لائقة بها.

كتاب في علم الطفيليات*

بلغة واضحة سليمة استطاعت الأستاذة القديرة سارة بنت محمد الخميس أن تكتب للقارئ العادي هذا الكتاب (مدخل عام في علم الطفيليات)، نشرته مجموعة تكوين المتحدة للطباعة والنشر والتوزيع، عام ١٤٤٣هـ.

الطفيليات جمع طفيليّ، نقل اللفظ من اللغة إلى الاصطلاح الأحيائيّ، وأما معناه اللغويّ فجاء في معجم (تهذيب اللغة) للأزهري "وَقَالَ ابْن السكِّيت: فِي قَوْلهم فلانٌ طُفَيلِيّ للَّذي يدْخل المآدبَ وَلم يُدْع إِلَيْهَا هُوَ منسوبٌ إِلَى طُفيل، رجل من بني عبد الله بن غَطفَان من أهل الْكُوفَة، وَكَانَ يَأْتِي الولائمَ دون أَن يُدْعَى إِلَيْهَا، وَكَانَ يُقَال لَهُ: طُفيل الأعراس أَو العرائس، وَكَانَ يَقُول: ودِدْتُ أنَّ الْكُوفَة بِرْكَةٌ مُصَهْرَجة[1] فَلَا يخفى عليّ مِنْهَا شَيْء. قَالَ: وَالْعرب تسمي الطُّفَيلِيَّ: الرّاشِنَ والوارِش. وَقَالَ اللَّيْث: التّطفيلُ من كَلَام أهل الْعرَاق، وَيُقَال: هُوَ يتطفّل فِي الأعراس"[2].

بدأت المؤلفة القديرة كتابها في فصله الأول (مقدمة في علم الطفيليات) بتمهيد للموضوع نال جوانب مهمة من جوانبه، ففي المقدمة لعلم الطفيليات بينت تصنيف مجموعات الكائن الحي بتسلسلها الهرمي: مملكة <شعبة <طائفة <رتبة <عائلة <جنس <نوع. ثم ذكرت طبيعة العلاقة بين الكائنات التي أجملت في ثلاث ظواهر: التعايش، والتكافل والتطفل. وثمَّ شرح لتوافق الطفيلي مع الثويّ الذي منه متوسط

* نشر في الجزيرة الثقافية الجمعة/السبت ٢٦-٢٧ رجب١٤٤٤هـ/ ١٧ فبراير ٢٠٢٣م، ع١٨٢٤٩.

(١) أي مطلية بالصاروج أي النُّورة.

(٢) تهذيب اللغة للأزهري، ١٣/ ٢٣٦.

ونهائي وناقل وخازن، وطرق انتقال الطفيلي التي منها الفم والجلد ومنها ما يكون بالجنس والمشيمة والمفصليات، ثم كان الحديث عن تكيف الطفيلي، وختمت هذا الفصل بأمر مهم هو غاية من غايات الكتاب وهو مكافحة انتشار الأمراض الطفيلية.

وأحسنت المؤلفة القديرة حين أوجزت في كتابها الحديث عن كفاح الإنسان للمرض وما اقتضاه هذا من نشأة علم الطب بعامة وعلم الطفيليات بخاصة، وأظهرت جهود الأمم المختلفة في هذا الشأن، إذ تحدثت في الفصل الثاني (التاريخ العام لعلم الطفيليات) عن الطب في حضارة مصر القديمة وحضارة ما بين النهرين حضارة الهند القديمة وفارس واليونان والرومان والبيزنطيين، ثم تحدثت عن الطب في الحضارة الإسلامية، وختمت الفصل بكلام عن استقلال علم الطفيليات عن الطب.

ثم بدأت الكلام في الفصل الثالث وهو أطول فصول الكتاب عن (أنواع الطفيليات) وهو حديث عن ما تراه العين وما لا تراه إلا بالمجاهر، فأوضحت أقسامها وأنواعها المختلفة، تحدثت عن الأوالي، والأميبيات، والسويطات، واللشمانيات، والمثقبات، والبوغيات، والديدان، والمفصليات.

واستطاعت المؤلفة القديرة بالعبارات الدقيقة وما يُسعدها من الرسوم والأشكال التوضيحية التي صنعتها هي نفسها استطاعت بذلك أن تقدم شرحًا فيه دقة العلم وسهولة المأخذ، وبينت عند حديثها عن كل طفيل أطوار حياته وما يحتال به لنفسه مما يكفل استمرار ازدياده وبقائه، وإنّ من هذه الحيل ما يمكن عده ضربًا من الخيال لولا إثبات العلم حدوثه، مثل كون المقوسات الداخلة في الفأر تؤثر في دماغه حتى تجعله يتودد إلى عدوه كالقط ويبذل نفسه له ليأكله لتنتقل المقوسات إلى أمعاء القط حيث تضع بيوضها، جاء في ص١٠٦ "وتصاب الفئران بداء المقوسات عندما تتركز كيسات

المقوسات في دماغها، الأمر الذي يسبب اضطرابات في سلوكياتها ويجعلها تتقرب وتتودد على مفترسيها بشكل يخالف غريزتها التي جبلت على الهرب والاحتماء من المخاطر". ثم إن القطة قد تأكل الفأر "وتتكاثر المقوسات جنسيًّا بأمشاج أنثوية وذكرية في أمعاء القطة مكونة بذلك بيوضًا غير ناضجة تنجرف في الأمعاء حتى تخرج مع براز القطة"، ثم تأتي مرحلة أخرى حين تكون البيوض في العراء "تبدأ البيوض بالتبوغ وذلك بإصدار غلاف وقائي ينضج البيوض ويحميها من البيئات القاسية، وتستمر على هذه الحال حتى تلتهمها حيوانات أخرى أو تتلوث بها المياه والأطعمة، وتعد مرحلة الأبواغ للمقوسات هي الطور المعدي".

وبينت الباحثة القديرة خطر كل طفيل على الإنسان والظروف التي تهيئ للطفيل فرصة مهاجمة الإنسان.

واستعانت الأستاذة سارة بنت محمد الخميس بطائفة من المراجع والمصادر العربية التراثية والحديثة وبطائفة من المراجع والمصادر غير العربية فأحسنت الاستفادة منها.

يقف تأمل معطى هذا الكتاب، الجميل الإخراج العظيم الفائدة، الإنسان على هوان نفسه أمام عوالم بعضها ظاهر وبعضها خفي، ويذكره بما حبي من نعمة العقل التي أسعدته على تبين أسرار بعض هذه العوالم وهداه إلى سبل الوقاية من أضرارها، وكشف له مدى توازن الحياة، التي هو جزء منها، على نحو تكافلي من الخطر العبث به والإخلال بتوازنه.

هذا كتاب آخِر الأمر جدير بالقراءة.

موسوعة الشماسية*

ظهرت هذه الموسوعة هذا العام (١٤٤٥هـ) بعد سنوات من العناء والجد والمثابرة، وقد هيأ الله لها علمين عالمين أستاذنا أ.د. عبدالله بن ناصر بن عليّ الوليعي وعبدالله بن براك بن سعد الدويحس، وهيأ لها رجلًا كريمًا كلّل هذا العمل بنشره على نفقته وهو ابن الشماسية البرّ المحامي عبدالله بن عليّ الفيصل الفوزان السابق، فلهؤلاء الشكر، ولكل من كان له سهمة في هذه الموسوعة التي جاءت في خمسة مجلدات ضخمة، ونشرت نشرة أنيقة رائعة الإخراج، وعززت متونها صور للمعالم والوثائق بالألوان، واشتملت على جداول تضم تفصيلات متنوعة، وبلغت صفحات هذه الموسوعة ٢٥٧٥صفحة.

جاء في تعريف هذه الموسوعة (موسوعة الشماسية) "توضيح لتاريخ ومعالم مدينة من بلادنا المملكة العربية السعودية الحبيبة يفيد القارئ ويزود الباحث بمطلبه عن معلومات تتعلق بالتاريخ والمعالم والعادات والتقاليد الاجتماعية لمدينة صغيرة نموذجية بواحاتها القديمة ومزارعها الحديثة وحدائقها وأحيائها الجديدة بجانب آثارها القديمة، بالإضافة إلى المناظر الطبيعية مثل التلاع والشعاب التي تشكل وقت هطول الأمطار شلالات رائعة يندر وجود مثلها - بضخامة العدد والتشكيل البديع في غيرها. ومما يضفي على الشماسية روعة وجمالًا وقوعها بين ظاهرتين طبيعيتين متضادتين الجبل الصُّلب من الشرق والنفود السهل من الغرب".

---

* نشر في الجزيرة الثقافية في الجمعة/السبت ١٣-١٤ شعبان ١٤٤٥هـ/ ٢٣ فبراير ٢٠٢٤م. ع١٨٥٦٧.

ونواة هذه الموسوعة كتاب ألفه أ.د. عبدالله بن ناصر الوليعي عن الشماسية، وكان في سلسلة تصدرها الرئاسة العامة لرعاية الشباب، وهي (هذه بلادنا)، رقم الكتاب (٢٥) وتاريخه عام ١٤١٠هـ، وبلغت صفحاته (١٥٠) صفحة، ثم أعيدت طباعة الكتاب لتدارك بعض ما نقص من معلومات عن مختلف أوجه الحياة الاجتماعية والاقتصادية، فصدر في عام ١٤٢١هـ في نحو ٩٢٣ صفحة، وكان لي شرف مراجعة هذا الكتاب.

ولقد لقي كتاب الشماسية منذ صدوره كثيرًا من الثناء الذي حفّز صاحبه إلى توسيعه وجعله موسوعة شاملة عن الشماسية وقد أسعده في ذلك من شاركه في الإعداد والتأليف وقد ذكرت اسمه سابقًا. وذكر المؤلفان أنه في هذه الطبعة الموسوعية أعيد ترتيب كتاب الشماسية وجعل في مجلدات مختلفة يجمعها وحدة المضمون، وقد تضاعف حجم الكتاب حتى صار موسوعة؛ وذلك باستكمال معلومات الموسوعة وقد تضافرت جهود أبناء الشماسية في الاتصال بكبار السن والجلوس معهم والأخذ عنهم، وتزويد المؤلفَين بالمعلومات لكي يعاد تحريرها وترتيبها في مجلدات الموسوعة وفصولها.

ومن أكثر ما لفت انتباهي في مقدمة المؤلفين قولهما "إنَّ هذه الموسوعة ليست دعوة للإقليمية الضيقة وليست انتقاصًا من قدر أحد كما أنها ليست مجاراة لأحد؛ فالهدف الأسمى هو تسجيل مآثر هذه المدينة وحفظ بعض من تاريخها وأسماء رجالاتها من أجل تخليد ذكراهم ليتذكرهم أبناؤهم وأحفادهم"، وقد يبدو هذا غريبًا؛ ولكني ألتمس العذر للمؤلفين؛ إذ من الناس من يستولي عليه مثل هذا الظن، ولست أنسى منذ سنوات خلت أن صحفية كتبت عن ركن القصيم في مهرجان الجنادرية أنه نزعة إقليمية. وما صنعه المؤلفان ومن أسعدهما من أبناء الشماسية ينبغي أن يكون قدوة

لغيرهم فما أروع أن تصدر كل مدينة موسوعة عنها. وقد رزقت بلادنا بأعمال موسوعية مثل المعجم الجغرافي للمناطق المختلفة الذي منه معجم بلاد القصيم للشيخ محمد بن ناصر العبودي رحمه الله وكذلك معاجم الأسر التي أصدرها مثل معجم أسر بريدة وغيرها. وليس من بأس بالتقليد إن كان حميدًا مفيدًا.

جعل المؤلفان موضوعات الموسوعة على النحو الآتي:

المجلد الأول: الموقع، التكوين الجيولوجي والهيدرولوجي والتضاريس (مظاهر السطح)، المناخ (الحرارة والرياح)، الغطاء النباتي، الزواحف والقوارض، الحيوانات البرية الموجودة والمنقرضة.

المجلد الثاني: تاريخ الشماسية، قصص ذات معنى، حكايات وطرائف، الحرف شبه المنقرضة، الفنون الشعبية، الأمثال والألعاب، العادات والتقاليد، القهوة العربية والأكلات الشعبية، اللهجة.

المجلد الثالث: التعليم والحركة الفكرية، مرحلة ما قبل التعليم الحكومي، مرحلة التعليم الحكومي، رجال ونساء من الشماسية.

المجلد الرابع: الشعر الفصيح، والشعر الشعبي، شاعرات من الشماسية، شعر المحاورات، الثناء على الشماسية وأهلها. وكان لي شرف مراجعة هذا المجلد.

المجلد الخامس: موقع الشماسية، المظاهر الطبيعية، والمناخ، والمراعي، الشماسية القديمة، المناسبات والاحتفالات.

ولا شك أن ما تضمنته هذا المجلدات منه ما هو مشترك في الجزيرة العربية، ومنها ما هو مشترك في نجد، ومنه ما هو مشترك في القصيم، ومنه ما هو خاص بالشماسية.

سيستمتع القارئ بقراءة أشياء ويفيد من أشياء، فألف شكر للعاملين على هذا العمل المبارك.

واجهة ومواجهة*

هذا عنوان كتاب المبدع الشاعر الدكتور إبراهيم بن عبدالرحمن التركي، أصدرته الجمعية الأهلية الصالحية في عنيزة عام ١٤٤٥هـ، وجاء في مجلدين (٨٢٤ صفحة).

لم تأت جيم (مواجهة) مضبوطة، فلك أن تفتح الجيم لتكون مصدرًا ميميًّا من الفعل (واجه)، ولك أن تكسر الجيم لتكون اسم فاعل من الفعل نفسه فيتسق بذلك و(واجهة) اسم الفاعل من الفعل المجرد (وجه)؛ ولكن (واجهة) جعل اسمًا لما يواجه أو يقابل حسيًّا كواجهة البيت أو معنويًّا كواجهة سياسية أو اجتماعية. والعنوان أخذ من المقدمة التي يقدمها المؤلف بين يدي الحوار، جعلها في محورين الأول (الواجهة) وهي الصورة التي يراها المؤلف معبرة عن الشخص تظهر له أو لغيره وتواجهه، وتشغل الواجهة بعض سطر أو أزيد. والآخر (المواجهة) وهي تعبير عن رؤية المؤلف وخبرته ثقفها من المراقبة والبحث والاطلاع والسؤال، وهو يصوغ هذا كله بلغة أدبية مطرزة بالبديع الذي هو من أخص خصائص كتابة الدكتور إبراهيم التركي وهو بديع بديع سلم من التكلف، وتجد هذا البديع في عنوان الكتاب وفي تضاعيفه، وأضرب مثالًا بصفحة التمهيد للحوار مع الشيخ العلامة محمد بن ناصر العبودي رحمه الله (ص٤٣٣):

أما الواجهة:

فعلماء في «علَم»...

سافر في "الزمان"، وارتحل في "المكان"

---

* نشر في الجزيرة الثقافية في الجمعة/السبت ١٠-١١ جمادى الأولى ١٤٤٥هـ/ ٢٤ نوفمبر ٢٠٢٣م. ع١٨٤٨٩.

وتخصص في حكايات "الإنسان".. و"الأوطان"

وأما المواجهة: فترحالٌ مع «رحّالة»، مبتدؤه «مثَل»

وسياحته «عمَل»، وسعيه «أمَل»

رجل بسيطٌ في «مظهره»، عميق في «جوهره»، تألفُه حين تراه..

وتغادره.. ولا تنساه..

يعرفك «بنفسك» و«ناسك»

و«أصلك» و«فصلك»

و«تاريخك» الذي يتصل بك..

وربما تكون قد انفصلت عنه.. جغرافيٌّ/ مؤرخ..

رحالة/ نسّابة.. رجل علم/ ودولة .. طوّف في الآفاق.. وغاص في الأعماق..

واخترق الأنفاق.. واجهتْه مصاعب.. فما كلّ.. وامتدتْ به السبل.. وما ملّ..

جاز «القفار» و«البحار»

وواصل الليل بالنهار.. أعدّ نفسه مبكرًا

فقرأ.. وكتب.. وبحث.. وتعب.. وأمدّ المكتبة العربية.. بعشرات الكتب..!

زوى هذا الكتاب أربعة وثلاثين حوارًا صحفيًّا أجراها الدكتور التركي ونشرت قبل ربع قرن في صحيفة الجزيرة (٢٠٠٠-٢٠٠٥م)، وهي حوارات مهمة لأهمية المحاوَرين،

فهم أمراء ومشايخ وعلماء ووزراء ومسؤولون في القطاعين العام والأهلي، وجاءت أسماء المحاورين في الكتاب مرتبة حسب تواريخ النشر.

يبين التركي أهمية كتابة بقوله الذي نقتبسه لجمال سبكه ودقة تعبيره "تبقى أوراقنا القديمة نحنُ بما نمثله أو نتمثله، وربما تجاوزها الزمن تغيرًا وتبدلًا، وربما لم تعد موقعَ قيمةٍ للقارئ والمتابع، غير أنها ستظلُّ ذاتَ دلالات تأريخيةٍ إداريةٍ توثيقيةٍ تَعْبُر الزمنَ وتعَبِّرُ عنه، وتمنحنا متعةً حينًا، وفائدةً حينًا، ومقارناتٍ ومقارباتٍ أحايين، وإذ تقلُّ أهميتُها من جانب تزدادُ من جوانب، وبدا من الأهمِّ فوق المُهمِّ رصدُها فزمنُ السيل المعلوماتي قلبَ معادلاتِ التأريخ فما عاد الأمسُ حاضرًا اليوم، مثلما لم يصبح اليومُ أبًا للغد، ومن هنا جاءت فكرةُ هذا الكتاب"(ص١١).

ليست الأسئلة التي يسأل بها المؤلف ضيوفه أسئلة نمطية تتكرر؛ بل هي نتيجة درس واستقراء وتتبع لمسيرة الضيف وعمله وإنتاجه وأثره، ومنها ما يستلهم من إجابة الضيف، وحرص المؤلف أن يضع للسؤال والجواب عنوانًا يزوي مضمونه، قد ينتزع هذا من كلمة هي قطب الرحا ولبّ السؤال وجمّارته أو من محتواه. مثال ذلك (ص٤٣٣):

معنى

- منذ زمن وأنت الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي رغم تغيّر الأمناء العامين، وكان الناس يتوقعون أن تصبح أنت الأمين العام للرابطة خصوصًا وقد أمضيت فيها زمنًا طويلًا .. هل لهذا السؤال معنى..؟

ولعل من الخير أن أقتبس فقرة من تقديم الأستاذ خالد بن حمد المالك رئيس تحرير جريدة الجزيرة، يقول في (ص٧): "لاحظوا حسن اختيار الدكتور التركي للأشخاص،

ونوعية الأسئلة وقيمة المعلومات في الإجابات وعناوين كل حلقة، ومقدمتها والأسلوب المشوِّق الذي صيغت به كل حلقة، والتنوّع بين كل حلقة وأخرى، والجاذبية في إخراج الحلقات، والمحافظة على المستوى في نوعية الضيوف والأسئلة دون تنازلٍ أو تسامح، أو قبول بما هو أدنى، أو حتى بما هو في الوسط عند التقييم، فالتركي لا يقبل بأنصاف الحلول، وأعماله الصحفية مع خلوها من طابع الإثارة التي كثيرًا ما تكون مفرغة من جودة المحتوى، إلا أن أسلوبه وطريقة عرضه، واهتمامه باللغة، والموضوعية، والصناعة المهنية، عوّضته عن ذلك، وأكسبته متابعين كثرًا... ومثل هذا العمل يمثل جزءًا من تاريخ المملكة يجب ألا يستهان به، أو يقلل شأنه... إذ إن ظهوره في كتاب يسهل الاطلاع عليه، ويقربه للناس، ويحمي محتواه من الضياع".

تحية تقدير لشاعرنا المبدع الدكتور إبراهيم بن عبدالرحمن التركي ولا زال الله منعمًا عليه بمنه وفضله.

الوقوف على أطراف الأصابع*

ما كنت لأقرأ هذا الكتاب لولا ابني الحبيب أوس الذي امتدحه، وأنا أثق برأيه وكنت قرأت كتبًا قبل اقترح عليّ أن أقرأها، وكان أن سلمني نسخته لتيسير الأمر عليّ، والعنوان الشارح لاسم هذا الكتاب (ذكرياتي مع جائحة كورونا ٢٠٢٠)، والحق أن هذا الكتاب الذي كتبه الدكتور توفيق بن فوزان الربيعة وزير الصحة السابق ليس مجرد ذكريات. نعم، هو معتمد على الذكريات؛ ولكنه نسيج من التعبير عن قصة كفاح مريرة مرت بها بلادنا الغالية في مجابهة وباء كان من أخطر الأوبئة التي هزت العالم وأودت بحياة ما لا حصر له من الناس، قصة كفاح مجيد، كتاب يضعك في الحدث بوضوح وصدق ويقدم بلغة أدبية مشحونة بالعواطف التي لا يمكن تجنبها في مثل هذا الوصف الدقيق لمسائل معقدة ومتشابكة ومشكلات متداخلة ليس يسهل حلها لولا عزيمة الرجال الصادقة ولولا العين الساهرة المؤيدة المعززة التي واكبت الأحداث، وهي عين الحكومة الرشيدة برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان والإدارة الحكيمة الذكية التي يدير بها شؤون البلاد ولي العهد الملهم صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان حفظهما الله.

بكيت غير مرة وأنا أقرأ محطات هذا الكتاب، وطالما أبكتني حكايات الكفاح المكلل بالنجاح. ولم يكن النجاح ممكنًا لولا المبادرة التي عبر عنها عنوان الكتاب الذي فسره المؤلف في قوله "هذا الشعور المتحفز والمتعب هو الذي أوحى بعنوان هذا الكتاب،

---

* نشر في الجزيرة الثقافية في الجمعة/السبت ٢٤-٢٥ جمادى الأولى ١٤٤٥هـ/ ٠٨ ديسمبر ٢٠٢٣م. ع١٨٥٠١.

إذ إن الوقوف على أطراف الأصابع هو حالة الاستعداد للعدائين قبيل انطلاقهم، وفيه يكون الذهن في أعلى حضور له، وهو أيضًا ما يفعله الإنسان لينظر للبعيد، وكأنه يتطاول بقدميه ليرى ما هو أبعد، هكذا كنا نرى الأزمة في الصين عندما بدأت قبل أن تقطع كل تلك المسافات لتصل، ثم هي تلك الحالة من التعب والإرهاق لطول الوقوف والعمل، لقد كانت أيامًا صعبة بكل منحنياتها"(ص١٥).

يبدأ هذا الكتاب الرائع بمحطته الأولى وهي عن حال وزارة الصحة في ذلك الوقت، وهي حال هادئة عبر عنها بالعنوان (بحر هادئ)؛ ولكنه يختم الحديث بخلاصة حكمة مستفادة، وهكذا فعل في كل محطات الكتاب تجد في النهاية حكمة وهبتها المعاناة ومحاولة الكفاح وحلّ الأزمات، وهي خلاصة تجربة إدارية والنجاح قرين الإدارة الناجحة، ولم يكن توفيق الربيعة طبيبًا، كما قال غير مرة، ولكنه كان إداريًّا عبقريًّا، وهبه الله سَعة الأفق، وقوة الاحتمال، وحسن التصرف، وصدق النية، والتواضع أمام الحقائق، ومعرفة أقدار الناس وإمكاناتهم، ما كان لينجح لولا هذا الفريق الذي أحسن الاستعانة به واستمع إليهم وإلى غيرهم من أولي الخبرة والقدرة على الإنجاز، كتب في ختام (بحر هادئ) إنّ البحر الهادئ ليس آمنًا وإن الربّان الناجح يجب أن يستغل الهدوء للقادم من أيامه، ومن هنا جاءت فكرة (مركز الكوارث والأزمات) ومركز (القيادة والتحكم).

تتوالى محطات الكتاب فتقف القارئ على (أصوات على بُعد آلاف الأميال) هذه الأصوات حول فيروس استشرى في مقاطعة (ووهان) الصينية، وهي أصوات تنذر بالخطر وتقتضي الاستعداد، إذ (الأيام الهادئة ليست للراحة)، وما كان على بعد أميال هاهو (على ضفاف الخليج)، فلما تفاقم أمر هذا الفيروس وتزايد حديث منظمة الصحة العالمية عنه بادر المقام السامي بتشكيل لجنة تضم جهات الدولة لمجابهة هذا الأمر، ثم

إن (اللجان تتوالد) بما يقتضيه الأمر، وكانت سعة الأفق والحدس الموفق رائد الرجال الملهمين، فلما كانت التجمعات مرتعًا خصبًا لهذا الفيروس كان أمر تجنب التجمعات واجبًا، ومن أكثر التجمعات ما يكون في الحرمين من ازدحام المعتمرين والحجاج، ومن هنا هديت الحكومة الرشيدة إلى منع العمرة ثم الحج، وكان الهدف التطهير (وطهّر بيتي للطائفين)، وليس الحرمان منطقة تجمع وحدها إذ تنبه الرجال الأكْفاء إلى أن المدارس يمكن أن تكون بؤر نشر للفيروس فكان أن منعت الدراسة الحضورية وكانت (مدارس في البيوت)، وانتبه إلى أن المساجد كالمدارس في التجمع فكان أن استبدل في الأذان (صلوا في بيوتكم) بـ(حيّ على الصلاة)، وإن من المعضلات التي واجهت البلاد وجود مواطنين خارج البلاد في (ووهان) وغيرها من أصقاع العالم، فلم تتوان الدولة في السعي الجادّ لإحضارهم ثم عزلهم فكانت (المحاجر وعودة المواطنين)، وكان من أعظم ما اقتضاه التصدّي للوباء العلاج أو اللِقاح الواقي بإذن الله، وهنا أتى اقتتال الأمم في سبيل ما يهمها (ومن بعدي الطوفان).

وبعد يقفنا الكتاب على (أول حالة وحديث القطيف) الذي ظهرت فيه أول حالة، وهبت الوزارة تحاصر الفيروس وهيّأت لذلك من الوسائل ما يهيّئ المواطن والمقيم لأن يتأكد ويطمئن (تأكد ثم تطمّن)، وبعد يلقي المؤلف قارئه (في قلب الأزمة) بحديث عن الإصابات والوفيات والمجاهدة، ثمّ يكتب معلقًا "عند اتخاذ أي قرار يجب أن تشرك القلب مع العقل حتى يكون القرار العقلاني إنسانيًّا في الوقت نفسه، وهذا يجعله يحظى بالقبول والديمومة" ص١١٧، ثم جاء حديث اللقاح (جرعة الحياة) وكيف يقنع الناس بضرورته لا ضرره، فكان أن خرج الوزير في لقاء تلفازي متحدثًا عن اللقاحات حاملًا معه قنينة اللقاح، وفي الكتاب يشرح الوزير الإجراءات الذكية لتهيئة أماكن إجراء اللقاح

للناس بنظام فريد، ولما ووجهت مسألة اللقاح بمعارضة فئام من الناس مشككين حينًا بجدواها وواصفيها بالمؤامرة أحيانًا والإنسان عدو ما يجهل؛ رأى الوزير أن من دواعي مسؤوليته أن يبدد الخوف من اللقاح، فبادر ليكون أول من يتلقى اللقاح، وصور ونشر في التلفزة، وبعده تلقت اللقاح امرأة مسنة ورجلان مسنان مواطن ومقيم، على أن أبلغ أثر كان إثر تلقي اللقاحَ خادمُ الحرمين الملك سلمان وولي العهد محمد بن سلمان؛ إذ انهالت بعد ذلك طلبات تلقي اللقاح.

ويقفك الكتاب بما سماه (صوتنا للناس) على جانب مهم له أثره البالغ في الجمهور المتلقي؛ فالعامل النفسي فعّال، ووسيلته الأولى لغة الخطاب التي يوافى بها، وقد وفق الله المهتمين بصدّ هذا الوباء إلى تخير لغة الإعلان وأسماء التطبيقات الموفقة مثل (طَمّني) و(تأكد) ثم (توكلنا) و(تباعُد)، وكان التقرير اليومي للقاء المعقود في (هيئة الغذاء والدواء) أهمية بالغة في بث الثقة بما فيه من شفافية وصدق خطاب.

وختم الكتاب فكانت (نهاية مفتوحة) لأن "هذه بعض ملامح من أيّامٍ عبرت، وليالٍ طال فيها العمل والسهر، هي جزء مما يمكن أن نتركه لجيل قادم، أو مطّلع باحث، أو متأمل مشارك، من أثناء الحكاية الكبيرة: مواجهة الجائحة بالدأب، ومقاومة الفيروس بالمناعة والوعي. أخذ الفيروس بعض أحبابنا، وكثيرًا من وقتنا، تحولت أحاديثنا أرقامًا، ورسائلنا أخبارًا؛ لكنه ترك لنا دروسًا تمتد ما بين شكر المولى على دوام الصحة، والحرص على أن تكون احتياطاتنا الصحية والوقائية دومًا في أعلى مستوياتها".(ص١٥٥)

في الكتاب جمال تعجز كلماتي عن التعبير عنه، فلا يدرك إلا بقراءة الكتاب نفسه، وأرجح أنه سيمتع كل قارئ، إنه وثيقة لكفاح وطن.

الفصل الثالث

سير وتأبين

المطلب الأول: كلمات في السير والزيارة

المطلب الثاني: كلمات في التأبين

المطلب الأول

كلمات في السير والزيارة

أبو رياض ذو الحلم والعلم*

لم أعرف الأستاذ الدكتور أبا رياض صالح بن معيض الغامدي إلا بعد عودتي من البعثة، وكانت الجامعة دمجت قسم اللغة العربية من كلية التربية في قسم اللغة العربية وآدابها من كلية الآداب، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية (حاليًّا)، عرفته حين جمعنا التدريس في مركز الدراسات الجامعية للبنات بعليشة، حيث أستوديوهات التعليم غير المباشر للطالبات، وهو يشبه التعليم عن بعد اليوم. وكان قد خُصِّص لنا مجلس ننتظر فيه حتى يحين موعد المحاضرة. نتجاذب أحيانًا أطراف الحديث وأطرفها، كنت في تلك الأيام على خلاف مع رئيس القسم، وأثار أمر هذا الخلاف أبو رياض للممازحة، فقال: أنت الرئيس القادم للقسم، قال ذلك كأنه يلمح إلى أن خلافي هو سعي مني لتولي شؤون القسم، أعلم أنه قال ذلك مازحًا وهو يضحك، وهو لا يعلم أني أبعد الناس تفكيرًا في تولي الإدارة، أية إدارة؛ لأني لا أصلح لها، وتولى رئاسة القسم أستاذنا الجليل الدكتور أبو هيثم عبدالله الجربوع، أكثر الناس تواضعًا وحلمًا وأكثرهم معرفة بأقدار الناس، ثم إنه رغب عن رئاسة القسم ليخلفه أبو رياض عام١٤٢٠هـ، فكان خير خلف لخير سلف. واستطاع أبو رياض بما وهبه الله من جد وجلد وهدوء وتقدير لزملائه وقدرة

---

* نشر في الجزيرة الثقافية الجمعة/السبت ١٦-١٧ صفر ١٤٤٥هـ/ ٠١ سبتمبر ٢٠٢٣م، ع ١٨٤١٧.

فائقة على الإدارة الحسنة أن يدير شؤون القسم على أحسن وجه، ولا أنسى له أنه جاء هو نفسه إليّ في الفصل ليبشرني بترقيتي إلى درجة أستاذ في شوال ١٤٢١هـ.

اتصف أبو رياض بالحلم والأناة وعرفت ذلك من أربعة مواقف، أحدها أن الجامعة زودت مكاتب أعضاء هيأة التدريس بحواسيب وطابعات، وكان من نصيبي طابعة سيئة أتعبتني وضيقت صدري فاشتكيت الأمر لسكرتير القسم الذي أغراني بالدخول على رئيس القسم والمطالبة بطابعة جيدة؛ لأن لديهم، كما زعم، طابعات جيدات، وهكذا دخلت على أبي رياض وأذكر أن الدكتور ناصر الحجيلان كان جالسًا عنده، اشتكيت وطالبت بطابعة وعلا صوتي علوًّا مبينًا، فقد كنت حانقًا على الطابعة وموغر الصدر، أوغره السكرتير سامحه الله، وتلقى أبو رياض موجات ثورتي وفثأ سورتها، ولا أدري ما قال، غير أني انصرفت ثم جئت بطابعة من منزلي ما زالت تعمل إلى اليوم، وأما الموقف الثاني فهو أنه نشب خلاف وجدال بيني وبين زميل متعاقد حول خطة طالبة كنت أرشدها، وكانت استعانت به فزودها ببعض المراجع، وكان له بحث أرادها أن تجعله من ضمن المراجع أو الدراسات السابقة؛ ولكن البحث حسب تقديري بعيد عن موضوع الطالبة وهو موضوع نحوي أما بحثه فكان أدبيًا لا علاقة له بموضوعها فوجهتها إلى استبعاده، فلما قابلني أمام مكتب رئاسة القسم راح يسب الطالبة بل يقذفها بما لا يصح، فأغضبني هذا ورفعت صوتي محتجًا، وأظهرت له سوءة مقالته وأنه قذف يمكن أن يحدّ عليه، ورأى وسمع أبو رياض ما جرى، فخرج بهدوء وأناة، وصرف الزميل، ودعاني إلى المكتب ليطيب خاطري، وأما الموقف الثالث فهو أن أبا رياض يثق بي ويقدرني كثيرًا ولذلك يريد مني أن أتولى رئاسة بعض اللجان، فكنت أقبل حينًا وأعرض حينًا، فلما وجدت منه مرة إلحاحًا غضبت ورفعت صوتي قائلًا كلفني بعضوية مئة لجنة

ولا تكلفني برئاسة واحدة، وكعادته تقبل هذا بهدوء وسعة صدر، وأما الموقف الرابع فهو أن دكتورًا تقدم للعمل في القسم وكلفت قراءة رسالتيه رسالة الماجستير ورسالة الدكتوراه، قرأتهما فوجدتهما حسنتين، فكتبت عنهما تقريرًا وافيًا ونصحت بقبول طلبه، ولشدة إعجابي بالعملين سعيت لمعرفة صاحبهما، وزارني في منزلي غير مرة وأظهر لي من اللطف واللين ما رفعه عندي، وكان يشتكي إليَّ أن القسم رغب عن تلبية طلبه وهو لا يعلم علة ذلك، فسعيت إلى الدكتور أبي رياض أسأله بل لعلي مزجت ذلك بشيء من اللوم، ولزم أبو رياض الهدوء والسكينة، بل راح استجابة لإلحاحي يفسر الأمر، وذكر لي أنه سأل رئيسه المباشر فنقل إليه من صفات المتقدم ما جعله يتوقف في أمره، عذرت أبا رياض وإن حاك في نفسي أن رئيس الرجل لا يريد له الخير، وظل هذا في نفسي حتى اتصلت أسبابي بمن أثق به كل الثقة، وهو زميل لذلك الدكتور فسألته عن مقالة رئيس قسمهم فصدّقها.

وشهد القسم إبان رئاسته جملة من النشاطات المهمة منها ندوة "اجتماع رؤساء أقسام اللغة العربية في جامعات دول الخليج العربية "عام ١٤٢٢هـ، وكانت المشكلة في ذلك الوقت أن بعض رؤساء الأقسام من النساء، فكان أمر إقامة الندوة داخل الكلية متعذرًا، ومعاملتها معاملة محاضرات الطالبات غير ملائم أيضًا، فاستعان القسم بمدير الجامعة الذي هيأ مكانًا في كلية الطب، وجعلت الندوة مقصورة على منسوبي القسم. وأذكر أني شاركت بورقة عن "مقومات الكتاب الجامعي"، بينت فيها أن الكتاب المقرر بحاجة مستمرة إلى المراجعة، وضربت مثلًا بكتابي (دروس في علم الصرف) وكان القسم قد قرره مرة وإن لم يلتزم به بعض الزملاء، وقد تبين لي أن الكتاب لا يخلو من بعض الأخطاء، ولكنه مع ذلك في نظر كثير من الناس من أجمع الكتب لمفردات الصرف

ومن أنفعها، ولإقبال الناس عليه اشترت حقوقه مكتبة الرشد، ثم كان موضع درس علمي أنجز في العراق وصدر في كتاب "الْمَنهَجُ الصَّرفِيُّ عِنْدَ إبْرَاهِيم الشَّمسَان: قِرَاءة فِي كِتَابه (دروسٌ فِي عِلمِ الصَّرف)"، ألّفه أ.د.محمد حسين علي زعيّن ، وكرَّار عبد الحميد عدنان، عام ١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م.

واتصف أبو رياض بحرصه الشديد على حضور الندوات واللقاءات والمؤتمرات، وأما عمله في معارض الكتاب فأمر مشهور مقدر، وأبو رياض صريح الرأي لا يجامل، بل يصدع برأيه؛ ولكن برفق وأدب جمّ، وهو لا يتردد في الكلام وإبداء الرأي وتحمل الواجب، لا أنسى أنا كنا في فندق إنتركونتيننتال نستمع إلى محاضرة يلقيها د. مازن الفعر، وهو لغوي ذو آراء حديثة يخالف بها المعتاد عند الناس، ومما جاء في محاضرته قوله: إن الأفعال في مثل (مات الرجل، وسقط الحائط) مبنية للمجهول، ولما انتهت المحاضرة سكت الناس، ولم ينكر أحد من قوله شيئًا، ورأيت أبا رياض يلتفت يمنة ويسرة لعل أهل الاختصاص يبدون أو يعيدون، فلما استيأس منهم طلب الكلمة ليبين أن ما قاله المحاضر مخالف لما ألف في النحو العربي، وأبو رياض ليس مخالفًا للتجديد؛ ولكنه يطمع بالاقتناع بما يسمع، وآية ذلك أني ألقيت محاضرة في القسم فيها معالجة للقضايا اللغوية معالجة صوتية، منها تفسيري لنصب جمع المؤنث السالم بالكسرة نحو (قرأتُ المجلاتِ)، والمشهور في النحو أن الكسرة نابت عن الفتحة، وكان رأيي أن المسألة مردها صوتي، وهو طلب المخالفة الصوتية، وهو أمر نجده في حركة نون المثنى (طالبانِ) وحركة نون الرفع لفعل الاثنين (يذهبانِ)، وردّ قولي أستاذنا د.حمزة المزيني، أما أبو رياض فأعجبه القول وأيده باقتناع. وربما توقف في شيء وقبل شيئًا كما يظهر له بجيدة ونصفة كما رأيتها حين ألقيت محاضرة عن (أخطاء في لغة الرواية السعودية نماذج مختارة)، فعلق

مبديًا قلة أهمية بعض ما جاء في العمل؛ لأنه في نظره لا يعدو تصحيح أخطاء، ولكنه أشاد بالقسم الأخير من العمل وهو الحديث عن المعجم والدلالة؛ إذ وجد ذلك طريفًا.

وكان من توفيق الله أن كلف أبو رياض رئاسة القسم مرة أخرى عام ١٤٢٩هـ، وكان للقسم في هذا الوقت جملة من النشاطات المهمة منها (رحلة اجتماعية ثقافية علمية إلى محافظة الزلفي)، ولم يسعدني الحظ أن أرحل معهم؛ لأني كنت مريضًا، وقلت لعلكم تقرؤون الورقة التي أعددتها، وكان عنوانها (معوقات تعليم اللغة العربية)، وجاء في التقرير الذي كتبه د. حسين المناصرة "يوم الأربعاء ١٧/١/١٤٣٠هـ. بدأت فعاليات يوم الأربعاء بمحاضرة عنوانها (مشكلات تدريس اللغة)، التي ألقاها الدكتور صالح بن معيض الغامدي رئيس قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الملك سعود نيابة عن الأستاذ الدكتور إبراهيم الشمسان الذي أعدها، واعتذر عن عدم الحضور بسبب وعكة صحية ألمت به، وقد حضر هذه المحاضرة أساتذة اللغة العربية ومشرفوها بالزلفي، باعتبارها محاضرة تدريبية؛ تسهم في أن يتجاوزوا بعض المشكلات التي تواجههم في تدريس لغتنا العربية، وأن يسهموا بفعالية في مناقشة ما تضمنته الورقة من رؤى". وكان أبو رياض رأى تغيير العنوان ليلائم الغرض التدريبي، وأخبرني حين عاد أنه كان راضيًا عن الموضوع وبخاصة قولي "ومن مشكلات تعليم العربية أننا تعودنا ارتباط العربية بالشعر والقرآن والخطب والأعمال الأدبية البليغة، كأنّ اللغةَ محصورة في هذه الفنون، وأنها ليست لغةً طبيعية يجب أن تكون لغةَ مخاطبات الناس اليومية، ولغةَ كلِّ علومهم وفنونهم، ولذلك نجد أننا حين نعلمها نحرص على تخير أكثر النصوص بلاغة، ولسنا نحفل في مدى الدقة في التعبير، وربما شُغلنا عن ذلك بالمحسنات البديعية، وبالجوانب البلاغية".

ومن الأعمال المهمة "قضايا المنهج في الدراسات اللغوية والأدبية: النظرية والتطبيق"، من ٢١ حتى ١٤٣١/٣/٢٥هـ، وشاركت بموضوع (تعميم النمط في النحو العربي: دراسة في منهج التقعيد).

لم أر أحدًا يماثل أبا رياض في محبته للقسم وحرصه عليه؛ ولذلك أجده كل مرة آتي إلى القسم في مكتبه المشرع الباب، وأحسبه يأتي وإن لم يكن مكلفًا محاضرات، وحين كلف عمادة الكلية رأيته يكاد يزور القسم كل يوم، وحين كلف الدكتور خالد الحافي رئاسة القسم رأيت أبا رياض يجالسه ولا يبخل بإبداء الرأي في شؤون القسم.

اكتسب أبو رياض كما أعلم محبة زملائه وطلابه لما اتصف به من صدق اللهجة وحسن الطوية، ونبل الخلق، وإخلاصه للعلم والعمل.

أستاذنا د. محمد الهدلق*

أول مرة لقيت أستاذي كانت في مبنى كلية الآداب بالملز، كنت راجعًا من الكويت إثر اتصال من زميلي فهد بن عمر سنبل يخبرني أنه علم من مكتب الملحق الثقافي أن مدير الجامعة أنهى بعثتي أو هو بسبيل إنهائها، وكنت قد تقدمت إلى القسم قبل هذا بطلب تمديد لأنهي آخر فصل كلفني كتابته أستاذي يوسف خليف رحمه الله. دخلت على الدكتور الهدلق ذلك اليوم وكان إلى جواره أستاذي الدكتور محمد الشامخ فسلمت عليه وجلست إلى جانبه، أما الدكتور محمد الهدلق فقد قام من كرسيه ليرحب بي ترحيبًا شديدًا حتى قلت في نفسي أيعرفني من قبل؟ شرحت المشكلة يومها، فاستنكر أستاذي الشامخ أن تكون القرارات بغير علم القسم. وفي ذلك اليوم كان مجلس الكلية، وتركنا الهدلق ذاهبًا إلى المجلس، وكان وكيل الكلية في ذلك الوقت هو الزميل الدكتور عبدالله السيف، فذهبت بعد انتهاء الاجتماع ألتمس منه العون والوساطة لدى المدير، يومها قال عن موقف الهدلق في مجلس الكلية "ما شاء الله عليه، ما ذكر شيئًا عن فصل البعثة بل دافع عن طلب التمديد دفاعًا قويًّا"، نعم هكذا فعل وكان هذا أمرًا حاسمًا جعل مدير الجامعة يوم قابلته أكثر تفهمًا لحاجتي إلى مزيد من الوقت.

ليس هذا هو الموقف الوحيد فله مواقف كثيرة معي ومع غيري من الزملاء يطول سردها في هذه المساحة الضيقة. عرفت الهدلق رئيس قسم وعميد كلية للآداب وعميد

* نشر في نشرة جسور، مركز حمد الجاسر الثقافي، ع٢٠، عام ١٤٣٨هـ. وأعيد نشره في كتاب (الحكيم الناقد أستاذ الجيل أ.د.محمد بن عبدالرحمن الهدلق)، دار اليمامة للبحث والنشر والتوزيع/ الرياض، ١٤٤٥هـ/ ٢٠٢٤م، ص٢٧٥.

الدراسات العليا، وكان لي شرف العمل معه في لجان متعددة كان لي فيها المعلم الأول بما وهبه الله من دقة ومعرفة قوية بالإجراءات الإدارية، هادئ الطبع لم أره يومًا غاضبًا مهما وجد من عنت الآخرين، له قدرة عجيبة على كسر جمود العمل واللقاءات بطرف يوفق إلى ابتكارها ببداهة تناسب المواقف، أما علمه فهو الغزير وأما حفظه فهو المكين، ما سمعته يومًا معقبًا على أحد إلا قلت في نفسي كيف اجتمعت له هذه الفِكر، وكيف استوت له هذه الصياغة، وإنك لا تمل من حديثه وتعليقه. حين كان رئيسًا للقسم لم أعلم أنه أعيدت للقسم معاملة أنفذها؛ لأن الدكتور محمد الهدلق لا يترك مجالًا للخطأ، وأنا إلى اليوم كلما رأيته في مجلس القسم أحس باطمئنان شديد إلى سير العمل؛ لأنه يرعى القسم وهو من بين أعضائه كما لا يفعل أحد غيره، فتراه لا يترك من الأمور ما هو بحاجة إلى بيان أو احتراز، لأنه جريء في الحق لا يخشى غير الله في قول أو عمل، وكنت إذا رأيته ساكتًا عرفت أن الأمور في مجراها الصحيح. وهو على معرفته الغزيرة وعلمه الجم وسعة خبرته الإدارية بما كلف به من العمادات والأعمال الإدارية تجده بالغ التواضع فتراه يهون من نفسه في حين يرفع من شأن الآخرين حافظًا للآخرين أقدارهم. وإنه من دواعي فخري واعتزازي أن تشرفت بالعمل مع هذا الأستاذ الكريم الذي تعلمت من خلقه وعلمه فلا زال الله منعمًا عليه بالصحة والعافية.

وأستاذنا من أزهد خلق الله بالظهور الإعلامي فتراه يتحامى ذلك تحاميًا وليس يقبل منه إلا ما يضطر إليه أو يحرج به، وهو على غزارة علمه ومعرفته عزوف عن الكتابة الصحفية مقل في الأعمال إن وازناه بغيره من الأساتذة الأكاديميين، ولكن أبحاثه التي نشرها كانت مثار إعجاب المتخصصين، إذ أعيد نشر بعضها بموافقته، أو سطي عليها، ولا أنسى ذلك اليوم وهو يريني بحثه منشورًا باسم شخص آخر لم يغير من البحث حرفًا

واحدًا سوى نزع اسم الهدلق وإثبات اسمه عليه، ومع ذلك كان أستاذنا غارقًا في الضحك من ذلك وحقًّا شرُّ البلية ما يضحك.

وكان من حسن حظي أن أتحفني بآخر أعماله، وهو ما نشر ضمن سلسلة الأعمال التراثية المحققة التي يوالي نشرَها كرسي الدكتور عبدالعزيز المانع لدراسات اللغة العربية وآدابها، وهو كتاب ضمّ ثلاث رسائل كان أستاذنا الدكتور محمد بن عبدالرحمن الهدلق حققها ونشرها في دوريات علمية، ثم جمعها لتخرج في مجلد واحد، وأحسن في ذلك؛ لأن في إعادة النشر فرصة إعادة نظر للنشرة السابقة، ولأن كثيرًا من القراء والباحثين أميل إلى قراءة الكتب والانتفاع بها، وقلما نجد طلاب الدراسات العليا يعودون إلى بحوث نشرت في المجلات الدورية.

أما الرسالة الأولى فهي (رسالة في استخراج الْمُعَمّى) لأبي الحسن محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي (ت٣٢٢هـ)، و(مُعَمّى) اسم مفعول من الفعل (عَمّى)، "والتَّعْمِيَةُ: أَنْ تُعَمِّيَ عَلَى الإِنْسانِ شَيْئًا فتُلَبِّسَه عَلَيْهِ تَلْبِيساً. وَفِي حَدِيثِ الْهِجْرَةِ: لأُعَمِّيَنَّ عَلَى مَنْ وَرائي، مِنَ التَّعْمِيَة والإِخْفاء والتَّلْبِيسِ، حَتَّى لَا يَتبعَكُما أَحدٌ. وعَمَّيتُ مَعْنَى الْبَيْتِ تَعْمِية، وَمِنْهُ الْمُعَمَّى مِنَ الشِّعْر، وَقُرِئَ: ﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْهِمُ﴾[١] [٦٦-القصص] بِالتَّشْدِيد"[٢]. ونقل لنا أستاذنا الهدلق تعريف أبي هلال العسكري معنى التعمية في الشعر "والتعمية أن تجعل مكان كل حرف من البيت اسمًا .. فإذا مضت الكلمة تدير

(١) قراءة الجمهور بفتح العين وتخفيف الميم، وقرأها بضم العين وتشديد الميم الأعمش، وجناح بن حبيش، وأبو زرعة، وأبو رزين، العقيلي، وأبو عمرو بن جرير، وقتادة، وأبو المتوكل، وعاصم الجحدري. انظر: معجم القراءات، لعبداللطيف الخطيب، ٧: ٥٦- ٦٦.

(٢) لسان العرب لابن منظور، ط٣، دار صادر/بيروت،١٤١٤هـ (عمي)، ١٥/ ١٠٠.

دائرة على ذلك حتى تأتي على آخر البيت"(ص٢٠). وذكر أن فن المعمى عربيّ الوضع منذ الخليل وانتقل إلى العجم فأغرموا به. وابن طباطبا شرح في رسالته كيفية الاهتداء إلى ما عمّي في الشعر بالاستعانة بمعرفة أوزانه وإحصاء حروفه، وذكر جملة من الخطوات المتبعة المعينة على كشف المعمّى، والتعمية في عصرنا الحاضر تعددت أغراضها وتعقدت أساليبها.

أما الرسالة الثانية فلا تقل طرافة عن الرسالة الأولى، وهي (رسالة في الفرق بين المترسّل والشَّاعر) لأبي إسحاق إبراهيم بن هلال الصابِئ (ت٣٨٤هـ). وهي جواب لسؤال ربما يخطر على بال كثير من الناس حين يلاحظون أن المشتغلين بعلوم غير أدبية إبداعية تأتي لغتهم إشارية مبلغة لكنها ليست بلاغية الطابع كلغة الإبداع الشعري وما يشاكل الإبداع الشعري، وكنت أظن هذه الملاحظة عند المحدثين حتى اطلعت على هذه الرسالة التي تجيب عن هذا فتتحدث عن تباين فنّين ليسا بتباعد غيرهما كالكتابة في النحو والفقه ببعد لغتهما عن لغة الشعر وإن جاء في نظم شعري كالألفيات التي تزوى فيها العلوم، فهي ليست شعرية وإن استعارت شكل الشعر وهو نظمه، افتتح الصابئ رسالته بقوله "كنت سألتني –أدام الله عزّك– عن السبب في أنّ أكثر المترسلين البلغاء لا يفلقون في الشعر، وأن أكثر الشعراء الفحول لا يجيدون في الترسل فأجبتك بقول مجمل ووعدتك بشرح مفصل"(٧١)، وهو يرد ذلك إلى اختلاف طريقة الإحسان في الفنين، فسر الترسل في وضوحه وسر الشعر في غموضه، وهو بعد يفسر علة ذلك بما فرض للشعر من أوزان مقيدة وبيوت منفصلة لا يمتد النفس في البيت بأكثر من مقداره فكان لزامًا أن يكتنز بالمعنى ويدق ويلطف حتى يكون المفضي إليه فائزًا بذخيرة دفينة يظفر مستخرجها، وأما الترسل فهو موضوع وضع ما يهذّ ويقرأ متصلًا وبالجملة

فما يستحب في الشعر يستكره في الترسل وما يستحب في الترسل يستكره في الشعر. وقد أدرك النحويون الفرق بين لغة الشعر ولغة غيره فالتمسوا العذر للشاعر أن يأتي من الضرورة ما يعاند به القواعد ولحنوا من يفعل ذلك في السعة منذ كان له مندوحة عن تلك المخالفة.

وأما الرسالة الثالثة فهي (الإغريض في الحقيقة والمجاز والكناية والتعريض) لتقيّ الدين عليّ بن عبدالكافي السبكيّ(ت٧٥٦هـ)، و"الإِغْرِيضُ كُلُّ أَبيضَ مثلِ اللَّبَنِ وَمَا يَنْشَقُّ عَنْهُ الطلْع"[١]، وهي رسالة مختصرة تزوي لك المقصود عند البلاغيين والأصوليين بهذه المصطلحات البلاغية، "فالحقيقة اللفظ المستعمل فيما وضع له. والمجاز اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة"(ص٩٥)، وهذه دلالة مباشرة بخلاف الكناية والتعريض "فلا يدلان على المكنّى عنه والمعرَّض به وإنما لهما بهما إشعار يحتاج إلى قرينة أو نيّة"(ص٩٥). والكناية قد تكون من الحقيقة أو المجاز؛ لأنه ليس سوى إخفاء للفظ وتعبير عن معناها؛ إذ "الكناية أن تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له"(ص٩٩)، ومن هنا هي "إمّا حقيقة خاصّة، وإما مجاز خاص"(ص١٠٠)، وأما التعريض فخلاف التصريح فهو "أن تذكر شيئًا تدل به على شيء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج إليه: جئتك لأسلّم عليك، ولأنظر في وجهك الكريم ... وكأنّه إمالة الكلام عن عُرْض يدل على الغَرَض"(ص١٠٠)، وهو يقع من حيث الدلالة والمجاز بحسب معناه، وأما التفطّن إليه وإدراك مراد صاحبه فمتعلق بفهم المخاطب وفطنته.

(١) لسان العرب لابن منظور، (غرض)، ٧/ ١٩٦.

والمدهش في رسائل التراث جمعها بين غزارة الفكَر وعمقها وجمال السبك الذي يبهج النفس ويسر الخاطر، فلعل أبناءنا من الباحثين يطلعون عليها لتذكي مهاراتهم وتهذب لغة كتاباتهم. تحية تقدير لأستاذنا محمد بن عبدالرحمن الهدلق رحمه الله.

زيارة الشيخ عبد العزيز العويِّد*

حين شاهدت أعمال الشيخ عبدالعزيز العويد أعجبت إعجابًا شديدًا بما أنجزه من أعمال مضمونها ومظهرها، فلما كنت في الكويت كلفت المهندس خالد عبدالله السويدان حفيد أختي زوج ابنتي ديمة أن يتصل به مستأذنًا بالزيارة، استأذنت في زيارته لأشكره مباشرة؛ لأني رأيت الاتصال أو الكتابة لا تفيان بذلك، فلم يكتف الشيخ بالإذن بذلك بل دعاني إلى وليمة غداء أو عشاء يجمع فيها أهل العلم والأدب؛ ولكني رجوته أن يقبل زيارة خفيفة؛ لأن هدفي التعرف إليه والأنس بمحادثته، وكان اللقاء الموفق في يوم الثلاثاء ١٩ شوال ١٤٤٤هـ الموافقه ٩ مايو ٢٠٢٣م، شكرته في هذا اللقاء لإنتاجه العظيم في هذا الزمن الذي قلّت فيه الأعمال الجادة الموثقة.

ولد الشيخ عبدالعزيز سعود عويّد الشمري في ١٨/ ٠٦/ ١٩٧٤م، و(عُوَيّد) تصغير (عايد) أي عائد اسم فاعل من الفعل (عاد)، وتخرج الشيخ بدرجة بكالوريوس شريعة في جامعة الكويت، وحصل على درجة الماجستير في علم النفس من جامعة الزقازيق في جمهورية مصر العربية، أهلته معارفه ومواهبه أن يكون إمامًا وخطيبًا متميزًا، يخطب ارتجالًا بثقة وتمكن، وله عدد غزير من الساعات المرئية والمسموعة ومشاركات في برامج حوارية تلفزيونية، وله أكثر من ثلاثين مؤلفًا، منها (معجم مساجد الكويت، حكايات كويتية، أطلس الشعراء، أطلس المعارك، كانوا ملوكًا، صناع التاريخ خلال ثلاثة قرون، مقامات العويد، حكايات سعودية، ذكريات برلمانية، معجم شوارع

* نشر في الجزيرة الثقافية يوم الجمعة/السبت ٢-٣ صفر ١٤٤٥/ ١٨-١٩ أغسطس ٢٠٢٣م.

الكويت، سحابة الكويت تمطر العالم، أطلس القراء، تحديث معجم البلدان، عبدالرحمن السميط أسطورة العمل الإغاثي، ملتقطات العويد، معجم تاريخ الحج، قطر أثر وخبر).

اهتم الشيخ العويد بتاريخ الجزيرة العربية خاصة، وامتاز بسعة اطلاعه وتعدد مصادره، وهو دقيق في استقرائه وتخيراته، وتجده يستوعب ما صح لديه من شأن ما يتحدث فيه، وهو يحسن الحديث عن ذلك في برنامجه على تطبيق (يوتيوب) أو (السناب)، يمتاز الشيخ بقدرة عظيمة على التحدث المتواصل الذي لا يعيبه حصَر أو فأفأة ولا تناله حُبسة، يتوجه إلى مشاهده اتجاهًا مباشرًا من غير أن يشغله بما يصرفه عن السماع، متعه الله بصوت رخيم واضح المخارج مكتمل الصفات لم تشبه بحّة مزعجة ولا غنّه مستكرهة، صوت هادئ يقع في السمع موقعًا حسنًا، أما لغته فهي العربية الفصيحة الحديثة المتجنبة لوحشيّ الكلام، وهو مع هذا مرتفع عن المستوى اللهجي ما لم يكن الحديث عن لهجة، والشيخ واسع الثقافة وبخاصة في تاريخ الجزيرة وجغرافيتها والأنساب واللهجات، وأنجز حديثًا منصة (أطلس اللهجات العربية) وهو حسب علمي أول أطلس شبكي يجمع بين الإمكانات الاتصالية المختلفة: الصوت، والخط، والصورة الثابتة والمتحركة، موقع جميل يمتع الصغير والكبير.

ولم يودعني الشيخ إلا بهدية قيمة هي ما كان لديه عتيدًا من كتبه، وهي (على أطلال الأندلس) كتاب نشرته مكتبة آفاق عام ٢٠١٢م، في ١٦٠ صفحة، عن زيارته الأندلس، وهي ليست زيارة سياحة؛ بل زيارة توثيق ينقلها في برامج تلفزيونية، وهو يقيدها بهذا السفر بالكتابة وبالصور الملونة، قال في مقدمته "لذا تضطرب المشاعر وهي تروي هذا التاريخ، فتارة أضحك، وتارة أبكي...". وهذا ما كان من أمري حين زرت

الحمراء وعدت إلى غرفتي في الفندق قرأت قصيدة الرندي وقصيدة نزار قباني[١]ثم أجهشت بالبكاء كطفل يتيم. وأما (صناع التاريخ خلال ثلاث قرون) فنشرته دار آفاق للنشر، الطبعة الخامسة عام ٢٠١٦م، في ٤٧٠ صفحة، وليس الكتاب عن حكام أو عسكريين بل عن أساتذة وعلماء وشيوخ علم كان لهم أثر بالغ محمود في مجتمعاتهم، يبدأ الكتاب بالحديث عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وينتهي بالأستاذ عبدالعزيز الناصر. وأما (ملتقطات العويد ٢) فنشرته نشرة ثانية دار آفاق للنشر عام ٢٠١٨م. في ٣٨٤ صفحة، والكتاب جملة من الأخبار والطرف والفوائد اللطيفة ثمرة قراءات الشيخ الكثيرة في الكتب اقتنصها وجمعها في كتاب هذا جزؤه الثاني ليمتع القارئ معه، ومن طريف ما وقع عليه نظري صدفة في الكتاب مجموعة (الكتابة على الجدران) وكنت أظن هذا السلوك حديثًا؛ فإذا به قديم ومن أمثلته ما جمعه أبو الفرج الأصبهاني في كتابه (أدب الغرباء)، وأما (حكايات سعودية) فنشرته دار آثار للأعمال التاريخية، طبعة أولى في عام ٢٠٢٢م، والكتاب كما قال الشيخ في مقدمته "جُمَل كنت قد نشرتها مرئيًّا تحت عنوان (حكايات سعودية) فليس هذا الكتاب كما هو معلوم حصرًا لتاريخ المملكة العربية السعودية بل هو انتقاء لما نشرته مرئيًّا فقط". وليس الكتاب حكايات سردية بل هو سجل حوادث وأخبار طريفة حقيقية لا من نسج الخيال.

---

(١) قصيدة أبي البقاء صالح بن شريف الرندي (ت ٧٩٨هـ) يرثي الأندلس، ومطلعها:

لكلّ شيءٍ إذا ما تمّ نقصانُ ... فلا يُغرَّ بطيب العيشِ إنسانُ

وقصيدة نزار قباني (ت ١٤١٩هـ) ومطلعها:

في مدخل (الحمراء) كان لقاؤنا ... ما أطيب اللقيا بلا ميعادِ

وأحسب أن أعمال الشيخ عبدالعزيز سعود العويد مراجع رائدة في بابها ستفيد الباحثين في التاريخ والاجتماع وآداب الشعوب، متع الله الشيخ بالصحة والتوفيق والرضا.

تراثي الجذور عصري الفروع*

نشأ أستاذنا أ.د. عبد الله بن محمد بن عبد الله الغذامي نشأة تراثية إذ ولد في مدينة عنيزة بمنطقة القصيم عام ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م. ودرس فيها حتى المرحلة الثانوية في المعهد العلمي بعنيزة وتخرج عام ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م، وانتظم في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض وتخرج عام ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، وهذه جذوره التراثية ثم نالته العصرية لما درس في جامعة إكسترا ونال الدكتوراه عام ١٩٨٧م.

وتراه لمحبته التراث لا يفتأ يحاول تجديده ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، وهو لذلك ربما أسرف في طلب العصرية إسرافًا يستعدي عليه المحافظين من أمثالي، إذ كنت معاندًا له غير مرة.

سمعت بأستاذنا حين كان في الحجاز وقد ذاع صيته، وكان حديث زملائنا في اجتماعاتهم ودعواتهم الاجتماعية يعرضون لأفكاره، وكان منهم الراضون عنه ومنهم الساخطون.

وفي ليلة في مدينة المذنب كان زواج لشاب من أسرة الغذامي، وفي تلك الليلة لقيت عبدالله الغذامي وجلسنا مع الناس على الأرض في الشارع، وكان نقاش حول مشكلات الموظفين والتزامهم عملهم، وكيف أنّ منهم من يضطر لمغادرة موقع عمله لإخراج أبنائه من المدرسة، وكان من رأي الأستاذ أنّ على الموظف الالتزام بالبقاء في مكانه، وأما

* نشر في الجزيرة الثقافية في الجمعة/السبت ٢٧-٢٨ شعبان ١٤٤٥هـ/ ٠٨ مارس ٢٠٢٤م. ع١٨٥٧٩.

التوصيل فعليه أن يتدبر أمره بما لا يخل بواجب العمل، وهو كلام سليم واضح ولكن تنفيذه صعب قد لا يتيسر لكل أحد.

وانتقل أستاذنا إلى قسم اللغة العربية في جامعة الملك سعود ليثري القسم بعلمه وعمله وسعدت بمشاركته بعض اللجان.

كان الدكتور عبدالله الغذامي من ألطف الناس وأحسن من عرفت تقديرًا لغيره، عرفت ذلك فيه حين كلف قراءة رسالة زميلنا الدكتور فهد سنبل الذي طلب الانتقال إلى القسم، وحين سألته عن الرسالة امتدحها، وقال: إنه سيكتب عنها تقريرًا مرضيًا. ولما بدأت كتابة مداخلاتي في المجلة الثقافية من صحيفة الجزيرة تبين لي أنه من الحريصين على قراءتها، قال لي ذلك وحثني أن أنشرها ما اجتمع قدر صالح منها، وربما هاتفني للثناء على مداخلة أعجبه موضوعها وفي الغالب لأن فيه نزوعًا تحديثيًّا يلائم عصريته، ومثال ذلك (شخبط شخابيط)[1]التي جاء في مطلعها "تضم لهجاتنا طائفة من الألفاظ المعبّرة عن دقائق في الاستعمال، قد لا نجدها مدوّنة في معاجمنا التراثية: إما لقصور في الجمع، وإما لحداثة في وضع اللفظ وضعًا جديدًا، وإما لأخذ لفظ من أصل من الأصول ولكن بشيء من التغيّر في لفظه وربما دلالته، وهذه الألفاظ وإن لم نجدها في المعاجم هي عربية الجذور والأبنية، وما وافق قول العرب القدماء في طريقته هو من قول العرب؛ إذ اللهجة مستوى من مستويات العربية، وإنْ وجب التوقف في بعض تراكيب العامية النحوية وطرائق تنغيمها ومجافاة بعض أصواتها لطريقة اللغة الفصيحة فإنّه لا توقف في

(١) نشر في المجلة الثقافية– صحيفة الجزيرة، في الخميس ١٧ رجب ١٤٣٣هـ/ ٠٧ يونيو ٢٠١٢م. ع٣٦٧.

الألفاظ المعجمية؛ لأنها تنتزع من سياقاتها ولا تستعمل إن أريد استعمالها في فصيح إلّا مفصّحة".

وأستاذنا سمْح لا يغضبه من يعانده، أذكر أني كتبت عنه مخالفًا لأقواله إذ ألقى محاضرة في مؤتمر مسقط ونشرتها المجلة الثقافية في عددها ٣٨٨، وكتبت عن هذه المحاضرة خمس مداخلات[١] بعنوان (الطباق الثقافي) وهو عنوان مقتبس من عنوان محاضرته، جاء في مقدمة المداخلة الأولى: وما فهمته من هذا هو أنّ ثمة ظاهرتين متقابلتين إحداهما اللغة المزدهرة في إنتاجها، والأخرى ظاهرة النحو الذي يأخذ أصحابه على الناس ضعف لغتهم ويلاحقونهم بالتصحيح، يقول أستاذنا "ولا مخرج لحل مشكلة النحو عند جمهرة العرب المعاصرين ما لم نتمكن من إقناعهم أولًا بأن النحو ضرورة لغوية لهم، وأولها أن نثبت لهم أن الناس لن يفهموا منهم قولهم إلا بالشرط النحوي، وأن النحو هو العقد الدلالي بين المرسل والمرسل إليه، فإن غاب غاب معه فهم الرسالة، وهذا مطلب يبدو أنه غير واقعي لأن الناس ظلت تنتج اللغة العربية الفصحى العصرية إرسالًا واستقبالًا، وإفهامًا وفهمًا، دون وسيط نحوي، وبالتالي عم الشعور (غير المصرح به) بأن النحو ليس شرطًا للفهم والإفهام. مما يفقده وظيفته في الشعور العام". فلما لقيته في القسم لقيت المبتسم الضاحك المتندر على (الطباق).

وكتبت مرة "أنا من تلامذتك المعجبين بك ناقدًا متميزًا لك حضورك الشفاهي والكتابي المؤثران؛ وإعجابي بك (لا يجب أن يمنعني من التوقف في بعض ما تقول)، فكيف تفهم مقصدي من جملتي؟ آلجواز أم الوجوب؟ قد تقول الوجوب وأن المعنى

(١) أعيد نشر ها في كتابي شهادات ومتابعات، ص ١٩٩.

الذي يفهمه كلانا (يجب أن لا يمنعني من التوقف) وأقول هذا مجرد احتمال، وترى كيف أعيدت الجملة إلى ترتيبها الصحيح بوضع حرف النفي أمام الفعل المراد نفيه، فليس مقبولًا إذن أن ننفي فعلًا ونحن نريد نفي غيره"، وكان هذا في مقدمة مداخلة (إلى أستاذنا الغذامي)[١]حول مقاله (في فهم مصطلح الفصيح أو سوء فهمه)[٢].

ولا أنسى حسن تقديره والثناء على مبادرة (أم أوس)، رحمها الله، حين كتب أحد الإعلاميّين عن تقصير صحافة الكويت في ذكرى الغزو؛ إذ كالت المدح للدول الأجنبية وأنسوا ذكر المملكة التي احتضنت الكويتيين وأسكنتهم في مدارسها وعمارات الإسكان التي كانت مخصصة للمواطنين، واستقبلت جيوش العالم وجعلت أرضها مقرًا لإدارة تحرير الكويت، وشارك جيشها بذلك وتعرضت البلاد لوابل من صواريخ العدو، واجتياح مدينة من مدنها، ساء أم أوس إهمال صحافة بلدها، فسافرت فورًا لتقابل وزير الإعلام ولتشرح له الخطأ الذي صار، فكان أن شكل لجنة وفدت إلى المملكة وعولج الأمر خير علاج، كان هذا الأمر من الأمور التي أعجبت أستاذنا وعبر عن إعجابه أمامي.

وآخر أمر أذكره لأستاذنا النبيل أني كتبت إليه رسالة في الوثاب أخبره بأنا نكتب كتابًا عن المرحومة أم أوس فلعله يشارك، فما هي إلا لحظات حتى وافاني بكتابته التي أخذت مكانها في الكتاب.

وقد أحسنت الجزيرة الثقافية ورئيس تحريرها أستاذنا الدكتور محمد الفيصل بتخصيص ملف تعيد فيه تكريم أستاذنا الدكتور عبد الله الغذامي حفظه الله.

---

(١) نشر في المجلة الثقافية، صحيفة الجزيرة السبت ٥ ربيع الآخر ١٤٣٩هـ/ ٢٣ ديسمبر /٢٠١٧م. ع١٦٥٢٢.

(٢) نشر في المجلة الثقافية، صحيفة الجزيرة/ الرياض، ع ١٦٥١٥ في ٢٠١٧/١٢/١٦م.

الصديق الزميل فهد سنبل*

عرفت الصديق الزميل الدكتور فهد بن عمر بن فهد بن سنبل في صيف عام ١٩٧٤م حين جمعتنا محاضرة أسبوعية يعلمنا فيها الدكتور حسين نصار علم تحقيق المخطوطات، كانت هي المحاضرة المشتركة بين طلاب فرعي اللغة والأدب، كنت المبتعث الوحيد من جامعة الملك سعود على غير العادة في ابتعاث المعيدين إلى جامعات غير عربية، وكان معظم الزملاء من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وكانوا يسكنون جميعًا في حي مدينة الإعلام، أما أنا فعشت في حي الدقي أول أمري حتى استقر بي المقام في حي مدينة المعلمين، وكان من كرم الزملاء من جامعة الإمام أن دعيت غير مرة إلى لقاءات لهم عامة أو خاصة، وازدادت اللقاءات بعد زواجي فانتظمت في الزيارات الدورية، كانت هذه الزيارات مجالًا للحوار والنقاش والجدل حول كثير من مسائل العلم والفكر، وبرز فيها فهد سنبل كما نسميه اختصارًا أو أبو عبير حينًا ثم أبو عمر، كان قوي الحجة صُلبًا لا يلين أو يُقنعَ خصمَه، وهو صريح صراحة شديدة ربما أزعجت من لا يعرفه حق المعرفة، وقد استفزني غير مرة بصراحته ونقده عليّ أحيانًا، وعُرف فهد بيننا بكثرة قراءته وسعة اطلاعه، تعلمت منه كثيرًا، سمعني مرة أقول (أشوى) فقال إنهم في الدلم يقولون (أشلى)، وجاء مرة حديث عن كتاب ابن المعتز (البديع) فبين لي أن المقصود بالبديع الشعر الجديد في العصر العباسي لا علم البديع المعروف في البلاغة العربية.

---

* أشكر الأستاذ المهندس سعود بن عبدالعزيز الزير، والأستاذ يزيد بن حمد المسلم لمدّي ببعض المعلومات التوثيقية.
ونشر في الجزيرة الثقافية في الجمعة/السبت ١٢-١٣ ربيع الآخر ١٤٤٥هـ/ ٢٧ أكتوبر ٢٠٢٣م. ع١٨٤٦٥.

درس فهد في المعهد العلمي في مدينة الدلم، أو (الخرج) كما قال لي وأن ما يسمى اليوم الخرج هو (السيح)، تخرج في المعهد فكان ترتيبه الثاني على مستوى المملكة، وصقلت معارفه بتجربة تعليمية مبكرة حين استثمر العطلة الصيفية عام ١٣٨٧هـ فأسس هو وعبدالرحمن بن صالح بن سنبل مدرسة أهلية لتدريس الطلاب المكملين[١]، وشارك أيضًا في التدريس في الفصول الصيفية التي عقدها نادي الشرق بالدلم[٢].

انتقل إلى الرياض لينتظم في كلية اللغة العربية وتخرج فيها بتقدير جيد جدًا في العام الدراسي ١٣٩٣هـ، وعُيّن معيدًا فيها ١٣٩٣/٨/٦هـ-١٩٧٣/٩/٣م، ثمّ ابتعث لدراسة الماجستير: ١٣٩٤/١١/١٧هـ -١٩٧٤/١٢/١م، على وعدٍ أن يجدد له لمرحلة الدكتوراه.

كان فهد مثل بقية زملائه من طلاب جامعة الإمام الذين تأسسوا تأسسًا تراثيًّا قويًّا؛ فقد هيئ لهم أن يدرسوا النحو مرتين، أولاهما في المعاهد العلمية بقراءة شرح بن عقيل وأخراهما في كلية اللغة العربية بقراءة (أوضح المسالك) لابن هشام، وكان هذا الأساس القوي وما ثقفه بعد بكثافة قراءته وبجودة تلقيه وحسن تخيّره؛ كان ذلك كلُّه ما هيّأه لمعالجة موضوع بحثه لمرحلة الماجستير "النقد اللغوي للشعر في القرن الثالث الهجري"، لم يكتف بما لديه من كتب بل احتمل من مكتبتي كثيرًا من المعاجم وكتب اللغة، وعكف عليها حتى اكتفى ثم ردّها ردًّا جميلًا، وشهدت مع غيري مناقشة رسالته،

---

(١) وقفة مع الذكريات لزيد بن علي بن زيد الدريهم، ط١، ١٤٤١هـ، ص١٧. أي الراسبين ببعض المقررات ويحق لهم اختبار ثان في نهاية العطلة الصيفية.

(٢) وقفة مع الذكريات لزيد بن علي بن زيد الدريهم، ط١، ١٤٤١هـ، ص١٨. ذُكر في الحاشية بخطِ من صَوَّر الصفحة.

ولا أنسى إشادة الدكتور جابر عصفور بأفكاره وبلغة كتابته، وكان المشرف على الرسالة هو أستاذنا القدير المحقق المدقق الدكتور حسين نصار، واجتاز فهد بتقدير ممتاز بتاريخ ١٣٩٩/١٢/٧هـ - ١٩٧٩/١٠/٢٨م، وحاول أن يحصل على التمديد لمرحلة الدكتوراه، وكان أن كتب لجامعته في ذلك؛ ولكن الجامعة قد افتتحت برنامجًا للدراسات العليا، وأرادت أن تستقطب له أنجب أبنائها، وكان فهد من أنجبهم وأعلاهم قدرًا؛ ولذا لم تمدد له، وطالبته بالعودة، وسافر فهد لمقابلة مدير الجامعة؛ ولكنها مقابلة لم تحقق غرضها؛ فقد كان الوعد الذي وُعده شفاهيًّا غير ملزم لأحد، وهكذا عاد فهد إلى القاهرة وقد قرَّ قراره على مواصلة دراسته؛ لأنه أراد متابعة مشروعه الذي بدأه مع مشرفه؛ ولأن لابنته عبير ظرفًا صحيًّا دقيقًا يقتضي مراجعة طبيب خاص كل أسبوع، وهذا ما لا يضمن تحققه في الرياض في تلك الأيام، فكان إنهاء العمل بجامعة الإمام في تاريخ ١٤٠٠/١/٢٥هـ- ١٩٧٩/١٢/١٤م. وأسعده على مواصلة دراسته مساعدة أحد أصدقائه له بنفقة عام كامل، فسجل لمرحلة الدكتوراه في ١٤٠١/٥/١هـ- ١٩٨١/٣/٦م برسالة "النقد اللغوي للشعر في القرن الرابع الهجري" بإشراف الدكتور حسين نصار.

نشأت مع الأيام بيني وبين زميلي فهد صداقة قوية وألفة صادقة، تعززت بعد عودة معظم طلاب الجامعة بعد انتهاء دراستهم، كنا في تلك الأيام ثلاثة أنا وفهد والمرحوم عبدالعزيز الزير، كنا نقضي سحابة النهار في العمل البحثي الجاد حتى إذا حل المساء قصدنا مقصف أحد الفنادق وكان في الغالب (فندق مريديان) نتعشى عشاءً خفيفًا ونتبادل الأحاديث ونتناقش في مسائل الفكر والأدب واللغة.

ناقشت زوجتي (أم أوس وسمية المنصور) رحمها الله رسالتها قبلي وسافرت إلى الكويت وتعينت أستاذة هناك فعميدة كلية، وكنت أراوح في أيام إقامتي بين الكويت والقاهرة، وفي يوم اتصل بي فهد من القاهرة يستشيرني في أمر؛ إذ كان زميلنا الشيخ الجليل الدكتور حسن بن عمر فلّاته خاطب جامعة الملك عبدالعزيز بشأن فهد مبيّنًا لهم قدره وتمكنه العلمي فرحبت الجامعة به ووعدت بابتعاثه، اتصل زميلي فهد يطلب رأيي في ذلك أيقبل أم لا، فقلت والفرح يملأ جوانحي: اقبل بلا تردد فالمسألة دخل تقيم به أود أسرتك، وكان أهمَّه أن الجامعة ليست في الرياض وأن عليه أن يعمل في مدينة غيرها، على أنه سمع قولي وقبل، فكان تعيينه على وظيفة محاضر في ١٤٠٣/٨/١٢هـ- ١٩٨٣/٥/٢٤م بجامعة الملك عبدالعزيز بكلية التربية في المدينة المنورة، وكنت ألححت على صديقي فهد أن ينشر رسالته، وكان زاهدًا بالظهور، ولكن أشفقت من أن يحرم طلاب العلم مما فيها من جهد عظيم، واقترحت عليه أن يقدمها لمكتبة الخانجي لعراقتها فكان أن تقدم بها؛ ولكنهم عرضوها على الشيخ محمود شاكر فلم يوص بطباعتها، ولم يبين لذلك علة مقنعة، وطُوي أمر نشر الرسالة ومضت سنوات طويلة وتذكرت أمرها وأنا في زيارة لأستاذنا الشاعر المبدع الدكتور عبدالله بن سليّم الرشيد، تكلمنا عن فهد وذكرت له القصة فلمت نفسي أني لم أعاود المحاولة لنشرها والتفاوض مع تلك الدار أو غيرها.

اتصل بي فهد مرة أخرى، وأنا في الكويت، وهو في غاية الأسف والانزعاج، قال لي كنت اليوم في المكتب الثقافي وعلمت منهم أنهم بصدد إنهاء بعثتك، فانظر ما تصنع. نزل الخبر علي كالصاعقة فتوجهت إلى الرياض لمعالجة الأمر، وكنت انهيت كتابة رسالتي غير أن أستاذي طالبني بباب إضافي، وكنت تقدمت بطلب تمديد لبعثتي، كاد

أمر بعثتي يبتّ به لولا لطف الله ومعاضدة القسم والكلية وثقتهم بي ونجاح مقابلتي مدير الجامعة الدكتور منصور التركي. ومنّ الله عليّ بعدُ باجتياز المناقشة والعودة إلى أرض الوطن، أما فهد فظل يكمل عمله في القاهرة بتأن وصبر ودقة لا حدود لها.

كانت سمعة فهد العلمية قوية في جامعة القاهرة، وكان مشرفه الدكتور حسين نصار عميد الكلية يثق به ثقة متينة، فكان يكلّفه قراءة بعض البحوث التي تقدم بها أصحابها من العالم العربي للمشاركة في مؤتمر طه حسين، حكى لي فهد كيف أنه كان جالسًا في غرفة العمادة مكبًّا على بحث يقرؤه بعناية ودقة؛ فإذا بمن يقف عليه بسلة ملئت بالشكولاتة يدعوه إلى تناول شيء منها، وفهد منغمس في عمله يرفع كفه بالنفي؛ ولكن الإلحاح متواصل، ولم يرفع رأسه حتى ناداه العميد: يا فهد ما تأخذ، فرفع رأسه فإذا جيهان السادات، كانت تحتفل بدرجة الماجستير التي نالتها من القسم.

أنهى فهد رسالة الدكتوراه، واجتاز بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى في تاريخ ١٤٠٧/٩/١٧هـ- ١٩٨٨/٥/١٥م، وقدمنا أنا وأخي محمد إلى القاهرة لنشهد مناقشته ولنحتفل به بعدها في (فندق المريدين). ثم باشر عمله أستاذًا مساعدًا في جامعة الملك عبد العزيز في ١٤٠٨/٤/٢٤هـ، وبعد سنوات أبلغني برغبته في الانتقال إلى جامعة الملك سعود، فتقدمت بأوراقه إلى عميد الكلية أستاذي الدكتور عبدالرحمن الطيب الأنصاري، فلما اطلع عليها وافق على ذلك وتيسر أمر قراءة رسالتيه وكتابة تقرير عنهما وكان ممن قرأهما أستاذنا الجليل عبدالله الغذامي، ونقلت خدماته إلى جامعة الملك سعود في ١٤١١/٢/٢٣هـ، وظل يعمل في القسم إلى أن تقاعد في ١٤٣٢هـ.

اكتسب الدكتور فهد محبة زملائه لدماثة خلقه وهدوء طبعه، وناله تقديرهم لمكانته العلمية ولجودة تدريسه، ولذلك استعان به بعض الأساتذة ليكون مشرفًا مساعدًا، منهم

د. محمود جبر الربداوي المشرف على رسالة المعيد في القسم ماجد بن محمد بن عبدالله الماجد، وهي "البحث البلاغي عند ابن جني" التي نوقشت في ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

ويذكره بخير من عرفه من طلابه النابهين، فهذا زيد بن علي الدريهم يكتب "كانت بدايتي بمعرفة الدكتور فهد منذ كنت طالبًا في المرحلة الابتدائية وهو طالبٌ في معهد الدلم العلمي، وكان من الدفعة الأولى في المعهد، وعند حصوله على ثانوية المعهد كان ترتيبه الثاني على مستوى المملكة، وكانت تربطه بخالي زيد بن سليمان الدريهم علاقة وطيدة بحكم الدراسة سويًّا في المرحلة الابتدائية، ثم ازدادت علاقتي به بسبب علاقتي بأخي وزميلي سعود العبيد (ابن أخته) في المرحلة المتوسطة والثانوية، وكان يعاملنا معاملة تربوية وكان موجهًا لنا يحثنا على الجد والاجتهاد وحب طلب العلم، ونتواصل معه دائمًا في الإجازات الأسبوعية والصيفية عند زيارته لأهله في الدلم، وكان حديثه شائقًا ممتعًا، وكان في ذلك الحين طالبًا في كلية اللغة العربية في الرياض، وبعد تخرجنا من الثانوية استقبلنا في بيته هو وصديقه عبدالعزيز العديني برحابة صدر وساعدنا ووجهنا بالقبول في جامعة الرياض (جامعة الملك سعود الآن)، ومن نعم هذه الحياة أن منح المولى الدكتور فهد رحابة الصدر والاستئناس بمن حوله من أقاربه ورفاق دربه في مضمار الحياة، ولقد منحه الله روحًا شفافة وإحساسًا متذوقًا للأدب الرفيع ومشاعر مبدعة وفياضة وموهبةً تذوب فيها المعاني لما يملكه من باع طويل في مجال اللغة العربية وآدابها"(١)، وهذه (الجوهرة آل جهجاه) تدعو إلى استعمال "نظرية القراءة والتفكير النقدي الأدبي الحديثة (نقد النقد) (Metacriticism) بمنهجيتها التي ما زالت تُبنى، وقد

(١) وافاني بهذا النصّ سعود بن عبدالعزيز الزير.

تعلّمْتها – للمرة الأولى– وتحصّلتُ على بعض مصادرها من الأستاذ الدكتور: فهد بن عمر بن سنبل –رعاه الله وأثابه–"[١]. وكتب فيصل سعد الجهني عن قسم اللغة العربية، وأجتزئ من قوله "ويمكن أن يمثل قسم اللغة العربية صورة متألقة لبقية الأقسام الأخرى في الجامعة. كان قسم اللغة العربية في كلية آداب جامعة الملك سعود قسمًا فاخرًا بجد فاخرًا بكل المقاييس الأكاديمية والمعرفية والثقافية. كان ذلك الفضاء الباهي يجمع أقطاب العلم والثقافة الذين نهضت بهم بلادنا عامة. د.منصور الحازمي صاحب حكاياتنا المحلية المبكرة مع الأدب وفنونه، ود.عبدالعزيز الفدا ببهائه وهيبته وعذوبة حديثه عن (أبي حيان التوحيدي..أتذكر!) بإسقاطات تاريخية ذكية، وأستاذ النظرية الأدبية الناقد المعروف د.عبدالله الغذامي، ود. فهد سنبل أستاذ النقد الحديث وموسوعة الكتب المؤلفة في كافة المناهج النقدية"[٢].

الدكتور فهد وزميله صديقنا الدكتور عبدالعزيز الزير رحمه الله هما على تمكنهما وعلو كعبهما في تخصصهما يضيّقان على أنفسهما تضييقًا شديدًا ويتحرجان من الكتابة والنشر؛ لأنهما لا يرضيان عمّا يكتب كل الرضا، فليس لفهد في حدود علمي سوى الرسالتين رسالتي الماجستير والدكتوراه، وبحث واحد شارك فيه في ندوة القسم (قضايا المنهج في الدراسات اللغوية والأدبية: النظرية والتطبيق) في ٢١-١٤٣١/٣/٢٤هـ الموافقه ٧-٢٠١٠/٣/١٠م، وعنوانه "مصطفى ناصف: من البلاغة إلى البلاغة"، نشر

---

(١) انظر: "التفكير الفطري: اقتراح لتطوير تدريس المناهج التعليمية في المملكة العربية السعودية"، نشر في صحيفة الجزيرة في الجمعة ٥ جمادى الآخرة ١٤٢٥هـ/ ٢٢ يوليه ٢٠٠٤م- ع١١٦٢١.

(٢) انظر: "دكاترة (حقيقيون) و(تعليم حتى الموت)"نشر في، صحيفة المدينة، ٢٢ نوفمبر ٢٠١١م.

في كتاب الندوة، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، ص٥٧١. وآمل أن ترى النور رسالتاه قريبًا.

الصديق النحوي صالح العمير*

حين عدت من البعثة عام ١٤٠٥هـ سألت عن معلمي النحو في القسم، فذكر لي منهم الدكتور صالح بن سليمان العمير، وكان قد عُيّن أستاذًا مساعدًا في القسم قبل عامٍ، في (١٤٠٤م)، بحثت عن مكتبه فوجدته مفتوحًا، وهو مكب على أوراق يعالجها، سلمت عليه فردّ السلام، وقلت له: أنا منذ جئت أسأل عنك، فقال: وأنا أسأل عنك. جلست معه وتبادلنا الأحاديث كأنّا صديقان قبل هذا، ومنذ ذلك اليوم توثقت عرى المعرفة والصداقة، كان من أكثر الناس اهتمامًا بأمري، فلا يكون أمرٌ متصلٌ بأمورنا إلا بادر إلى تنبيهي إليه، حين حُدِّد بدء إيجار المساكن لأعضاء هيأة التدريس لم أعلم بوقته وبمكانه إلا منه، وحين قررت مكافأة استعمال الحاسوب صحبني إلى المسؤول في الجامعة، وحين نشر كتاب (الشاذليات) ذهبت معه لزيارة أستاذنا حسن شاذلي فرهود، ونبهني قُبيل دخولنا برفق وأناة إلى أن أستاذنا غضب من طريقة كتابة اسم والده، وكنت كتبته على صفحة العنوان (حسن الشاذلي فرهود)، وحاول الصديق العمير أن يلتمس لي العذر بأن الاسم منسوب فهو حري بالتعريف، وهو أمر لا أعرفه، وحين دخلنا على أستاذنا وجرى الحديث أظهر استياءه من كتاب الاسم، وقال: اسم والدي (شاذلي) لا الشاذلي، فلما قلت له: إن هذا خطئي هدأ وسامحني، هذه مُثُل من أمثلة كثيرة يحرص أخي صديقي صالح على أن ينبهني إليها.

---

* نشر في الجزيرة الثقافية، الجمعة/السبت ٣٠-٠١صفر ١٤٤٥هـ/ ١٥-١٦ سبتمبر ٢٠٢٣م، ع ١٨٤٢٩.
وأشكر الزميل العزيز الدكتور عبد العزيز الخراشي لما نبهني إليه من أخطاء وقعت في المقال المنشور.

عرفت أبا سليمان واسع المعرفة بالحياة الاجتماعية، يدهشني بسعة اطلاعه على أنساب الناس وأخبارهم، حدثني عن عمله في شمال المملكة وعن غرائب شهدها هناك، وكان له الفضل علي بتعريفي بزملاء من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، من أوائلهم أستاذنا عبدالله الخثران، وفي يوم أقام وليمة دعا إليها جملة من الزملاء في القسم وجملة من الزملاء في جامعة الإمام عرفتهم في ذلك اليوم منهم تركي بن سهو العتيبي وصالح بن حسين العايد، اللّذان توثقت معهما عرى الزمالة والمعرفة والتعاون.

كان الدكتور صالح غزير المعرفة متقنًا لمفردات النحو والصرف، فقد تعلم ذلك في كلية اللغة العربية التي تخرج فيها عام ١٣٩٠هـ، وصقل التعليم مهاراته اللغوية والإدارية؛ إذ درس في المعاهد العلمية من ١٣٩٠هـ إلى ١٣٩٢هـ ثم عيّن وكيلًا لثانوية الفيصل ١٣٩٢هـ إلى ١٣٩٥هـ، فكان جديرًا أن يكون أكاديميًّا؛ إذ عين في هذه السنة معيدًا في كلية التربية بجامعة الملك سعود لينتظم في برنامج الدراسات العليا في كلية الآداب (كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية)، وتهيأ له أن يكتب رسالة الماجستير وعنوانها (أحرف الجواب في اللغة العربية)، أشرف عليه العلامة الفذ حسن توفيق ظاظا، نوقشت في ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، وفي هذا العام عين محاضرًا في كلية الآداب، وواصل العالم الجاد سعيه فانتظم في برنامج الدكتوراه في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ليعد رسالة الدكتوراه (النَّهْجَة المَرْضِيَّة في شرح ألفية ابن مالك للسيوطي: دراسة وتحقيقًا)، أشرف عليه النحوي المحقق المتقن محمد بن عبدالرحمن المفدّى، ونوقشت في عام ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، وفي هذا العام عيّن أستاذًا مساعدًا، ثمّ أستاذًا مشاركًا في ١٤٠٩هـ.

هيأت معرفة أستاذنا تراث السيوطي أن يحقق عملًا آخر من أعماله، فحقق (رسالة في معرفة الحلى والكنى والأسماء والألقاب)، نشر في مجلة الدارة: دارة الملك عبدالعزيز، الرياض. س ١٨، ع ٢ (محرم / ربيع الأول ١٤١٣هـ، يوليو/ سبتمبر ١٩٩٢م)، وكذلك (رسالة في حروف الهجاء: أسئلة للسيوطي وأجوبتها للشنواني الشافعيين: دراسة وتحقيق)، نشر في مجلة الدارة: دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، س ١٥، ع ٣ (ربيع الآخر/ جمادى الآخرة ١٤١٠هـ، تشرين الثاني/ كانون الأول ١٩٨٩م./ كانون الثاني ١٩٩٠م).

وعكف على قراءة كتاب (شرح القصائد السبع) لابن الأنباري قراءة أثمرت جملة من البحوث القيمة، منها (دراسة الظواهر الصرفية المبنية على قراءات قرآنية في شرح القصائد السبع الطوال)، نشر في مجلة بحوث ودراسات اللغة العربية وآدابها، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض ج٢، ١٤٠٨هـ. (دراسة لغوية للقراءات الواردة في كتاب ابن الأنباري شرح القصائد السبع)، مجلة الدارة: دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، س ١٤، ع ٤ (رجب/ رمضان ١٤٠٩هـ، فبراير/ ابريل ١٩٨٩م). و(دراسة الظواهر النحوية في القراءات القرآنية الواردة في كتاب شرح القصائد السبع، لأبي بكر بن الأنباري، مجلة جامعة الملك سعود. الآداب، الرياض، مج ٢، ع ١ (١٤١٠، ١٩٩٠م). وأتاحت القراءة تأملًا في مصطلحات ابن الأنباري فكان بحث (مصطلحات أبي بكر بن الأنباري الكوفية: بحث في مجال الدرس النحوي الكوفي)، مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الإنسانية، جدة، مج ٣ (١٤١٠هـ، ١٩٩٠م). وكان درسه للمصطلحات حافزًا لدرسها عند عالم آخر؛ فكان بحث (المصطلح النحوي عند ابن قتيبة)، نشر في مجلة الدارة: دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، س ١٧ ع ٣ (ربيع الآخر/

جمادى الآخرة ١٤١٢هـ، تشرين الثاني/ كانون الأول ١٩٩١م/ كانون الثاني ١٩٩٢م).

هيأته دربته التحقيقية في أعمال السيوطي أن يحقق أعمالًا أخرى، فكان (تحقيق مسألة: "ما" ودراستها عند أبي علي الفارسي)، نشر في مجلة جامعة الملك سعود. الآداب: الرياض، مج ٢، ع ٢ (١٤١٠هـ، ١٩٩٠م). وكان (شرح المعربات، للكافي؛ تحقيق ودراسة، مركز البحوث، كلية الآداب، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م، و(العقد الوسيم في أحكام الجار والمجرور والظرف وما لكل منهما من التقسيم)، تأليف صلاح الدين صلاح بن الحسين بن يحيى بن علي الأخفش الصنعاني المتوفى سنة ١١٤٣هـ/ ١٧٣٠م، تحقيق ودراسة، نشر في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ع ٥ (محرم ١٤١٢هـ، يوليو ١٩٩١م).

ولد الدكتور صالح بن سليمان العمير في البكيرية (القصيم) ١٣٦٨هـ، فيها نشأ وتعلم تعليمه الأوّلي، وتطبع بطباع أهل الريف: هدوء الطبع، والرفق واللين، وصدق اللهجة، والعزوف عن المظاهر والبهرجة، واستمرت هذه الصفات ملازمة له لم تغيرها حياة المدينة، وجمع إلى ذلك سعة المعرفة وإتقان علمي العربية الصرف والنحو، وهيأ الله لي أن أشاركه جملة من المناقشات، وكنت أحرص على سماع ملحوظاته الدقيقة القيمة وأتعلم منها، وكان من عزوفه عن المظاهر تجنبه للظهور الإعلامي مطلقًا، فلا تسمعه في إذاعة ولا تراه في تلفاز، ولم يقحم نفسه في برامج النشر على الشابكة. أطال الله عمر أستاذنا ومتعه بالصحة والرضا.

العبودي اللغوي*

من يتيسر له الاطلاع على تراث العلّامة الشيخ محمد بن ناصر العبودي رحمه الله يدرك أنه عالم موسوعي، فهو لغوي معجمي وهو مؤرخ جغرافي ورحالة وأديب، هذا إلى معرفته الفقهية والأصولية، وهو في كتبه يمزج بين تلك الاهتمامات، ومن أهمها اللغة التي تَظهر لك جوانب اهتمامه بها في المعاجم اللغوية ومعاجم المعارف الأخرى والمعجم الجغرافي وفي معاجم الأسر وفي كتب الرحلات، ويمكن أن نقف على خمسة جوانب من هذا الاهتمام اللغوي:

١)غزارة الإنتاج.

من دلائل غزارة إنتاجه اللغوي أنه كتب ما يزيد على خمسة وثلاثين معجمًا، منها المطبوع ومنها المخطوط، ومنها ما يقع في مجلد ومنها ما جاء في مجلدات ذوات عدد؛ فالمعجم المخطوط (معجم الألفاظ العامية: المعجم الكبير) يقال إنه في عشرين مجلدًا، ونجد (معجم أسر بريدة) في ثلاثة وعشرين مجلدًا.

---

* نشر في ثلاثة أعداد من الجزيرة الثقافية:

الجمعة/السبت٢٠-٢١ صفر ١٤٤٤هـ/ ١٦ سبتمبر ٢٠٢٢م. ع١٨١١٧.

الجمعة/السبت ٠٤-٠٥ ربيع الأول ١٤٤٤هـ/ ٣٠ سبتمبر ٢٠٢٢م. ع ١٨١٢٩.

الجمعة/السبت ١٨-١٩ ربيع الأول ١٤٤٤هـ/ ١٤ أكتوبر ٢٠٢٢م. ع ١٨١٤١.

وهذه المداخلات اعتمدت على سُهمتي في ندوة العلامة الموسوعي الشيخ محمد بن ناصر العبودي رحمه الله" التي نظمها مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية/ مكة المكرمة، في يوم السبت ٧ صفر ١٤٤٤هـ الموافقه ٣ سبتمبر ٢٠٢٢م. وكانت مشاركتي "العلامة العبودي اللغوي".

والمعالجة اللغوية مبثوثة في أعماله المعجمية والأدبية وكتب رحلاته أيضًا، قال د. إبراهيم بن عبدالرحمن التركي "تتخطى إصدارات الشيخ أربع مئة كتاب حتى الآن، وهو ما يعلو به نصًا ليكون في طليعة المؤلفين العرب؛ لا في وقتنا هذا فقط بل عبر القرون"[(١)].

ولعل أعماله ترى النور بعد نشرها على الشابكة بإذن الله حتى الأعمال التي لم يأذن الله بإكمالها مثل (معجم أسر المذنب) الذي حدثني عنه الشيخ، ونحن في مجلسه الاثنيني، وقال: إنه سينشر بعد سنتين، ثم حلّت جائحة (كارونا) فحالت دون ظهوره كما حالت وفاة الشيخ عن ذلك أيضًا.

٢)الجمع بين التراثين: تراث الفصيحة وتراث الدارجة

تلقى الشيخ منذ صغره تراث العربية الفصيحة، وحفظ كثيرًا من متونها النثرية والشعرية، وأتقن العربية وعلومها وتمكن منها تمكنًا ظهر أثره في معالجاته اللغوية، وهو على معرفته بالفصيحة وتراثها لم يكن بمعزل عن ثقافة اللغة الدارجة وتراثها الشعبي الحاضر؛ إذ حفظ من أشعارها وأخبارها ما جعله يستطيع باقتدار أن يجمع بين التراث القديم والشعبي المعاصر، وظهر هذا جليًّا في أعمال خصصها للربط بين التراثين، من أبرزها (الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة: أو ما فعلته القرون بالعربية في مهدها) [ثلاثة عشر مجلدًا]، ويبين لنا العنوان الشارح لعنوان المعجم موقف الشيخ من اللغة الدارجة وهو أنها هي اللغة الفصيحة بشيء من التغير، ومنها (معجم الأصول الفصيحة للأمثال الدارجة) [ثمانية مجلدات]، (معجم غرائب الألفاظ النجدية ذوات الأصول

---

(١) إبراهيم بن عبدالرحمن التركي، تعادلية النص والشخص .. العبودي أنموذجًا، موقع الشيخ محمد العبودي عميد الرحالين، مقالات https://alobody.net/?p=4430

الفصيحة: يشتمل على ألف وثلاثمائة لفظ)[١]. ونجد هذا الربط واضحًا في أعماله الأخرى ففي (معجم بلاد القصيم) بيّن منهجه في ذكر أسماء الأماكن الحديثة ثم أسمائها التراثية، وعلل ذلك بقوله "لأنها أسماء ذهبت وبادت كما باد أهلوها الذين وضعوها واكتسبت تلك المواضع تسميات جديدة فالنباج أصبح اسمه (الأسياح) والقنان يسمى الآن (الموشم) ومتالع يعرف باسم (أُم سنون) والسِّتار هو (الرَّبوض) عند المتأَخرين"[٢].

وهو أيضًا يجمع بين تعريفه المحدث وتعريف القدماء مستشهدًا بالأشعار الفصيحة والأشعار الدارجة، قال "ثم أذكر بعد تعريفي الخاص للموضع تعريف القدماء به إن وجد ثم أذكر الشواهد الشعرية...ثم أنقل الأشعار العامية التي ورد فيها ذكر الموضع"[٣].

٣)ضبط الشكل باللفظ.

ومن أهم الأمور التي أخذ الشيخ بها نفسه أن يضبط مداخل معاجمه من أعلام وألفاظ ضبطًا دقيقًا؛ وذلك بوضع الحركات على الحروف وبتسمية الحروف وحركاتها، وهو منهج أشار إليه بقوله "ثم أضبطه [الاسم] ضبط قلم ثم ضبط حروف بذكر الحركات اللفظية كما يلفظ باسمه في الوقت الحاضر وليس على مقتضى اللفظ الفصيح"[٤]. وهذا المنهج مطرد نجده في كل أعماله، ومن أمثلة ذلك:

"**الْمبَارِي**:

---

(١) نشرته دار الثلوثية، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.

(٢) محمد بن ناصر العبودي، معجم بلاد القصيم، ١/ ١٨.

(٣) محمد بن ناصر العبودي، معجم بلاد القصيم،١/ ١٧.

(٤) محمد بن ناصر العبودي، معجم بلاد القصيم، ١/ ١٦.

بإسكان الميم بعد (ال) ثم باء مفتوحة فألف ثم راء فياء أخيرة، على صيغة اسم الفاعل من باراه يُبَاريه، إذا سايره وماشاه"[١].

"**الْمِذْنَب**:

بكسر الميم وإسكان الذال ثم نون مفتوحة فباء أخيرة"[٢].

وربما وجد أن من الألفاظ في النصوص ما يفتقر إلى الضبط فيضبطه ضبط قلم، كما سماه، أي بإظهار الحركات. ونجد هذا في الألفاظ الفصيحة والدارجة ومثال الفصيح قوله: "فازع: فازعا، والفازعُ هو المُنْجِدُ لغيره، المُجِيبُ لِصَرِيخِه، فصيحة. والمعنى: أنّ كُلَّ رأسِ انسانٍ تقطعه في الحرب، يكفيك عناءَ مُدافعةِ رَجُلٍ مِنْ أعدائك قد يجيء إليك مرةً ثانية فازعًا لغيره من خصومك، مُنْجِدًا له"[٣].

ومثال الدارجة:

"قال راشد الخلاوي:

قِـطْـبٍ جِلِـيْلٍ لا تِعِيْبِـهْ بْـزَلَّـهْ ... حَظِـيٍّ مْـنَ الأَرْيَــا بْهَــاديْهْ صَايْبَهْ

تَلْقَاهْ في الطَّاعَاتْ فَسْل وُكَاسِل ... وعلى الدُّوْنْ سِرْحَانَ الغَضَا ما يْواثْبِهْ"[٤]

٤)تفسير الألفاظ وشرح النصوص

---

(١) محمد بن ناصر العبودي، معجم بلاد القصيم، ٦/ ٢١٩٤.

(٢) محمد بن ناصر العبودي، معجم بلاد القصيم، ٦/ ٢٢٢٩.

(٣) محمد بن ناصر العبودي، الأمثال العامية في نجد، ٢/ ٥٦٠.

(٤) محمد بن ناصر العبودي، معجم الحيوان عند العامة، ٢/ ٤٧٦.

حرص الشيخ على إفادة قارئه تمام الإفادة ومن كمال ذلك شرح الألفاظ التي تحتاج إلى شرح الفصيحة منها والدارجة، وكان هذا من منهجه الذي نص عليه في (معجم بلاد القصيم) قال "وأشرحها [الأشعار النبطية] شرحًا يستطيع القارئ العادي من خارج الجزيرة العربية أن يفهمه أي: أشرحها شرحًا متوسطًا غير مُسْتَقْصٍ"(١).

ومن أمثلة ذلك قوله "(**الطحرور**): الطفل الذي لم يكن شبابه على ما يرام، فهو كبير البطن، ضعيف الصحة"(٢). وكثيرًا ما سمعت هذا اللفظ على ألسنة الناس، وهم يعرفون استعماله إذ هو لفظ احتقار للشخص وخاصة الصغير؛ ولكنهم قد لا يعرفون معناه الذي بينه الشيخ.

ومن ذلك بيان علة تسمية قارة سواء بالاسم (**بُرْمَة**)، قال "وسميت برمة تشبيهًا لها بالبرمة التي يطبخ بها وهي قدر من الطين المفخور(٣)يكون أسود بسبب إيقاد النار تحته"(٤). وكذلك علة تسمية (المذنب) قال "أما المذنب: مسيل الماء إلى الروضة فإن المذنب [البلد] يمر به سيول أودية معروفة وهي: نسر، والوُدَيّ، ومظيفير"(٥).

---

(١) محمد بن ناصر العبودي، معجم بلاد القصيم، ١/ ١٧.

(٢) محمد بن ناصر العبودي، كلمات قضت: معجم بألفاظ اختفت من لغتنا الدارجة أو كادت، ٦٥٩/١.

(٣) لم أجد (المفخور) بهذا المعنى في المعجمات ولا كتب اللغة، فلعلها من موضوعات الشيخ.

(٤) محمد بن ناصر العبودي، معجم بلاد القصيم، ٢/ ٤٥٤.

(٥) محمد بن ناصر العبودي، معجم بلاد القصيم، ٦/ ٢٢٣٨.

ويأتي في هذا الإطار تفسيره لاسم العائلة (الركف)، قال "الرِّكَف: بكسر الراء وفتح الكاف ثم فاء... وسبب تسميتهم بذلك أن أوائلهم كانوا في جهة حائل وولد جدهم في مكان فيه شجر يقال له: (الركف) فسماه أهله (ركف) على اسم ذلك الشجر"[١].

٥)تصحيح الألفاظ والدلالات.

ويقصد بالتصحيح أمرين أحدهما بيان الخطأ والصواب والآخر وصف القول بالصحة، ومثال ذلك قوله "والكلبة المِجْعر- بدون هاء ولا يقولون مِجْعره-: هي التي تطلب الكلب الذكر للسفاد. ولها إذا كان كذلك نباح خاص معروف. قال ابن الأعرابي: السِّباعُ كلها (تُجْعِلُ) وتَصْرِفُ إذا اشتهت الفحل، وقد صَرَفَتْ صرفًا فهي صارف، وأكثر ما يُقال ذلك للكلبة. فيلاحظ أنه ذكر (تجعل) باللام، على حين أن بني قومنا يلفظونها بالراء، فإما أن يكون تحريفًا بمعنى أن الذي سجل اللفظة لأول مرة من اللغويين سجلها بلفظ (تجعل) باللام، أو أن يكونا لغتين"[٢].

ومن ذلك أنه أورد تعريف أبي زيد الكلابي للجخدب وعلق عليه "أقول: رحم الله أبا زيد الكلابي، فقد وصف (الجخدب) بما نعرفه عنه وصفًا مطابقًا للحقيقة، ولا شك أن السبب في ذلك كونه –مثلنا– من أهل هذه البلاد الذين عرفوا معاني كلماتها معرفة شخصية واستعملوها، بخلاف بعض اللغويين من اللذين كتبوا اللغة، الذين كانوا ينقلون عن غيرهم من دون معرفة شخصية لمعاني بعض الكلمات"[٣].

(١) محمد بن ناصر العبودي، معجم أسر بريدة، ٨/ ٩٢.

(٢) محمد بن ناصر العبودي، معجم الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة، ٢/ ٢٠٥-٢٠٦.

(٣) محمد بن ناصر العبودي، معجم الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة، ٢/ ١١١.

ولعل الشيخ يعني أمثال ابن منظور الذي أورد قوله "وقال ابن منظور: هو الجُخَادبُ، و(الجُخْدُب) والجُخْدَب، والجُخَادبُ، وأبو جُخَادب... كله ضَرْبٌ من الجنادب والجراد، أخضر طويل الرجلين... وقيل: هو ضَخْم، أغبر، أحرش، قال:

إذا صنعت أمُّ الفضيل طعامها ... إذا خُنْفُساء ضخمة و(جُخادبُ)"[١].

وعلق الشيخ على كلام ابن منظور، قال: "أقول: كل الصفات هذه صحيحة له، فبعضه أخضر، وبعضه أغبر، وهو أحرش بمعنى خشن الملمس، إلَّا قوله طويل الرجلين، فهو غير صحيح، فإن رجلي (الجندب) ليستا طويلتين"[٢]. وقول الشيخ صحيح فهكذا رأيته وخبرته وكان الأخضر يلازم شجر العشر.

٦)الوصف اللغوي والتحليل:

قبل أن يشرع الشيخ في الكلام على المواقع الجغرافية كتب عن بعض الظواهر البارزة في اللغة المحكية في نجد عامة والقصيم خاصة[٣]. ونجده يبسط مقدمة بين يدي (معجم الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة) يبحث فيها جملة من القضايا المهمة بحثًا لغويًّا جديرًا بالتأمل والاستفادة به، فناقش (المراد بالعامي)، و(العامي الفصيح)، و(معجزة اللغة العربية)، (جمع الألفاظ العامية)، و(توثيق الكلمات العامية)، و(كتابة الشعر العامي)، و(كتابة الألفاظ العامية)، و(الكلمات الفصيحة)[٤].

---

(١) محمد بن ناصر العبودي، معجم الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة، ٢/ ١١٢.

(٢) محمد بن ناصر العبودي، معجم الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة، ٢/ ١١٢.

(٣) محمد بن ناصر العبودي، معجم بلاد القصيم، ١/ ٨١-٨٨.

(٤) محمد بن ناصر العبودي، معجم الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة، ١/ ٦-٢٢.

والشيخ العبودي مدرك لأهمية عمله، يقول عن الألفاظ الدارجة "لنثبت بذلك أن أسلافنا العرب كانوا قد استعملوها منذ قرون طويلة، وأنها بقيت حية نامية مستعملة في بلادنا حتى الوقت الحاضر، أو ما قبل ذلك بقليل مما عرفناه وعاصرناه. وذلك خلاف الكلمات الفصيحة التي ذكرتها المعاجم وكتب اللغة؛ ولكن العامة من بني قومنا لا يعرفونها؛ فضلًا عن أن يكونوا يستعملونها"(١).

دراسة العبودي للغة ذات بعدين أفقي حاضر وعمودي تاريخي، وتظهر ثمرة هذه الدراسة حين يراد أن يؤرخ للكلم العربية، وعبر عن ذلك في قوله "فرب لفظ مات في كل اللغات السامية الحية المعروفة، ولكنه بقي في لغة العامة في بلادنا يدل على عروبته ومن ثَمَّ سامِيَّته، ويؤكدها تدوينه قبل ألف سنة في كتب اللغة ودواوينها العربية"(٢).

ومن تحليله اللغوي قوله "تقول: البر فيه عشب قليل (تماكنه) قبل يرعى أي حشه قبل أن يرعاه الناس و(تماكن) هنا فعل أمر، وهي تأتي فعلًا ماضيًا كقولنا: تماكن زوجته الكبيرة وجاب الله له منها ولد"(٣). ومنه بيان الجمع ومفرده، كما في حديثه عن الطائر **(البَصْوَة) قال** "وكانوا يصطادونه مع الدُّخّل والطيور المهاجرة الأخرى بالمفاقيس- جمع مفقاس- وهي شراك صغيرة توضع على البرك التي فيها ماء، جمع البصوة: بصو"(٤)، والبصو اسم جنس جمعي ولكن المعجميين يعدونه جمعًا. ومنه بيان التفسير بالتصغير،

(١) محمد بن ناصر العبودي، معجم الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة، ١/ ١٠.

(٢) محمد بن ناصر العبودي، معجم الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة، ١/ ٢١.

(٣) محمد بن ناصر العبودي، معجم الحيوان عند العامة، ٢/ ٤٧٨.

(٤) محمد بن ناصر العبودي، معجم الحيوان عند العامة، ١/ ٩٢.

قال عن (**سْرَيّرة**) "صيغة تصغير (سَريرَة) ضد علانية. مزارع قديمة للحبوب والقمح في ناحية المذنب إلى الشرق من مدينة المذنب وقد تركت زراعتها منذ سنوات"[١].

وتفسيره اللغوي وارد؛ غير أنّ الاسم مأخوذ من لقب جَدّ من أحيا هذه الأرض وهو (سْريّر) وكان في طفولته يلثغ بالصاد فينطقها سينًا، فكان يقول أبي سْرَيِّر أي صريّر، وكانوا يصرون التمر في صرار.

وربما أجاءه حرصه على التأصيل اللغوي إلى أن يحلل اللفظ في كتابة النص على أصله الذي يراه، إذ نعرف المثلين (أم سالم قبل تِجِيب سالم وش اسمها)، و(البردان يِجِيب حطب)، هكذا ينطق الناس (يجيب) الذي ماضيه (جاب) والمبني للمفعول منهما (يْجاب/ جِيب)؛ ولكنّ الشيخ كتب الفعل (تجيب) و(يجيب) حسب الأصل اللغوي قبل النحت، فجاء هكذا:

"٢٩٨-(أمْ سالم قبل تجي بْسَالم وِش اسمها)

أمّ سالم: كنية العصفور الصحراوي الذي هو المكّاء في الفصحى.

و(وش) أي شيء: وهذا من أمثال البادية يأتون به للتهكم ممن يَدَّعي العلم بالأشياء يريدون أنك إذا كنت تدعي المعرفة فاعرف ما اسم (أم سالم) قبل أن تأتي بسالم فتكنى به!"[٢]. أراد الشيخ أن (تجيب) منحوت من الفعل (تجيء) بعد حذف همزته وإلصاق الباء من (بسالم) بعد فصلها.

(١) محمد بن ناصر العبودي، معجم بلاد القصيم، ٣/ ١١٥١.

(٢) محمد بن ناصر العبودي، الأمثال العامية في نجد، ١/ ٢١٣.

"٣٧٤-(البردان يجي بْحَطَبْ)

المعنى: أنَّ المَبْرُودَ يضطره البرد إلى أن يأتي بحطب فيضعه على النار ليستدفئ به. يضرب على أنَّ مَنِ احتاج إلى شيء فإن حاجته تضطره إلى أن يسعى إلى تحصيله"(١). والناس لا يقفون على تجي بل على الباء ملصقة بالفعل تجي.

ولم يقف تحليل الشيخ ومعالجته اللغوية عند الكلمات العربية بل تعدى ذلك إلى الكلمات الدخيلة من اللغات الأجنبية، والطريف أنه صنف معجمًا لهذه الكلمات الدخيلة وجعله كالمعاجم العربية ذات المداخل التي هي جذور اللفظ وكان الأجدى أن يرتب المعجم ترتيبًا هجائيًّا لأن الدخيل ليس كالأصيل المتصرف، ومن أمثلة ما جاء من الدخيل قوله:

"**ب ا ص**

(**الباص**): جواز السفر، هكذا كانوا يسمونه أول ما عرفوه أخذًا من اسمه بالإنكليزية بار بورت (Passport). نقلت العامة المقطع الأول منه وهو (باص) فعربته باللفظ (باص)، ومعناها بالإنكليزية: مرَّ، وقد قلَّ استعمال هذا اللفظ حتى مات أو كاد، واستعاض الناس عنه بالكلمة العربية (جواز). قال أحمد الناصر السكران من ألفية:

الصاد ما لي من هوى البيض مخلاص ... أيضا ولا لي تابعيّه ولا (باص)"(٢).

---

(١) محمد بن ناصر العبودي، الأمثال العامية في نجد، ١/ ٢٥٦.

(٢) محمد بن ناصر العبودي، معجم الكلمات الدخيلة في لغتنا الدارجة، ١/ ٢٢.

وأول مرة سمعت كلمة (الباص) في قريتنا حين تهامس الناس بأن (علي السليمان) ابن خالي (قص باص يبي يروح للكويت) وكان الكويت في ذلك قبلة الشباب من طلاب العمل.

وتحت هذا المدخل قال الشيخ "و(الباص): أيضًا الحافلة، وهي السيارة الكبيرة التي تكون كالغرفة الكبيرة قد صفت فيها المقاعد الكثيرة والوثيرة صفوفًا للركاب"(١). ولكن الشيخ لم يبين أصله الإنجليزي (bus).

والحق أن جهود الشيخ العلامة محمد العبودي اللغوية متنوعة متعددة هي مجال خصب لعدد من دراسات الباحثين.

(١) محمد بن ناصر العبودي، معجم الكلمات الدخيلة في لغتنا الدارجة، ١/ ٢٣.

مرزوق وصْنيتان وتِنباك*

لن تجد غرابة في الاسم مرزوق لشيوعه بين أسماء الناس اليوم؛ ولن يشغلك أمره فأنت تعرف أنه منقول من اسم المفعول من الفعل (رَزَقَ) أو من الرزق، وأنه إنما سمي به رجاء أن يكون له نصيب من الرزق، وهكذا كان؛ فقد أنعم الله عليه، فرزقه الخلق والعلم والمال والولد؛ ولكنك ستقف عند (صنيتان) شيئًا، فهو ليس من أسماء الناس الشائعة اليوم؛ ولكنه كان اسمًا بدويًا مشهورًا قبل نصف قرن، وهو من جملة أسماء مشتقة من الفعل (صَنَتَ) وهو استعمال أهل الجزيرة للفعل (نَصَتَ) بتقديم الصاد على النون، قال ابن سيدة "نَصَتَ الرَّجُلُ يَنْصِتُ نَصْتًا وأنْصَتَ وهي أعْلَى سَكَتَ وفي التنزيل ﴿فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ [الأعراف ٢٠٤]"[١]. ومن هذه الأسماء الوصف (صَنَتٌ)، و(صنّات)، و(صنتا) و(صنتاء)، و(صنتين)، و(مصنت)، و(صنتان)، الذي لعله أخذ منه بالتصغير (صنيتان)، وكان من عادة البدو استنفاد إمكانات الفعل الاشتقاقية، أما (تِنباك) بكسر التاء فهو أقل من (صنيتان) شيوعًا بل لعله من الأسماء النادرة جدًا، و"التنباك في التركية (تومباق) و(طومباق) وهي من أصل هندي تطلق على النحاس أو البرنز المخلوط بالذهب أو المطلي به"[٢]. ونقل قول الجبرتي "وهو جالس في ديوانهم المخصوص بالقرب من سويقة اللالا وهو يشرب في النارجيلة التنباك"[٣]. وعلق عليه

* نشر في النشرة الدورية (جسور)، مركز حمد الجاسر الثقافي، العدد ٢٦، جمادى الآخرة ١٤٤١هـ، ص٣.

(١) معجم المحكم والمحيط الأعظم لابن سيدة، ٨/ ٢٩٦.

(٢) تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل لأحمد السعيد سليمان، دار المعارف/ القاهرة، ١٩٧٩م. ص٥٥.

(٣) عجائب الآثار في التراجم والأخبار لعبدالرحمن بن حسن الجبرتي، تحقيق: عبدالرحيم عبدالرحمن عبد الرحيم، دار الكتب والوثائق القومية/ القاهرة، ١٩٩٨م. ٤/ ٣٣٦.

"قلت: إن كان التنباك في العبارة من صفات النارجيلة فهو هذا المعدن الذي تحدثنا عنه وإن كان مفعولًا به فهو من الكلمة الفرنسية Tabac بمعنى التبغ، وقد دخلت هذه الكلمة في التركية عن الطليانية (تَنباكو) بفتح التاء. ودخلت العربية بصيغة (تنباك) بضم التاء"(١). وكان التنباك مما أولع به بعض شباب البادية تقليدًا للأتراك، وهم قد يسمون أبناءهم على ما يستطرفونه من ألفاظ البيئة المحيطة من شجر وحجر وطير وزواحف ووحوش.

عرفت مرزوقًا أول ما عرفته حين كان طالبًا في قسم اللغة العربية، في كلية الآداب (كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية) الآن، عرفته برسمه لا باسمه يرافقه زميل له ذو سمْت ووقار، يدخلان الفصل معًا ويخرجان معًا، كانا مرزوق بن صنيتان بن تنباك وعوض بن حمد القوزي، عرفت ذلك بعد عودتي من البعثة، أما قبل ذلك فقد كانا طالبين في القسم وكنت معيدًا فيه، وأذكر أن مرزوقًا تقدم إليّ يومًا وكنت خارجًا من مكتب العميد أستاذنا عبدالرحمن الطيب الأنصاري، سألني عن معاني حروف الجرّ أين يجد حديثًا عنها، لا أدري لم قصدني بهذا ولم يتوجه به إلى أستاذنا حسن شاذلي فرهود رحمه الله، لم يخطر ببالي هذا الخاطر في تلك الساعة فقد كان لدي ما يشغلني، ولكني أذكر أني تناولت ورقة صغيرة وكتبت عليها (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام)، لا بد أنها ثقة منه بي جعلها الله، وهذا ما سمعته منه غير مرة بعد أن أصبحنا أعضاء تدريس في قسم اللغة العربية.

(١) تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل لأحمد السعيد سليمان، ص ٥٥-٥٦.

كان مرزوقًا دماثةَ الخلق، يلقاك مبتسمًا فتحس ألفته، ولا تجد حرجًا من مخاطبته أو محاورته، كنا جارين في سكن الجامعة الجديد، وفي ليلة أحسست ألَمًا شديدًا في أسفل بطني وتعرقًا غير معتاد ففزعت إليه لينقلني إلى المستشفى، ومن غير تردد أو تلبث ترك كل شيء ومضى بي بسيارته إلى إسعاف مستشفى الملك خالد، وبقي معي حتى فحصت، وتبين أنها حصاة تحركت من الكلية فكان لحركتها كل ذلك الألم.

درس مرزوق التراث العربي شعره ونثره وتمثله تمثلًا جعله في منزلة عالية من نفسه، جعلته أميل إلى التعصب له وللحياة التي كانت تمثله، فاللغة الفصيحة التي هي نتاج تخير واصطفاء لأعلى خصائص لهجات القوم في ذلك الزمان والمكان هي عنده المقدمَة التي لا تهاون في الذب عنها، ورأى الناس كيف كتب كتابًا كبيرًا يفضح فيه التوجه الإعلامي نحو نشر الأدب العامي، هو كتابه (الفصحى ونظرية الفكر العامي) الذي طار ذكره في الآفاق، ونالته به جائزة مكتب التربية العربي لدول الخليج عام ١٤٠٨هـ، وهو في هذا الكتاب لا يهاجم الأدب العامي، وهو من العارفين به المتذوقيه، ولكنه لا يرضى أن ينشر ويشهر حتى ينافس العربية الفصيحة لغة الدين والمسلمين والعرب وخزانة التراث العربي الذي هو به حفيّ، وأخطر من ذلك تمكين ما يمثله هذا الأدب العامي من فكر ضيق لا يناسب إنسان هذا العصر.

ونرى شغف مرزوق بالتراث يظهر في إشرافه على موسوعة ضخمة هي "موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية"، كان لي شرف مراجعة شيء من أعمالها مراجعة لغوية، والقيم التي زوتها تلك الموسوعة هي قيم بيئات وظروف مختلفة عن البيئات الحاضرة، وظروفها مختلفة اختلافًا ظاهرًا، والأخلاق نسبية تحكمها ظروف المكان والزمان، فما هو من الأخلاق في مكان أو زمان قد يكون نقيض الأخلاق في مكان

أو زمان آخر، ولكن هذا المحتوى، وافقتَه أو خالفتَ عن شيء منه، لا يعاند الغرض النبيل الذي من أجله صُنعت تلك الموسوعة، وهو أننا لسنا أمة جاهلية بل لنا من القيم ومكارم الأخلاق ما يستحق الذكر والتأمل والاقتداء بخير ما فيها.

ولعل من هذه الرغبة القوية لديه للنظر إلى التراث بعين الرضا والتطهير أن ذهب إلى معالجة قضية وأْد البنات، فكتب وحاضر في محاولة تغيير فهمنا لمعنى الوأْد، وفي ذلك كتب كتابه (الوأْد عند العرب بين الوهم والحقيقة)، وليس عبثًا تقديم الوهم وتأخير الحقيقة، وهو لا ينكر الوأد؛ ولكنه يتوقف في معنى الموؤودة، فيوسع دائرة فهمه التي حصرها المفسرون والمتأولون في البنت، قال "إن هذه العادات المستحكمة عند العرب تحمل المعنى الذي أشار إليه القرآن وعبر عنه بالدس بالتراب مجازًا يستعمله الناس، وليس حقيقة الأمر". والموؤودة في نظره هي النفس بعامة من ذكر وأنثى، وهي التي قتْلها بغير حقّ هو كقتل الناس جميعًا.

وقضية معالجة الوأد من القضايا المعبرة عن الشجاعة والجراءة في الحق اتصف بها مرزوق، ونراها تظهر في آراء أخرى تعاند المألوف وتصادم السائد، من ذلك رأيه في إغلاق الأسواق لكل صلاة، يقول "أرى أن إغلاق المحالّ في المدن الكبرى ذات المصالح الاقتصادية الضخمة مثل الرياض وجدة لا يستند إلى دليل شرعي".

كنت أسمع عن أحديّة المبارك، ولكني لم أشهدها مرّة ولا أعرف مكانها، حتى هاتفني أخي مرزوق وأبلغني بلطف ومودة رغبة إدارة الأحدية في مشاركتي فلم أجد بدًّا من الموافقة، وذهبت في الموعد لأتحدث عن تجربتي في دراسة أسماء الناس في المملكة العربية السعودية.

ترسخت مع الأيام والزمالة في القسم معرفتي بأخي مرزوق، وكان من أهم ما وثق صلاتنا مزاملتنا معًا للدكتور عوض القوزي الذي كان زميله وصديق عمره، درسا في الكلية وابتعثا ثم عادا فتزاملا وتلازما؛ إذ إنهما قد يشاركان معًا في المؤتمر الواحد، لقيتهما معًا في غير مؤتمر من مؤتمرات إندونيسيا، وكنت أنا وعوض معلمي نحو وصرف، حتى إذا توفاه الله رأيت جزع أخي مرزوق الذي لم تخفه قوة تجمله، ورأيته يفتح باب بيته للمعزين، ثم هو بعد ذلك يتولى شؤون مكتبه في القسم، فيلملم أوراقه ويودع كتبه في كراتين ليحملها إلى بيت أهل صاحبه، وهو يشارك في ندوة تأبينه التي نظمت في مجلس حمد الجاسر الثقافي، وندوة التأبين التي عقدها قسم اللغة العربية، ولما اقتُرحت فكرة كتابة كتاب تذكاري يصدره القسم عن صاحبه كان من المبادرين إلى تنفيذ ذلك، ولكن هذه الدعوة لم تبلغ غايتها، ولم تجد لها من الروافد ما يقيم صلبها، ولم ينشط القسم إلى فعل ذلك كما لم ينشط من قبل في حق نحوي سابق هو أستاذنا جميعًا حسن شاذلي فرهود، فقد عُرض على القسم أن ينشر كتابًا تكريميًا فلم يلق العرض أذنًا صاغية، وكاد أمر الكتاب عن عوض رحمه الله ينسى أمره ويطوى خبره، ولكني مضيت إلى أخي مرزوق وراجعته في أمر الكتاب وأن نشترك معًا في إصداره على حسابنا، فلم يتردد في الموافقة وشجعني على المضي في ذلك، وأُعلن في مجلس القسم غير مرة عن هذا، ودعي الزملاء للمشاركة، ومضت الأيام دون أن نتلقى سوى أشياء قليلة، ولكن مضينا في أمرنا حتى اجتمعت مادة الكتاب، وطلب مني مرزوق الاطلاع على مسودة العمل وزارني في مكتبي لذلك، فلما رأى ما أنجزت من جمع مفردات الكتاب وصفّه أعجبه ذلك وأكبره، وطلب أن أكرمه بأن ينفرد بالإنفاق على الكتاب فكان.

المُشَوِّح سادن العلم والعلماء*

تذكرني ملازمة الشيخ الدكتور محمد بن عبدالله المشوح[١] للشيخ محمد بن ناصر العبودي بملازمة ابن جني لشيخه الفارسي على اختلاف في الأسباب والأغراض؛ إذ ملازمة المشوح للعبودي ملازمة إعجاب بالشيخ وإدراك مدى حاجة الشيخ إليه؛ وأقصد بهذه الملازمة ما شهدته من جلوس المشوح معه في اللقاءات كاللقاء الذي كان في قسم اللغة العربية في جامعة الملك سعود (١٤٣٧هـ/ ٢٠١٥م)، فالدكتور المشوح هو من قدم الشيخ وأدار اللقاء أحسن إدارة وهو لقاء بين العبودي وأساتذة وأستاذات القسم وطلابها وطالباتها، وكانت التعليقات كثيرة والأسئلة غزيرة ولكن الدكتور المشوح بلطفه وحسن تأتيه استطاع أن يدير اللقاء بمهارة واقتدار. وفي كل يوم اثنين في منزل الشيخ العبودي نرى الدكتور المشوح حاضرًا يجلس على كرسيّ في مقابل كرسيّ الشيخ وهو من يتلقى أسئلة الحاضرين مسموعة أو مكتوبة فيجهر بها أمام الشيخ العبودي الذي كان يعاني من ضعف في سمعه ولولا جهود المشوح لتعذر التفاعل في ذلك المجلس؛ إذ له قدرة على رفع صوته في درجة تُسمع الشيخ من دون أن تؤذيه، ورأيته ربما اقترح على

---

* نشر في الجزيرة الثقافية، الجمعة/السبت ١٨-١٩شعبان ١٤٤٤هـ/ ١٠ مارس ٢٠٢٣م، ع ١٨٢٦٧.

(١) قال العبودي في معجم أسر بريدة (٢٠/ ٧) "الـمْشَوِّح: بإسكان الميم وفتح الشين فواو مشددة مكسورة وآخره حاء". وكتبت في (معجم أسماء الناس في المملكة العربية السعودية) عن الاسم (مْشَوح) "أي مُشَوِّح، منقول من اسم الفاعل (مُفَعِّل) من الفعل (شَوَّحَ). جاء في (تاج العروس، ٥١١/٦) "شَوَّحَ على الأَمر تَشْوِيحًا: أَنْكَرَ". وقد يكون من الشوح وهو في بعض لهجات الجزيرة بمعنى السير السريع، جاء في (كلمات قضت) "(الشوح): السير السريع، أي العَدْوُ والجري"، وبكسر العين منه ضبطه العبودي في (معجم أسر بريدة) قال "بإسكان الميم وفتح الشين فواو مشددة مكسورة وآخره حاء"، ولكني سمعتهم يفتحون الواو منه حتى العبودي سمعته يفتحها، ولعلهم يريدون بالفتح التخفيف".

الشيخ التحدث عن موضوع رآه مهمًّا أو يطرح سؤالًا يقدر أنه مما يهتم به الحاضرون. والدكتور المشوح يبذل جهده هذا خدمة للعلم والمعرفة حتى أراه خليقًا بأن يوصف بأنه سادن للعلم والعلماء.

كتب أحمد بن عبدالمحسن العساف في مدونته (مقالات وقراءات) مقالًا عنوانه (محمد المشوح: عبق على عبق!)، جاء فيه "كان أحد عوامل انتشار علم الفقيه والرحالة معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي، إذ طبع جلّ كتبه أو أعاد طباعتها ليعلم الناس أن في ديارنا من يؤلف كتبًا نافعة تتجاوز المئتين في العناوين والمئات في العدد، واستضاف المشوح الشيخ العبودي عبر إذاعة القرآن الكريم في برنامج أظنه كان يذاع كلّ ثلاثاء، يحكي فيه الشيخ رحلاته التي تمثل قوة ناعمة للمملكة تتوافق مع موقعها وقدرها وما ينتظره الناس منها، وكم أتمنى أن يعاد بث هذه الحلقات بصوت الشيخ الجذاب، وأن تتاح مادتها عبر المنصات الصوتية الكثيرة. أيضًا أبرز د.المشوح شيخه العبودي في المحافل العربية، فأقيمت له ندوة كبرى في المغرب بالتعاون بين الثلوثية وجامعة القاضي عياض؛ حتى يقف المغاربة على جهود إخوانهم المشارقة في العلم والتأليف، وحضرها معالي الوزير والسفير آنذاك د.عبدالعزيز خوجه مع جمع من العلماء والأدباء والمسؤولين، وهي ثاني ندوة تعقدها الثلوثية عن عميد الرحالين العرب حسبما وصفه الكاتب المشوح في سفره الضخم الذي ألّفه عنه"(١).

(١) ونشر المقال أيضًا في الجزيرة الثقافية في الجمعة/السبت ١٨-١٩ شعبان ١٤٤٤هـ/ ١٠ مارس ٢٠٢٣م. ع.١٨٢٦٧.

برامج اللقاءات

ومن شواهد سدانته للعلم والعلماء ما شهد به الشيخ العبودي في ترجمته الضافية التي كتبها عن الشيخ الدكتور محمد بن عبدالله المشوح، قال "ومنهم [أي المشوح] الأستاذ الشهير الدكتور محمد بن عبد الله بن إبراهيم المشوح وهو الذي يقدم برنامجي في الإذاعة (حول العالم: مشاهد ورحلات) الذي ألقيت فيه حتى الآن ١٤٢٨هـ - ٢٣٥ حلقة، وهو مستمر منذ عدة سنوات. وكان الدكتور محمد المشوح، وهو اجتماعي طُلعة، له اتصالات بعِلية القوم وكبارهم حتى الوزراء، اتصل بي ورغب إليَّ، بل ألحّ بالطلب أن أسجل في حلقات تتضمن ذكرياتي عن بعض المشايخ والأعمال التي قمت بها. فاستجبت لرغبته وسجل عدة حلقات تبين لي فيما بعد أنها جزء من برنامج له كان يقدمه للإذاعة السعودية عن العلماء المعاصرين وأحاديثهم. وكان هذا البرنامج مفتاحًا بل مدخلًا للوصول إلى البرنامج الذي صار بعد ذلك حديث الناس، وتابعه المثقفون والعامة وهو (حول العالم: مشاهد ورحلات) وهو مقصور عليّ ألقيه كل أسبوع ويقدمه الدكتور محمد المشوح. ولولا إلحاحه في كثير من الأحيان عليَّ لما كان استمر هذا البرنامج، لأنني أكون مشغولًا أحيانًا بالسفر أو بطبع بعض الكتب أو إعداد كتب أخرى للطبع، ولكنه يلح عليّ ويثابر على ذلك حتى يحصل على الحلقات الجديدة. والحقيقة أنني لم أكن أتصور أن يكون للبرنامج هذا القبول من الناس؛ ولكن تبين لي أن مرجع ذلك إلى كون الناس يحبون أن يسمعوا الحديث عن إخوانهم المسلمين في العالم، إضافة إلى المعلومات العامة عن البلاد التي أتكلم عليها، وما كنت لاقيت فيها من أشياء سارة أو أشياء غير مشجعة للدعوة والدعاة. وقد مضى على بدء هذا البرنامج حتى مراجعة هذه السطور في عام ١٤٢٥ خمس سنوات، وأشهر ومازال متصلًا، وأكثر

علينا الناس في طلب تسجيلاته فكانوا يسألون عن الحصول على تسجيلات لحلقاته فأخبرهم أنني لا أعتني بذلك، ولا أهتم به، وهذا هو الواقع، وأحيلهم على الدكتور المشوح"(١).

ندوة الثلوثية

قال الشيخ العبودي "وأذكر أن الدكتور محمد المشوح بني له بيتًا واسعًا، بل قصرًا في شمال الرياض، وجعل فيه ما يشبه الندوة في مساء الثلاثاء من كل أسبوعين، وقد حضرت إحداها، وكان ضيفه الذي تكلم فيها هو الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وزير الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، وقد تكلم الوزير في الندوة التي حضرها جمع من العلماء والأدباء والإذاعة ورجال الصحافة. ثم صرت ضيفًا على إحدى جلساتها بعد ذلك. ثم تواصلت جلساتها واستمرت سنوات، وعرفت باسم (ثلوثية) المشوح، إضافة إلى كونها في مساء الثلوث وهو الثلاثاء. ولم تكن مجرد مجلس علمي، بل كانت مجلسًا أشبه بمجالس الملوك، يَذبح فيها الأستاذ المشوح في كل ليلة (ثلوثية) أربع ذبائح إلى ست ذبائح، مع جميع ما يتبعها من فاخر الطعام، وغالي الشراب، مما تعجز عن السخاء به نفوس كثير من الأغنياء بل الأثرياء"(٢). وقال أيضًا "وقد كانت الفكرة في بدايتها هي إقامة مجلس ثقافي عام تستضاف فيه إحدى الشخصيات الثقافية والفكرية المعروفة من الذين لهم اهتمام أو مشاركة في العلم والأدب والفكر والثقافة متحدثًا عن تجربته العلمية أو سيرة حياته الشخصية أو يتم اختيار

---

(١) معجم أسر بريدة للعبودي، ٢٠/ ١٧-١٨.

(٢) معجم أسر بريدة للعبودي، ٢٠/ ١٨.

موضوع سهل التناول والاستماع إليه من قبل الحضور؛ ذلك أن التباين في الحضور من الضيوف يستلزم مراعاة الفوارق الفكرية والثقافية بعيدًا عن المحاضرات العلمية المتخصصة التي قد يكون روّادها من المهتمين في ذلك الجانب العلمي فقط. كما عنيت (الثلوثية) بالمستجدات الثقافية العامة والشأن والحدث الاجتماعي وسعت إلى استضافة بعض أولئك من لهم مشاركة أو الإسهام في تلك الشؤون. وتسعى الثلوثية إلى منحى آخر يتضمن رمزية الاحتفال والتكريم للشخصية التي تستضيفها عبر تقديمه للحضور وبيان سيرته الذاتية، وجهوده العلمية، وفي نهاية اللقاء يتم تقديم درع تذكاري له، بهذه المناسبة وتناول طعام العشاء. كما دأبت الثلوثية على إتاحة أكبر قدر ممكن من المداخلات والتعليقات من قبل الحاضرين، إضافة إلى الاستماع إلى الأسئلة وعدم التردد في الطرح الجاد والمفيد"[١]. ثم ذكر أهداف الثلوثية نقلًا عن الدكتور المشوح. وعدد طائفة من المكرمين في تلك الندوة منهم أستاذي منصور الحازمي وأحمد الضبيب. وشهدنا بعد ذلك تكريم أستاذينا محمد الهدلق ومحمد خير البقاعي، وكان لي شرف التكريم في هذه الندوة المباركة في ٩/ ٠٤/ ١٤٣٧ هـ. وصحبني في تلك الليلة أخي الحبيب محمد أطال الله عمره.

تأليف الكتب وكتابة المقالات

أما تأليف الكتب فقد عرض له الشيخ العبودي قال "ومن مؤلفات الأستاذ الدكتور محمد بن عبد الله المشوح صاحب الثلوثية كتاب: (في موكب الدعوة) ضمنه المقابلات والأحاديث التي سجلها لطائفة كبيرة من العلماء في المملكة العربية السعودية، وأكثرهم

---

(١) معجم أسر بريدة للعبودي٢٠/ ١٩-٢٠.

لاقوا ربهم، ولذلك صار لهذه الأحاديث التي سجلوها للأخ الدكتور محمد المشوح أهمية كبيرة... (مفردات) مطبوع - ١٤٢٢ هـ - وهو عبارة عن مقالات فكرية واجتماعية منوعة. (عميد الرحالين محمد بن ناصر العبودي حياته وإسهاماته وجهوده)، مطبوع ١٤٢٤هـ"[١]. ومن كتبه: (فقيد الثقافة والتاريخ د عبد الله العسكر) ٢٠١٨/١١/٠٧م. (مقام المحاماة) صدر عام ٢٠١٤م. ومن مقالاته ما أكرمني به وهو (لماذا دمعت عينا «أبي أوس»؟) نشر في المجلة الثقافية، العدد ٥٧٣-صحيفة الجزيرة- الرياض، السبت ٧ رجب ١٤٣٩هـ/ ٢٤مارس (آذار) ٢٠١٨م العدد ١٦٦١٣.

دار النشر (الثلوثية)

ومن سدانته للعلم والعلماء هذه الدار، قال أحمد بن عبدالمحسن العساف في مقاله الذي ذكرته آنفًا "كما نشرت دار الثلوثية عددًا كبيرًا من الكتب والدراسات الخاصة بتاريخ المملكة، وسير شخصياتها، ومواضعها، والرحلات إليها، ووثائقها، وشؤون الحرمين، أو سعى الناشر المثقف إلى جلب الكتب الخاصة بهذه العلوم من المعارض العربية إلى مكتبته الزكية بمحتواها". وقد أورد الشيخ العبودي قصائد مدح في هذه الدار المباركة التي تولت نشر كثير من كتبه ومعجماته. وأذكر أنه في ليلة تكريمي خرج معي الدكتور المشوح يودعني محتملًا على كتفه كرتونًا ضخمًا ضم عددًا من إصدارات الثلوثية منها بعض مؤلفات الشيخ العبودي ومعاجمه.

---

(١) معجم أسر بريدة للعبودي، ٢٠/ ٢٥.

مشاركة المشوح في معارض الكتب

كتب أحمد بن عبدالمحسن العساف في مقاله السابق "عن مشاركاته اللافتة في معارض الكتب"، وأن "لركنه حيوية جعلت الساسة يقصدونه بالزيارة كما حدث في العراق، ولركنه مزية أخرى تتجاوز عرض الكتب إلى توافر القهوة العربية، وتمر السكري، والمخبوزات القصيمية، ومعها البشاشة المعهودة من د.المشوح". وقد رأيت ما وصفه العساف في معرض الرياض.

وما أجمل ما ختم به أحمد بن عبدالمحسن العساف مقاله عنه، قال "إن د.محمد المشوح بما وهبه الله من خصال، وبما فتح عليه من أبواب الثقافة مشافهة ومكاتبة، وبما له من علاقات داخلية وإقليمية، مع المعرفة البصيرة بهذا المجال وما يدور فيه، لجدير بأن يكون من الرموز التي يشار إليها بالبنان كي تعبر عن **عراقة مجتمعنا**، وتدفع إلى واجهة تمثيل بلادنا وثقافتنا، للتعريف بتاريخها وشعبها ومكوناتها، فالإنسان الحصيف لا يسوء أهله، ولا يجلب المضرة لبلاده، بل يكون سبب خير وسعادة، ومفخرة لمن ينتسب إليهم، وهكذا هو صاحبنا الذي أضاف للثلاثاء عبق العلم والكرم".

النحويّ دَرْوَد*

نحوي أندلسي لم تنله شهرة غيره من الأندلسيين على الرغم من تقدمه؛ إذ نجد اسمه يتردد في كتب المتأخرين كابن حيان ثم السيوطي المتابع له، قال الزُّبيدي (٣٧٩هـ) "هو عبد الله بن سليمان بن المنذر بن عبد الله بن سالم المكفوف. وكان له حظ جزيل من العربية، وكان يَقْرِض الشعر، ويمدح الملوك، وله في ذلك قصائد حسان، واستأدبه أمير المؤمنين الناصر لدين الله -رضي الله عنه- لولده. وتوفي سنة أربع وعشرين وثلاثمئة"(١)، وذكر السيوطي أنه "عبد الله بن سُلَيْمَان بن الْمُنْذر بن عبد الله بن سَالم الأندلسي الْقُرْطُبِيّ النَّحْوِيّ الملقب بدَرْوَد، بِفَتْح الدَّال وَالْوَاو بَينهمَا رَاء سَاكِنة، وَرُبمَا صغر فَقيل: دُرَيْوِد. قَالَ السلَفِي: مَعْرُوف بالنحو وَالْأَدب، وَكَانَ أعمى، شرح كتاب الْكسَائي، وَله شعر كثير، مِنْهُ:

تَقول من للعمى بالْحسنِ قلت لَهَا ... كفـــى عَـــن الله فِي تَصْدِيقه الْخَبَر

الْقلب يدْرك مَا لَا عين تُدْرِكهُ ... وَالْحسن مَا استحسنته النَّفس لَا الْبَصَر

وَمَا الْعُيُون الَّتِي تعمى إِذا نظرت ... بل الْقُلُوب الَّتِي يعمى بهَا النّظر"(٢).

---

* نشر في الجزيرة الثقافية في الجمعة/السبت ٢٧-٢٨ جمادى الآخرة ١٤٤٤هـ/ ٢٠ يناير ٢٠٢٣م. ع١٨٢٢٥.

(١) طبقات النحويين واللغويين للزُّبيدي؛ محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف/ القاهرة، ١٩٨٤م. ص: ٢٩٨. وتذكر بعض كتب التراجم اسمًا آخر هو مُحَمَّد بن إصبع الْقُرْطُبِيّ النَّحْوِيّ.

(٢) السيوطي، بغية الوعاة، ٢/ ٤٤-٤٥.

ولعل هذا الشرح علة شهرته، حين كتب خطّاب الماردي النحوي الأندلسي (كتاب الترشيح) الذي عارض فيه شرح درود لكتاب الكسائي ولخص أبو حيان السّفر الأول من كتاب الترشيح في كتابه (تذكرة النحاة)[١]. قال الشاعر "ويبدو لي أن دريودًا نهج نَهْج الكوفيين في شرحه لكتاب الكسائي، فدفع هذا خطّابًا إلى معارضته بكتاب الترشيح، والانتصار لمذهب سيبويه والبصريين"[٢].

ومن أقواله ما أورده السيوطي، قال "فَإِن وَقعت [عسى] خبر اسْم سَابق جَازَ الْإِضْمَار وَتَركه قَالَ دريود: وَهُوَ أَجود"[٣]، نَحْو زيد عَسى أَن يخرج؛ ولذلك قال السيوطي: "والتجرد أَجود كَمَا قَالَ دريود"[٤].

وفاعل (نعم) أما ظاهر، نحو: نعم الرجل زيد، "أَو يكون ضميرًا مستترًا خلافًا للكسائي فِي مَنعه ذَلِك قَالَ فِي نَحْو (نعم رجلا زيد): الْفَاعِل هُوَ زيد والمنصوب حَال وَتَبعهُ دريود"[٥].

---

(١) حسن موسى الشاعر، خطاب الماردي ومنهجه في النحو، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العددان التاسع والسبعون والثمانون، السنة العشرون- رجب-ذوالحجة ١٤٠٨هـ، الموافقه ١٩٨٨م. ص١١٣. وقد سطا على هذا العمل الدكتور عمر أحمد محمد شحات ونشره بعنوان (خطاب الماردي وآراؤه النحوية) في مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة، جامعة الأزهر - كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة، عام ٢٠٠١م، ع ١٩، ج ٢، ص ص ٨٩٦ — ٨٣٤.

(٢) الشاعر، خطاب الماردي، ص١١٨.

(٣) السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ١/ ٤٧٨.

(٤) السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ١/ ٤٧٨.

(٥) السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ٣/ ٣٠.

وقال السيوطي عن (حبّذا) "وَقَالَ دريود (ذَا) زَائِدَة وَلَيْسَت اسْمًا مشارًا بِهِ بِدَلِيل حذفهَا من قَوْله: (**وحبَّ دِينا** ...)"[١].

ونجد عددًا من أقوال دريود التي ذكرها خطاب في كتابه وردّها مبثوثة في كتب أبي حيان، منها إجازته جمع (طلحة) جمع مذكر سالمًا وهو ما يمنعه البصريون "خلافًا للكوفيين وتبعهم دريود، فإنهم يجيزون جمعه بحذف التاء فيقولون: طلحون"[٢]. ومنها أن "هاء السكت ساكنة أبدًا، وزعم دريود أنها زيدت للسكت، ولتكون عوضًا من الألف الذاهبة [في ما]، ولا أرى قوله؛ لأن العوض يكون لازمًا وهاء السكت ليست لازمة إلا في كل فعل يعود إلى حرف واحد نحو: قه وعه، انتهى"[٣]. ومنها "وأما (ما زال) وأخواتها فقد نص النحاس في الكافي: أن تقديم خبر (ما زال) عليها جيد بالغ عند البصريين، وحكاه ابن خروف عن البصريين، والكسائي، وقال: خالف الفراء في ذلك، ونص دريود على أنه لا يجوز تقديم خبرها مع لم، ولن، وليس ذلك بمرضي انتهى"[٤]. ومنها قوله: "وفي كتاب الترشيح: وأما الأيام المعروفة بأعيانها كيوم السبت ويوم الأحد، والأزمنة المحدودة كالشتاء والصيف، والربيع، وأوقات الليل والنهار مثل بكرة وعشية، وسحر إذا أردت واحدًا من الأسحار، والظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، فإنك تقيمها مقام الفاعل جمع. وكان دريود لا يرى ذلك، ويقول: كل وقت محدود حسن فيه اثنتي فانصبه أبدًا كقولك: سير به يوم الجمعة، وبكرة، وغدوة، وعشية

(١) السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ٣/ ٣٩.

(٢) أبو حيان الأندلسي، ارتشاف الضرب من لسان العرب، ٢/ ٥٧٢.

(٣) أبو حيان الأندلسي، ارتشاف الضرب من لسان العرب، ٢/ ٨٢١.

(٤) أبو حيان الأندلسي، ارتشاف الضرب من لسان العرب، ٣/ ١١٧١.

بالنصب لا غير؛ لأنك تقول: ائتني يوم الجمعة، وهذا غلط منه لأنك تقول: ائتني شهر رمضان، وائتني أيام التشريق ثم تقيم ذلك مقام الفاعل فتقول: سير عليه شهر رمضان، وأيام التشريق، وهذا مما لا اختلاف فيه، لأنه موقوت محدود محصور العدد"[١]. ومنها قوله "وقد أجاز الجرمي، والمبرد في قوله تعالى: ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ﴾ أن يرتفع على الوصف لقوله تعالى: ﴿أولو بَقِيَّة﴾ وهو لا شك استثناء منقطع، ولو قرئ به كان حسنًا، فحيث جاز الاستثناء بوجه ما حسن الوصف، وأجاز المبرد، وتبعه دريود في الآية البدل"[٢]. ومنها قوله "وقد أدخل دريود (لولا وهلا) في حروف الاستفهام، وأبين في معناها أن يكون للعرض، أو التحضيض، ومعنى الاستفهام فيها موجود، لأنك إذا قلت هلا قمت فمعناه لم تركت القيام قال تعالى: ﴿لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرآنُ جُمْلَةً وَّاحِدَةً﴾ أي هلا وقال أبو إسحاق: هذا يدل على معنى؛ لم نزل عليه متفرقًا، فأعلموا لم ذلك، أي ليثبت في قلب النبي ﷺ، فهذا تصحيح ما ذهب إليه دريود انتهى"[٣].

ولعل هذا النحوي جدير بأن تتناول حياته وأقواله في رسالة علمية.

(١) أبو حيان الأندلسي، ارتشاف الضرب من لسان العرب، ٣/ ١٣٣٥.

(٢) أبو حيان الأندلسي، ارتشاف الضرب من لسان العرب، ٣/ ١٥٢٨.

(٣) أبو حيان الأندلسي، ارتشاف الضرب من لسان العرب، ٤/ ١٦٧٢.

المطلب الثاني

كلمات في التأبين

أخي عبدالله المربّي*

رحم الله أخي عبدالله، كان أقرب إخوتي إلي سنًّا، فكان أن أخذ على عاتقه جزءًا من تربيتي؛ إذ كان حريصًا أن أتجنب الاختلاط ببقية الصبيان، فلعله أحس اختلافًا في الطباع والعادات بيننا وبينهم، نحن انتقلنا من ضاحية (نبعة)، وهي ضاحية صغيرة متجانسة السكان والعادات، كان من عادتنا التي أُلزمنا بها تجنب استعمال اللعن أو الطعن، تمثلًا بالحديث {إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يَبْعَثْنِي طَعَّانًا وَلَا لَعَّانًا}(١)، لم يكن أخي يثق كثيرًا بهؤلاء الصبية، فكان يسألني متى رآني أصحب أحدهم من أين جئتما؟ وإلى أين ذهبتما؟ كان يظهر لي القسوة ويتكلف ذلك تكلفًا؛ ولكني لم أكن أعلم تكلفه؛ فكنت أخاف منه وأخشى غضبه، ولكني مع ذلك كنت أحبه وأخشى عليه، وكم أحزنني يوم تردت صحته لإصابته بالصفراء التي لم يكن لها علاج في بلدتنا سوى الكي، رأيت في ذلك اليوم أحد جيراننا وهو طبيب شعبي جاء ومعه سيخان ينتهي

---

* نشر في الجزيرة الثقافية الجمعة/السبت٠٦-٠٧/جمادى الآخرة ١٤٤٤هـ الموافقه ٣٠ ديسمبر ٢٠٢٢م، ع١٨٢٠١.

(١) شعب الإيمان للبيهقي، ط١، مكتبة الرشد، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م. ٤٥/٣.

كل واحد منهما بحلقة، وضعهما في النار حتى احمرتا وكوى بحلقة كرسوعه الأيمن وبالأخرى كرسوعه الأيسر، وهو صابر مسلم أمره إلى الله، وما زاد حزني أني أراه محجوبًا لا ينال من الزاد إلا قرصًا من القمح خفيفًا لا طعم فيه ولا أُدْم، تصنعه له والدتنا رحمهما الله. أمضى سبعين يومًا على هذه الحال. قيل: إنه أصيب بأكله بعض الطيور النيّئة، ومع ذلك لم يمنعه ذلك مما فعله (ليلة الخواطيف)، والخواطيف طيور مهاجرة (يعرفها الإنجليز بلفظ السنونو) تحل بلدنا وهي في طريق رحلتها، دعاني تلك الليلة إلى مساعدته في اصطياد طائفة منها؛ إذ أوت في المغرب في سقف دكان حديث الإنشاء فكان يصعد ويستخرجها من مكمنها ويسلمها لي لأقبضها، وأذكر أنه أخذ عصفورًا فلما أمسكته مع الخواطيف أدرك أنه ملاق حتفه فغلب الفرق على قلبه فهلك من فوره، وأما الخواطيف فلم تكن تعلم من مصيرها شيئًا.

كان أخي عبدالله مختلفًا عن أخويه فهو أكثرهم مرحًا ودعابة، وله ميول أدبي وفني ما رأيته في أخوي الكبيرين، ولعل لصداقته الشاب الظريف المدهش محمد بن عبدالله الحسين أثرًا في ذلك، إذ رأيته يحاوره في الأدب والروايات، وكان أن استعار منه رواية طويلة لإحسان عبدالقدوس (في بيتنا رجل)، ولا أعلم متى بدأ في قراءتها؛ ولكن المؤكد أنه سهر ليلته حتى فرغ من قراءتها، وأما الأشعار فكان في بيتنا بعض الكتب اليسيرة منها كتاب (جواهر الأدب)

لأحمد الهاشمي، رأيت أخي منكبًّا عليه يحفظ مختارات منه ثم يكلف أحد أفراد الأسرة أن يتابع إنشاده ما حفظ.

حين عُيّن في المدرسة الخالدية الابتدائية كلف تعليم مقرر التربية الفنية، وهو مقرر يحبه الطلاب ويترقبونه لما فيه من التسلية وسلامته من العقاب؛ ولكن المشكلة التي واجهته هو وطلابه قلة الإمكانات، فليس الورق متوافرًا ولا أقلام الرسم، سمعته وهو يتكلم مع زميله عبدالله بن عبدالرحمن المقبل معلم التربية الفنية في المدرسة السعودية، سمعته يصف الحال بشيء من الأسى الممزوج بالمرح، وكيف أنه وجد نفسه مضطرًّا إلى استعمال ظهور اللوحات القديمة التي سبق أن رسمت.

جاء وقت تهيأ لأخي أن ينتقل للتعليم في المدرسة السعودية، ولكن لم يكن بالإمكان أن يعلم مقرر التربية الفنية فلها معلمها في هذه المدرسة، ولذا كلف تعليم مقرر آخر مختلف تمام الاختلاف عن التربية الفنية، ولكن شغفه بالفن وتعلقه به هداه إلى فكرة أخرى، وهي أن يزاول نشاطًا غير صفّي، بادر إليه هو مبادرة، إذ ألّف فرقة إنشاد، فاختار ثلاثة من طلاب المدرسة تميزوا بحسن الصوت، وكان يختار لهم من الأناشيد أعذبها، ولست أعلم من أين يهتدي إليها، وهو بعد ذلك يلحنها لهم، وأسعد تلك الفرقة وجود طالب يجيد العزف على الناي، وهو طالب ماهر حيي لطيف، كان أخي يدربهم بصبر، حتى إذا كان حفل المدرسة، الذي يُعد من أهم الأحداث التي تكون في بلدتنا، تأتي

الأناشيد التي تصدح بها هذه الفرقة الرائعة، والعجيب أن تتنوع ألحان الأناشيد، ولما رأى أخي نجاح هذه التجربة وإعجاب الناس بها سجلها على أشرطة، وأخذها معه لما زار مدينة الرياض في الصيف، وهناك مضى إلى إذاعة (طامي)[١] وكانت الإذاعة الوحيدة في الرياض أنشأها شاب من أهالي بريدة بجهده الخاص وبمعرفته الهندسية الخاصة بالآلات (١٣٨١هـ/١٩٦١م). وكنا نسمع هذا الإنشاد من إذاعة طامي ونحن في المذنب وإن لم تكن قوية قوتها في الرياض وما حولها. وهو مع ذلك مهموم بأمر بلدته؛ إذ نشرت له صحيفة القصيم مقالتين إحداهما يطالب فيها بإنشاء وحدة زراعية، نشرت في ٢٩/ ٠٧/ ١٣٨٢هـ، العدد ١٥٥، وأما الأخرى فكانت في ٠٢/ ١١/ ١٣٨٢هـ، العدد ١٦٢، وفيها يؤكد المطالبة السابقة.

انتقلنا إلى الرياض بعد سنوت وانتظمت في المدرسة الثانوية ولكني أحسست خللًا في بصري، وطلبت أن أحصل على نظارة تعينني؛ ولكن أخي شكّ في أمر هذا الطلب؛ إذ خاف أني أريد أن أتجمل بالنظارة، ولكن هذا الخاطر لم يمنعه من مصاحبتي إلى الطبيب ثم شراء نظارة.

أحسست دائمًا باهتمام أخي لأمري، وكنت أستشيره فيحسن المشورة بما له من رصيد التجربة، ولا أنسى أنه هو من أقنع أخي محمدًا ليسافر إلى

---

(١) هو عبدالله بن سليمان العويّد من بريدة، انظر: موسوعة ويكيبيديا إذاعة طامي.

الكويت ليشهدا مناسبة القران، ولا أنسى أنه جاء هو وأخي محمد إلى القاهرة ليحضرا مناقشة رسالة الدكتوراه، ثم يفاجئنا بأنه أعدّ غداءً لشهود تلك المناقشة. رحم الله أخي رحمة واسعة.

أستاذي أخي رُشَيْد*

عُيّن أخي رُشَيْد رحمه الله في (المدرسة السعودية)-مدرسة الحسين بن علي الآن- وكنت أدرس فيها ومديرها أخي محمد أمدّ في بقائه، وكان من حسن حظي أن كلّف تعليمنا درسي المطالَعة والقواعد فكَلِفنا بتعليمه، كانت طريقته في التعليم ممتعة، كان ماهرًا في تيسير دروس القواعد، حريصًا على تجويدنا إياها بالتدريبات الكثيفة، لم نجد ثقلًا ولا كراهة لدروس القواعد كما يجدها غيرنا، ولما كان الطلاب ليسوا على مستوًى واحد من الجد والمثابرة كان المعتاد في تلك الأيام أن يعاقبوا، وكان العقاب أمرًا مألوفًا لا ينكره الطالب ولا أهله؛ بل إن منهم من يوصي المعلمين بتشديد العقاب حرصًا على التزام الطالب بالتعلم، وكان من عباراتهم المجازية (لكم اللحم ولنا العظم)، ولم يكن أخي رُشَيْد من المعلمين الذين يسرفون في العقاب حتى يحولونه إلى عذاب، بل لا تخلو طريقته من دعابة تمتع المعاقَب أيضًا، فتراه يضحك وهو يُعاقب، كان أخي يتجنب أن تمس عصاه النحيلة أماكن حساسة من جسد الطالب، فكان من طريقته أنه يزوي ثوب الطالب ثم يضرب مؤخرته ضربًا رفيقًا غير مجزع وغير تارك أثرًا.

كانت المرحلة الابتدائية مرحلة تعليمية بالغة الأهمية، فمن يحصل على الشهادة يجد من الأعمال الكتابية ما يناسبه، وكانت (وزارة المعارف) أي وزارة التعليم تهتم اهتمامًا بالغًا باختبار السنة السادسة، فكانت الأسئلة تعد في الوزارة نفسها، وهي أسئلة جماعية لكل طلاب هذه السنة في جميع مدارس المملكة، كانت توضع نسخ الأسئلة بعدد طلاب مدارس كل مدينة أو قرية وتحفظ في أظرف مغلقة بالشمع الأحمر المختوم الذي

---

* نشر في الجزيرة الثقافية الجمعة/السبت ١٧-١٨ ربيع الآخر ١٤٤٤هـ/ ١١ نوفمبر ٢٠٢٢م ع. ١٨١٦٥.

لا يفك ختامه إلا ساعة الاختبار، ويجتمع طلاب جميع مدارس المذنب في مدرستنا (المدرسة السعودية) في لجنة واحدة من المراقبين، وأما رئيس هذه اللجنة فينتدب من مدينة أخرى، من المراقبين الذين عرفتهم الأستاذ عبدالرحمن العليّان من عنيزة، وكان رئيس اللجنة التي أشرفتْ على اختبارنا الأستاذ عبدالله المشعلي من بريدة.

وفي يوم اختبار القواعد رأيت أخي يبكر في حضوره إلى المدرسة، ويدعو جميع طلاب المدارس إلى فصل من الفصول ليراجع معهم القواعد ويدربهم عليها ويذكرهم بأهمها، كل ذلك إذكاءًا لمهاراتهم وإنعاشًا لذاكرتهم، ولست أنسى ما صاحب ذلك من طرائف، من ذلك أنه سأل طالبًا أن يأتي بمثال للحال تكون جملة اسمية، فأجاب الطالب "ضربت البنت وهي نائمة"، فضحك أخي وداعبه قائلًا: "ليش الله يهديك"، دخلنا الاختبار ونحن في ثقة من مهاراتنا فوفقنا الله إلى ما نحب، وحين خرجت من الاختبار صادفت مدير (المدرسة الفيصلية) الأستاذ محمد الجار الله فأخذ ورقة الاختبار منّي، وراح يسألني بما فيها، يريد أن يطمئن إلى إجابتي فأجبته فابتسم ابتسامة رضا لما وجدني موفقًا في كل جواب.

وكلف أخي الإشراف على فرقة (الأشبال) في المدرسة، وكان لهذه الفرقة ملابس رسمية خاصة، نزاول التدريب يومًا كل أسبوع في غير وقت الدراسة، كان لقاء الأشبال من أمتع اللقاءات وكانت قيادة أخي الذي لقبه في الفرقة (أكيلا) قيادة رائعة لم يكن يسرف في الأعمال الشاقة، وأمتع ما نجده حين نتحلق في دائرة ويقص علينا قصة (الشبل ناعم الظفر)، كان من مهارته أنه يتوقف عند حدث مهم يجعلنا ننتظره بشوق إلى الأسبوع القادم، علمنا كيفيات من عُقَد الحبل وهي دروس انتفعت منها في حياتي، ومن الأمور الطريفة نداء (أكيلا) الذي يستجيب له الأشبال المتفرقون إذ يركضون نحو

مصدر الصوت وهم يصرخون صرخة استجابة مميزة، وكانت هذه الصيحة فقرة تعرض في حفلات المدرسة، فيفاجأ بها الحضور حين يتقافز الأشبال من جهات مختلفة متحلقين حول (أكيلا). كان أخي معلمًا قديرًا وإنسانًا رائعًا لا يلقاك إلا مبتسمًا ذا أريحية لا توصف، يداعب مُجالسه بلطف وذوق فيمضي الوقت معه دون أن يحس، كان له قدرة عجيبة على التعالي على المشكلات والهموم فلا تراها ظاهرة عليه مهما عظمت.

كانت العصامية من أبرز صفات أخي رُشَيد، لم يقنع بشهادة معهد المعلمين، إذ شرع في دراسة المرحلة المتوسطة إلى جانب عمله، وحين تعلم اللغة الإنجليزية لم يكتف بالمقرر وبما يفي بالنجاح بل عمق الدرس، كنت أراقبه وهو يكتب في دفتر ليس من دفاتر المدرسة الكلمات ويكرر كتبها حتى يحفظها، أتقن اللغة الإنجليزية تحدثًا وكتابة، وبعد عودته من التعليم في حضرموت منتدبًا مدة عامين واصل دراسته الثانوية حتى تخرج بامتياز، ولما كان من المتعذر عليه الانتقال إلى الرياض لإكمال المرحلة الجامعية اضطر إلى اغتنام فرصة الانتساب الذي كانت الجامعة تتيحها في ذلك الوقت، وتخير قسم التاريخ في جامعة الرياض (جامعة الملك سعود الآن)، في هذا الوقت كنت أدرس فيها، وكان هذا معينًا له، إذ كنت أختلف إلى طلاب قسم التاريخ وآخذ منهم الملحوظات والمذكرات، ومن أعجب الأمور أن طلاب الانتساب ربما تفوقوا على طلاب الانتظام، وكان أخي من هؤلاء المتفوقين لشدة رغبته في التعلم، وفي آخر سنة له في هذا القسم كنت معيدًا في الكلية وكلفت المراقبة، فكنت سعيدًا وأنا أراه جالسًا للاختبار، هذا أخي معلّمي طالب يختبر وأنا مراقب عليه، حرصت أن أحضر له كوبًا من الشاي، فأشار إلى أحد زملائه أن ضيّفه أيضًا ففعلت ذلك مسرورًا.

إن ما تعلمته من أخي رُشيد رحمه الله من دروس الحياة يفوق ما تعلمته من دروس المطالعة أو القواعد، ولكن تعليمه لي قواعد العربية كان من أهم عوامل حبي للعربية وقواعدها حتى غدت هي محور تعلمي وشغفي.

رحم الله أخي الذي انتقل إلى جوار ربه صباح يوم السبت ١٤ صفر ١٤٤٤هـ الموافقه ١٠ سبتمبر ٢٠٢٢م.

مداخلة لن تقرئيها*

حبيبتي لن تقرئي هذه المداخلة، فليس لها حظ أن تعرض عليك كما عرضت أخواتها؛ فكنت تعدلين لفظًا أو تصححين خطأ أو ترين إيضاحَ غامضٍ أو إضافة احتراز، كانت موافقتك لصحة ما كتبت تدعوني إلى إرسالها مطمئنًا، وكنت أنت من يحتفي بكل حرف أكتبه، تتحدثين عنه وتدعين إلى قراءته. قالت زميلة لكِ "وسمية أبوأوس عندها جملة مفيدة".

جعلت يوم مناقشتي لرسالتي الماجستير والدكتوراه يوم فرح وبهجة وعيد، ويوم أقدمت المجلة الثقافية في صحيفة الجزيرة إلى إعداد عدد تكريمي لي كنت أنت من يحشد الأصوات ويحثّ الزملاء والأبناء والطلاب، من غير أن أعلم عن ذلك، وكذا يوم كرمتني صحيفة جسور في مركز حمد الجاسر، بل كتبت فيها مقالًا فريدًا، أما كتاب الأسرة الذي ضم ذلك كله فكان مقالك بدايته وبحثك عن الخوف في حياة النبي موسى نهايته، قلت لك: جعلت الكتاب بين هلالين، وحين طبع الكتاب فرحت به فرحًا لا حدود له، نشرته بين الناس: الأهل، والصديقات، وبناتنا من الطالبات، وهكذا فعلت في الكتاب الذي ظهر بعده (أخي محمد)، كنت لي الدعم والعون والمساند على الدوام.

تعود بي الذكرى إلى ذلك اليوم حين دخلت القسم، قسم اللغة العربية في جامعة القاهرة، رأيتك ذلك اليوم زهرة برية متفتحة، كنت جالسة بأناقة ملكة شرقية إلى جوار مكتب الأستاذ الدكتور أحمد مرسي أستاذ الأدب الشعبي، في ذلك اليوم سلمت عليه؛ لأني أعرفه، وانصرفت لأجلس على كرسي في انتظار وصول أستاذنا الدكتور محمود

---

* نشرت في الجزيرة الثقافية، الجمعة/السبت ٢٢-٢٣ شوال ١٤٤٤هـ/ ١٢ مايو ٢٠٢٣م، ع ١٨٣٢١.

فهمي حجازي، لم أسلم عليك ولا على المرأة الأخرى التي تجلس أمام الأستاذ؛ فقد كان الحياء يمنعني من ذلك. رأيتك تحادثينه بما لم أسمعه، ولكنك أخبرتني بعد ذلك، سألتِه من هذا؟ فقال: ألا تعرفينه، إنه من بلدياتكم، ثم جاء حجازي وجاء الطلاب وتحلقنا حوله واحتفى بوجودك ورحب بك ترحيبًا؛ إذ كنت طالبة نجيبة في القسم من قبل، وعمل في جامعة الكويت من قبل، وحين انتهى الدرس نزلت ونزلت معك، فحدثتني عن سبب قدومك، وهو أنك تريدين معلومات لصديقتك (طيبة الشذر) زميلتنا في هذه الشعبة، كنت منذ ذلك الوقت المبكر غيريّة تهتمين بمن حولك وتبذلين النفس والنفيس لإسعادهم.

لم يكن يخطر ببالي ذلك اليوم أنك أيتها الزهرة البرية ستكونين نور حياتي وبهجة نفسي وأم أبنائي الأحباء أوس وديمة وبدر وبدور. لم يخطر ببالي أنك ستستولين على عقلي وقلبي. في يوم قلت لي "أنا أثق بك كما أثق بأخي"، وحين لقيتك صدفة في معرض الكتاب في الجزيرة في القاهرة كنّا كأنّا على موعد، فرح كل منّا بالآخر، واشتريت لي تذكرة الدخول، لم تكوني وحدك بل مع زميلة لك، آثرت صحبتي، فاستأذنت منها؛ لأن ما نتطلبه من كتب موضوعها واحد، اللغة والنحو والصرف، كنت طالبة ماجستير في كلية البنات في جامعة عين شمس. أمضينا سحابة ذلك النهار في المعرض: وقفنا على أجنحته، تصفحنا الكتب، قرأنا الفهارس، واشترينا ما شاء الله لنا أن نشتري، خرجنا لنستعد لأخذ السيارة مع زميلتك فإذا بها قد مضت بها، أخذنا سيارة أجرة، منذ ذلك الوقت شاء الله أن تكوني حياتي ودنياي، منذ ذلك الوقت كنت دليلي في القاهرة، عرفتها ورأيتها بعينيك، عرفتني على الأساتذة، صحبتني لزيارة الدكتور حجازي وأسرته وإلى الدكتور عبدالصبور شاهين، وإلى الدكتور يوسف خليف، صحبتني إلى

مجمع اللغة لنلقى الدكتور شوقي ضيف ولأطلع على شرح الكتاب للرماني، بل صحبتني إلى بيت الأستاذ محمود شاكر الذي كنت أهاب لقاءه، قلت لي بعد تحديد موعد مناقشتك، سنذهب إليه لندعوه للمناقشة لأنك زرته يوم كان موضوع (صيغ الجموع في القرآن الكريم) فكرة، أردت الاستئناس برأيه، قال: أنت هتهببي أيه في الموضوع ده؟! خرجت منكسرة الخاطر؛ ولكنك لم تفقدي اليقين بالله وتعبت حتى نالك مرادك، وكتبت الرسالة، وخططت بيدي عنوانها على الصفحة الأولى، فطرت فرحًا بكتابتي، ويوم المناقشة كان شاكر في الصف الأول، ونزل المناقشون من منصتهم للسلام عليه.

كانت لك قدرة عجيبة على محبة الناس واكتساب صداقتهم، لم أر من يجمع بين صداقة المتنافرين، لك قدرة هائلة على مواصلة القريب والبعيد، الصغير والكبير، كل يجد أنه موضع اهتمامك، طالباتك لا يسمينك إلا ماما وسمية. وبك عرفني الناس واهتموا لأمري وانتبهوا إلى شخصي، وكذلك هم أبناؤك عُرفوا بفضلك وسعة علاقاتك الاجتماعية المبنية على المحبة والتقدير وبذل الخير. كنت تطالبين دائمًا بفئات نقدية صغيرة؛ لأنك ما خرجت إلى الشارع إلا نفحت من تصادفين من العمال. وغير مرة تعطين ابننا بدرًا مبالغ من المال ليتصدق بها بعد صلاة الجمعة.

وعلى الرغم من فضلك وفيض عطائك وبذلك كان يثقلك المعروف ينالك من أحد، وتتوجسين أن تكوني ثقيلة متعبة لأحد، فكنت ترددين حين بدأت تلازمين الكرسي المتحرك وثقلت حركتك وانتقالك، كنت ترددين "اللهم لا تجعلني عبئًا ولا وجعًا لأحد"، كنت تخشين أن تصلي إلى مرحلة تحتاجين إلى غيرك يُعنى بأمورك الشخصية، كان هذا همًّا من همومك، كم مرة سمعتك ترددين "اللهم اجعلنا من حيلنا لقبيرنا". وتقبل الله دعواتك ولله الحمد والمنة.

كانت بلدك الكويت عشقك، لم ترضَي تغيير هويتك، وعشت في الرياض سفيرة لبلدك حفية بها، وكنت في الكويت في زيارتك سفيرة لبلادك الأخرى مملكتنا الحبيبة، جعلت شعار الوثاب[١]علمي البلدين، ويوم نشأت مشكلة بسبب خطأ إعلامي كنت من هبّ لمعالجة ذلك فسافرت من الرياض إلى الكويت لمقابلة وزير الإعلام، الذي ألف لجنة سافرت إلى الرياض وعادت الأمور إلى نصابها. أوصيتني دائمًا أن تدفني في الكويت، فحقق الله لك، لما اختارك إلى جواره، أن تكون وفاتك في الكويت، الخميس ١٤ من شوال ١٤٤٤هـ الموافقه ٤/٥/ ٢٠٢٣م. توفيت بين يدي حبيبتنا الغالية ابنتنا البارة ديمة وهي من غسلتك واهتمت بأمرك، لقد منّ الله علينا جميعًا.

رحمك الله حبيبتي رحمة واسعة. وإن الألم ليعتصرني أنّ هذه مداخلة لن تقرئيها.

---

(١) بدأت قبلي باستعمال الجوالات الذكية بتطبيقاتها المذهلة، وكنت أسمعك تخاطبين طالباتك عن شيء عرفت بعد مدّة أنه whatsapp، فقلت ما (الوثّاب؟) فأعجبك اللفظ، ورأيت أني عربت مصطلح التطبيق، ورحت تنشرين هذا بين من تعرفين، وفي ندوة في قسم اللغة العربية في جامعة الملك سعود كان الحديث عن التقنية ومصطلحاتها شارك فيها (د.نبيل علي)، فطلبت المداخلة لتعلني أني عربت المصطلح، كان الفضل لك ولحماستك في ذلك وتكرر هذا الإعلان في تعقيبك على محاضرة للدكتور محمد حسان الطيان في الكويت، وتبين أنه استعمل اللفظ نفسه للتطبيق.

وكذلك هذه*

مضى عام منذ رحلت عنا في يوم الخميس ١٤ شوال ١٤٤٤هـ، أُخْبرت صباح ذلك اليوم أن أوسًا سيأتي، نزلت إلى فناء الدار لملاقاته، لا بدّ أن ما جاء به أمر جلل؛ إذ لم يهاتفني، وليس من عادته الحضور هذا الوقت من النهار، دخل متوجهًا نحوي كاسف البال بادي القتامة، قلت له ما بكم؟ قال وهو يمسك بي: أنا وأبنائي بخير، اجلس.

جلست فترفق بي، وهو ينوء بالخبر الذي وافته به ابنتي الحبيبة ديمة، بكيت بكاءًا مرًّا، وحاول ابني مواساتي وهو يجاهد آلامه؛ ولكنه تجلّد وتجمّل من أجلي، وكانت ديمة في غاية الحكمة حين اتصلت به لا بي، ألم الفراق يُحس ويُدرك ولكن التعبير عنه مهما سُوّدت صفحات وصفه يقصر دونه، كأن هذا أمس، مضت سنة كلمح البصر كما مضت حياتنا معًا كلمح البصر، كأنه أمس يوم لقيتك في القسم عند الدكتور أحمد مرسي فلقيت بك حياة جديدة، كانت من أعظم نعم الله عليّ، مضت تلك السنوات؛ ولكنها ماثلة في ذهني، تطوف بي لحظاتها الحلوة والمرة، يوم التقينا مَرة أخرى في معرض الكتاب وقضينا نهارنا نفلي المكتبات نبحث عن كتب اللغة، كيف أنسى الطريق الزراعي في الجيزة المؤدي إلى كبري المرازيق، وذهابنا إلى المنصورة وطنطا نسأل عن مكتبة، فزوّرنا شاب مسجد السيد البدوي وأرادنا أن نطوف فلم نفعل، ثم عزمنا في ناديهم الاجتماعي وعلمنا أنه مسيحي، وسافرنا غير مرة إلى الإسكندرية وتشاجرنا هناك، ثم عدنا والصمت يلجم أفواهنا؛ ولكن لم ندخل القاهرة إلا ونحن نضحك كما لم نضحك من قبل.

---

* نشر في الجزيرة الثقافية الجمعة/السبت ١٧-١٨ شوال ١٤٤٥هـ/ ٢٦ ابريل ٢٠٢٤م. ع.١٨٦٢١.

الآن أحسست بثقل الحياة بعد أن رحلت ورحلت معك البهجة وطعم كلّ شيء، نعم لم تكن حياتنا وادعة في كل حين؛ إذ كنت كالبحر بمده وجزره بهدوئه وسكونه أحيانًا وبأمواجه المتلاطمة أحيانًا، تجادلنا مرة وارتفعت أصواتنا حتى أخفنا ابنتنا الحبيبة ديمة ففزعت تستطلع الأمر، فقلنا لها نحن نتشاور لا نتشاجر، قالت منكرة: ولكنكم تفعلون ذلك بقوة. كنت أضيق كثيرًا بكثرة علاقاتك الاجتماعية والدعوات التي لا تنقطع، فأبيت مرة السماح لك بالذهاب فغضبت غضبًا شديدًا، وطلبت مني الطلاق، قلت لك: سأفعل؛ ولكن بعد أن تنهي الفصل الدراسي، وبعد يومين بلغتني أنك تتراجعين عن طلب الطلاق، كانت الأولى والأخيرة.

مضت سنة وستمضي الأيام ما شاء الله لها أن تمضي من فسحة الأجل؛ ولكن تفاصيل حياتنا التي عشناها ماثلة أمام عيني، دعواتنا التي تنظمينها وتديرينها باقتدار في منزلنا ما زالت في الذهن، دعوات العلماء وغير العلماء، عبدالرحمن أيوب، وعلي أبو المكارم، وكمال بشر، وحسن ظاظا وصبحي عبدالمنعم وغيرهم، ورحلاتنا إلى أبها ومكة والقصيم والمنطقة الشرقية والبحرين والإمارات والكويت كثيرًا، كلها تعاودني ذكراها. لا أنسى مناقشاتنا عن الدروس والبحوث والطلاب والطالبات.

قبل رحيلك كنت أعلم أن المتوفى تفارق روحُه جسدَه، ولكن أنت فارق جسدُك الطاهر روحَك، وبقيت روحك تحوطنا وترعانا، وأنا في البيت الآن أراك في كل مكان، أرى كلَّ ركن فيه يذكرني بك، كتبك في مكتبتنا، أوراق طالباتك، كتب أهديت إليك، أقلام كنت تكتبين بها وكراسات سوّدت فيها صفحات تأملين تحريرها وقيدت أفكارًا كنت تأملين أن تكتبي عنها. بقايا الزينة التي علقتها تحتفلين باليوم الوطني، وكنت أكثرنا احتفاءً واحتفالًا بالأعياد والأيام، والحق أن أيّامك كانت أعيادًا.

سألتني إحدى بناتنا أتزورك في الحلم؟ قلت لها: كثيرًا. كانت حياتنا قبل رحيلك وبعده سلسلة من الأحلام.

رحلت وتركتني في فراغ كفراغ الكون لا يمكن بحال أن يملأ، وخسارتي لا يمكن أن تعوّض، وفقداني لا يمكن أن يخلف، ليس شيء أشد من ألم الفراق ولا أقسى منه، ولكني أعلم علم اليقين أن استغراقي في الحزن لن يرضيك، وأن مكابدتي تؤذيك، وما كتبت اليوم إلا كما كتبت بُعيد رحيلك (مداخلة لن تقرئيها) فكذلك هذه لن تقرئيها.

وسم وفاء لوسمية العطاء*

بهذا الاسم الموفق كانت الجلسة الثقافية التي دعت إليها في منزلها العامر صاحبة السمو الأميرة نورة بنت محمد بن سعود حرم أمير منطقة الرياض صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن بندر بن عبدالعزيز آل سعود، حفظهم الله. وكان محور الجلسة الحديث عن أ.د. وسمية عبدالمحسن المنصور لتذكر ما اتصفت به رحمها الله من العلم ومحبة الناس والعطاء السخي، دعت صاحبة السمو ابنتي المرحومة وكنتيها وعددًا من أفراد أسرتها وزميلاتها وصديقاتها، وكانت الجلسة ندوة ثرية بما ألقي فيها من كلمات وأشعار ومن مداخلات الحضور، وكانت الندوة بإدارة موفقة أدارتها زميلتنا أ.د. نوال الثنيان، وعُرضت بعض كتب أم أوس وأبحاثها، وكُتبت كلمات في سجل معد لذلك، أهدته إلينا صاحبة السمو حفظها الله.

ليس غريبًا ما وُصف لي من تأثر صاحبة السمو وتوالي دموعها وهي تسمع ما يقال، ولست أنسى ونحن في أيام العزاء اتصالها الحنون ببناتي لمواساتهن، واتصالها الكريم بي لتعزيتي، كانت بادية التأثر والحزن على وسمية، كانت فقيدتها كما كانت فقيدتنا.

تشرفت أم أوس بمعرفة صاحبة السمو حين شاركت في المهرجانات واللقاءات التي كانت تنظم في منطقة القصيم، وكانت معها حين لبت دعوة في محافظة المذنب.

* نشر في الجزيرة الثقافية الجمعة/السبت١٢-١٣ رمضان ١٤٤٥هـ/ ٢٢ مارس ٢٠٢٤م. ع ١٨٥٩١.

سبقت سمعة صاحب السمو الملكي فيصل بن بندر إلى منطقة القصيم قبل أن يعين أميرًا عليها، وكان أن والى زياراته إلى إجزاء المنطقة كبيرها وصغيرها، وكان لي شرف استقباله في مركز المربع وفي محافظة المذنب غير مرة.

وكذلك كان لصاحبة السمو أثرٌ عظيمٌ في حياة المجتمع في المنطقة فاهتمت بالنشاط الثقافي في مجلسها، وخرجت إلى المجتمع البسيط تتلمس حاجاته وبخاصة المرأة؛ إذ عززت مكانتها ودفعتها للعمل المثمر البناء، فدعت إلى فكرة الأسرة المنتجة، ولذا كانت هي رئيسة مجلس إدارة الجمعية التعاونية النسائية المتعددة الأغراض بمنطقة القصيم – حرفة، كما شغلت عضوية مجلس أمناء "المعهد الملكي للفنون التقليدية". وكان أن نالتها جائزة برنامج الخليج العربي للتنمية – أجفند عام ٢٠١٦.

حدثتنا الدكتورة عواطف القنيبط، وهي من أعز صديقات أم أوس، عن أعمال صاحبة السمو وأثرها في المجتمع وحدثتنا عن أثرها الشخصي فيها، ورأيت الكتاب الذي أعدته الدكتورة عواطف عن الملابس التقليدية، وكان الإهداء المتميز لصاحبة السمو عرفانًا بفضلها وبتشجيعها؛ إذ لم يكن لهذا الكتاب أن يرى النور بغير ذلك الدعم المتميز.

حدثتني أم أوس عن إعجابها الشديد بسمو الأميرة نورة، عن تواضعها الشديد، عن حبها للخير والعطاء، وحبها لمساعدة الآخرين وتعليمهم كيف يساعدون أنفسهم، لم تنقطع زيارات أم أوس لصاحبة السمو، وكنا في كل مرة نزور القصيم تتفضل صاحبة السمو بدعوتها، وكانت تبعث إليها بسيارتها الخاصة لتنقلها إلى القصر، تآلفت القلوب واجتمعت على حب العطاء والخير، وكانت أم أوس تصف صاحبة السمو بأنها من أعز صديقاتها ومن أحبهن إلى قلبها.

ولما تولى إمارة منطقة الرياض صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن بندر اتصلت عناية صاحبة السمو بالثقافة والعمل الخيري. وأما هذه الندوة فهي مثال نادر من أمثلة الوفاء، وفاء صاحبة السمو لصديقتها الراحلة أم أوس رحمها الله.

ليس باستطاعتنا الوفاء بشكر صاحبة السمو الأميرة نورة بنت محمد؛ ولكنا سنوالي الدعاء لها بظهر الغيب أن يديم عليها الصحة والتوفيق والرضا.

أستاذي عبدالرحمن الطيب الأنصاري*

في ١٣٨٩هـ بدأت دراستي الجامعية في كلية الآداب، في هذا العام عدت ليواجهني التاريخ الذي تحاشيت شيئًا منه في مرحلة الثانوية العامة، كان علينا دراسة تاريخ وادي الرافدين وتاريخ وادي النيل (التاريخ الفرعوني)، وكان علينا أن ندرس تاريخ شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، تاريخ جملة من الممالك المتتابعة في جنوبها ووسطها وشمالها، وكان يدرسنا تاريخ الجزيرة العربية أستاذنا القدير الدكتور عبدالرحمن الطيب الأنصاري الذي أذهلنا بشدة استيعابه لذلك التاريخ على تعدد الممالك وتفرقها، وبدأ أستاذنا بإرشادنا إلى المصادر التاريخية التي يصح الاعتماد عليها، ومن أهمها ما كان معتمدًا على الآثار، ودلنا على كتاب ضخم هو (تاريخ العرب قبل الإسلام) للعالم العراقي القدير جواد علي، وهو الكتاب الذي طور بعد ذلك إلى عمل موسوعي هو (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام)، وأستاذنا لم يكتف بتدريس التاريخ بل سعى إلى الكشف عن هذا التاريخ؛ فنظم هو وطلابه رحلات متعددة إلى منطقة الفاو أظهرت جملة من الآثار القديمة القيمة.

كلف أستاذنا أيضًا في مرحلة من مراحل حياته المهنية عمادة كلية الآداب، أذكر أني تقدمت إليه في ذلك الحين بتصور لما يمكن أن تكون عليه الكلية، فتلقى ذلك برفق وأناة وشكرني له؛ ولكنه بين لي أن تحقيقه متعذر حسب الإمكانات المتاحة، وفي عهد عمادته كانت مسابقات الطالب المثالي في الكلية، ورأيته في يوم الاحتفال الختامي يقف هو نفسه ليعلن فوزي، ويقرأ تقريرًا معدًّا لذلك، ويقدم لي هدية الكلية، وهي الكتاب

* نشر في الجزيرة الثقافية يوم الجمعة/السبت ٢٥-٢٦ شعبان ١٤٤٤هـ/ ١٧ مارس ٢٠٢٣م. ع ١٨٢٧٣.

الضخم (في ظلال القرآن) لسيد قطب، احتملها في تلك الليلة زميلي عبدالله آل الشيخ.

كنت كلفت كتابة كلمة الطلاب وإلقاءها في يوم احتفال الجامعة بتخرج طلابها. وقفت على المنصة خائفًا وجلًا من الموقف المهيب، وكان التلفاز ينقل الحفل على الهواء، التفت نحو صف كبار المسؤولين الجالسين على المسرح فانتبه لي أستاذي ورأيته يرفع ساعده بجمعه، علامة القوة، يشجعني ويقويني بهذه الإشارة وكانت حسبي.

لم ألق أستاذنا إلا أظهر لي تقديره ومحبته، سرّه كثيرًا مشاركتي في إعداد موسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب، وحين نشرت طلب مني الاطلاع عليها فأعرته نسختي، ثم إنه أعادها بعد مدّة وبدا لي أن لديه جملة من الملحوظات عليها وإن لم يصرح بها، ثم شاركت بورقة عن أسماء الناس في المملكة العربية السعودية، بمناسبة ندوة مجلة كلية الآداب في اليوبيل الفضي لها، فأعجبه ما قدمت ودعاني إلى صنع موسوعة عن الأسماء في الجزيرة العربية، وذكر أن الزملاء في قسم التاريخ يمكن أن يساعدوا في مثل هذا المشروع. ولكن بدا لي تعذر ذلك، فاكتفيت بتطوير الورقة ونشرتها كتابًا، وبدأت مشروعي في إعداد معجم عن أسماء الناس في المملكة العربية السعودية وهو ما تفضل بنشره مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية في مكة المكرمة، وأنا الآن عاكف على تجويده وزيادته لنشره مرة أخرى.

ولأستاذنا الأستاذ الدكتور عبدالرحمن الطيب الأنصاري لمساته الإنسانية التي لا أنساها، ومن ذلك أن زميلي، حين كنا في جامعة القاهرة، الدكتور فهد بن عمر السنبل اضطرته حياته إلى أن يعمل في المدينة المنورة، فأراد أن ينتقل ليعمل في الرياض، فحملت أوراقه إلى أستاذي، وكان عميد الكلية في ذلك الوقت، وبينت له ما يتصف به الدكتور

فهد من قدرات علمية عالية، وحدثته عن رسالتيه اللّتين أعدهما في جامعة القاهرة بإشراف الدكتور حسين نصار، وقلت لأستاذي: لولا ثقتي بقدراته وأنه سيثري قسم اللغة العربية لعمله فيه ما قدمت أوراقه، ولكن أستاذي نظر إلى بُعد إنساني آخر، وهو ما ذكره الدكتور فهد في خطابه من أمر أخته الكبيرة التي هي بأمس الحاجة إلى وجوده إلى جانبها في الرياض، كان هذا الأمر ما جعل أستاذي يحرص على قبول أوراقه وعلى الموافقة على انتقاله، ذلك إلى ما تشفع له شهاداته وتزكية زملائه في المدينة ومنهم محمد العيد الخطراوي.

رحم الله أستاذي الأستاذ الدكتور عبدالرحمن الطيب الأنصاري الذي افتقدناه في يوم الاثنين ١٤ شعبان ١٤٤٤هـ/٦مارس ٢٠٢٣م.

الفصل الرابع

متفرقات

هل العربية بحاجة إلى احتفال دائم؟*

أصبح من المعتاد المكرر وربما الممل الاحتفال بما يسمى اليوم العالمي للغة العربية، ويذكرني هذا بالسنوية التي اعتادتها بعض الشعوب تتذكر فيها محاسن موتاها وتجري بعض النشاطات في تلك المناسبة.

ليست العربية بحاجة إلى احتفال في يوم يمر كما يقال ولا يضر، بل هي بحاجة إلى احتفال دائم؛ ولا أعني بالاحتفال ما قد يفهم منه أنه إنشاء القصائد وتدبيج المقالات في مدحها والتأكيد على أنها لغة القرآن وأن معرفتها من واجبات الدين، بل أعني بالاحتفال بها الاهتمام بها اهتمامًا يليق بها ويحقق مقتضى الهُوية التي هي من أهم أعمدتها، وإنما يكون ذلك بتمكينها من لغة العلم والعمل؛ إذ الواضح أن اللغة الإنجليزية ما زالت هي لغة العلم في كلياتنا التطبيقية على كثرة المطالبات والنداءات لتكون العربية لغة العلم، ونحن ندرك الإدراك كله أنّ ذلك ربما كان صعبًا حدوثه على نحو مفاجئ وفوري؛ إذ لابد أن يسبق ذلك من التهيئة ما تقتضيه الأمور من ترجمة الأصول المرجعية وإنشاء جهات تكفل المتابعة في كل أمر جديد، وربما نظر إلى هذا القول على أنه حلم من الأحلام؛ ولكن الهمم العالية تحول الأحلام إلى حقائق ملموسة، فلسنا بدعًا بين الشعوب، وليست لغتنا أقل من لغات الأمم التي تدرس العلوم بلغاتها، وليس من بأس أن نستفيد من تلك الأمم، والتحول إن أريد يمكن أن يكون على مهل وبروية تكفل له بإذن الله النجاح، وأي ضير أن يبدأ بهذا اللون من التعليم في شعب إلى جانب الشعب القديمة حتى إذا نجحت التجربة واشتد عودها كان التحول إليها شيئًا فشيئًا.

---

* نشر في الجزيرة الثقافية يوم الجمعة/السبت٢٢-٢٣جمادى الأولى١٤٤٤هـ/١٦ ديسمبر٢٠٢٢م. ع١٨١٩٥.

أما العمل فمن أهم عوامل إحياء اللغة أو إهمالها، وقد ابتلينا بأن أوكل العمل إلى كثير من المتحدثين بغير العربية وبشركات ومؤسسات جعلت اللغة الإنجليزية هي لغة العمل فيها؛ لأن هذا يسهل عليها أمر علاقاتها بالعالم غير عابئة بما يكون له من الأثر في تدمير البنية اللغوية العربية ونفي لغة الأمة عن جانب مهم من جوانب النشاط الاجتماعي وهو العمل، كل أمم الأرض يستقبل العاملين من غيرها؛ ولكنهم حين يعملون يطالبون باستعمال لغة البلاد، وإن من أعجب ما يواجهه المواطن في بلادنا عند التقدم للعمل هو اختبار عن معرفته اللغة الأجنبية لا العربية.

إن الاهتمام بلغة العلم والعمل أمر بدهي منطقي؛ إذ يسعى الإنسان إلى ما ينفعه منفعة مباشرة، فتراه يقبل على اللغة الأجنبية لا حبًّا بها ولا كلفًا بجرسها بل لأن معرفتها شرط في قبوله العمل وعمله معتمد عليها فهي لسان المعاملات والمراسلات، وإنك لترى التعامل مع الجمهور أساسه اللغة الأجنبية وإن جعل شيء من ذلك بالعربية فهو من باب النافلة وهو استجابة لتوجيهات مفروضة وليس قناعة بالأهمية.

وجد في مجتمعنا خطب جلل وهو نشوء جيل لا يتحدث العربية وهو بين ظهراني أهلها لأنه عزل في بيئة إنجليزية محكمة حرمته من تلقي العربية إذ هو في منزل يخاطبه أهله بالإنجليزية والعمالة التي تباشر خدمته تتحدث الإنجليزية والمدرسة التي يتلقى علومه فيها لغتها الأساسية الإنجليزية وهذا في غفلة من الأهل أو سدر أو إهمال أو تعمد ظنًّا أنهم يصنعون خيرًا بتأهيل أبنائهم للعمل في جهات لغتها الإنجليزية، وهكذا نشأ جيل انبتت صلته بتراثه وانعزل عن مجتمعه. ولست أعلم ما سيكون مصير هؤلاء في مجتمعهم الذي لن يخاطبهم بالإنجليزية في كل الأحوال. وأنا أناشد أولي الأمر متخذي القرار في

هذه الدولة الرشيدة أن تقف وقفة حازمة أمام هذه الظاهرة بمنع تعلم السعوديين في المدارس الأجنبية، وإلزام الجامعات أن تجعل قبولها مقصورًا على الناطقين بالعربية.

هذه أمور جوهرية تستحق الاحتفال أي الاهتمام بها ومعالجتها معالجة حكيمة إن أردنا لأمتنا أن تستقيم هويتها وأن تستديم أحوالها بخير وأمان.

الاحتفاء لا الاحتفال فرض عين*

يأتي هذا اليوم المبارك (١٨ ديسمبر) في كل عام ليكون يوم توقف نتأمل لغتنا العربية وننظر في حالها، والناظر اليوم المتأمل يرى كثيرًا من المسرات وما يشرح الصدر ويبهج النفس وييسر الخاطر، من ذلك ما يلمس من إقبال عالمي على تعلمها؛ إذ نجد معاهد تعليم اللغة العربية منتشرة في العالم الإسلامي وغيرها، وكان لبلادنا الكريمة قصب سبق في فتح معاهد لتعليم اللغة العربية في بلاد كثيرة، ونجد كثيرًا من الجامعات في العالم تخصص أقسامًا لتعليم العربية، وربما جعلت بعض البلدان تعليم العربية إلزاميًا، ونجد في بلدان من يكتب بالعربية، فمن كتاب الرواية في نيجريا من كتب روايات بالعربية، وأما العالم الإسلامي فإقباله على العربية في الغالب لوازع ديني، وأما غير المسلمين فقد يكون دافعهم تجاري أو ثقافي أو سياسي، ومن الأمور السارة أن العربية أخذت حيزًا في الشبكة العالمية بمحتواها، وسهلت الشابكة لهذه اللغة أن تصل إلى مريديها في كل مكان، ومن المفرحات أن العربية الفصيحة وإن لم تسلم من الأخطاء هي لغة نشرات الأخبار والمقابلات الجادة والحوارات الثقافية والسياسية والاجتماعية، وترى أن كل قول يراد له أن يظهر بمظهر الجد وأن يكون له صفة العموم يساق بلغة فصيحة، ولكن في المقابل يجد الناظر في حال العربية اليوم ما يسوؤه بعض السوء، فأبناءِ العربية أنفسهم ربما أظهروا ازورارًا عن تلقي اللغة تلقيًا يكفل لهم قدرًا مناسبًا من السلامة، إذ تراهم عاجزين عن التعبير بها تعبيرًا شافيًا، عاجزين عن الكتابة بها كتابة وافية بأغراض ما يرمون إليه، ومن المزعجات أن ترى لغتهم هجينة فليست بالعربية الخالصة ولا هي

---

* نشر في الجزيرة الثقافية الجمعة/السبت ٢-٣ جمادى الآخرة ١٤٤٥هـ/ ١٥ ديسمبر ٢٠٢٣م. ع ١٨٥٠٧.

بالأجنبية الخالصة، ولا هي الفصيحة الخالصة ولا العامية الصافية؛ بل هي خليط من هذا وذاك، وتجد فقرًا معجميًّا فلا يكاد المستعمل يتجاوز أليفاظًا وكلمات قليلة إن هي ووزنت بالثروة اللغوية التي تركها لنا الأجداد، وربما تفوقت العاميات في كثرة مفرداتها ودقة تعبيراتها، ومن المزعجات ترهل اللغة التي يستعملها المعاصرون في لغتهم المعاصرة فغادروا إيجاز اللفظ الفصيح إلى تراكيب فيها من الترهل ما فيها، كأن يقولوا: (أما بالنسبة لما يتعلق بالقضية) وكان يجزئهم أن يقولوا: (أما القضية)، وأسرفوا في استعمال (من خلال) وهم يريدون حرف الجر الباء، وأمثلة ذلك كثيرة ليس هذا مجال حصرها، ومن المزعجات تهاون الكتاب في سلامة لغة ما يكتبون، فصدرت الروايات الكثيرة والدواوين المختلفة وهي لا تسلم من أخطاء نحوية وإملائية وتركيبة وكتابية، وليست المشكلة في وقوع الخطأ بل التهاون في أمره وعزوف الكاتب عن مراجعة ما يكتب، والأدهى أن يغيب عنه أنه أخطأ، ومن الأخطاء ما هي دقيقة قد تخفى على المتخصص في اللغة، ومن المزعجات ما نراه من نشوء أجيال بين ظهرانينا لا يتكلمون العربية، وإن تكلموا بها فكما يتكلم الناطق بغيرها تكلمًا سقيمًا، هؤلاء أبناؤنا جنى عليهم أهلهم أن ألحقوهم بالمدارس الأجنبية وحاصروهم ببيئة أعجمية جعلتهم جزيرة أعجمية في بحر عربي، ومن المساوئ ما جلبته علينا التقنية الحديثة من جوالات وحواسيب أخملت أيدي أبناء العربية باعتمادهم على الكتابة بها واستعمال مفاتيحها، فلا يكادون يخطون بأيديهم حرفًا، فإذ كتبوا رأيت كتابة رديئة لا تكاد تحسن قراءتها، وقديمًا كان يوصف من كان خطه رديئًا بأنه يكتب كأثر النمل في طريقها، ولكن هيهات أن يقال ذلك اليوم؛ فالنمل تفوقت طريقه على خطوط الناس اليوم، وصار من المألوف أن يأتي الطالب الجامعي إلى قاعة الاختبار فيتبين له أنه لا يحمل قلمًا، فيعود للبحث عن قلم،

وصار كالذي يسعى إلى الهيجا بغير سلاح، وتأمل جيوب الشباب اليوم قلما تجد من يحمل قلمًا في جيبه، ومنذ القدم أضر الإنسان بنفسه من حيث أراد نفعها، فأضعف جسده باعتماده على الأدوات وأضعف ذهنه باستعمال ما ينوب عنه بالأداء، أذكر أن الباعة في بلادنا يبيعون ويحسبون في أذهانهم المسائل الحسابية، يجمعون ويطرحون ويضربون ويقسمون في يسر وسهولة، وما عاد الناس اليوم يستطيعون ذلك من غير الآلة الحاسبة.

ونحن حين نشير إلى ما في لغتنا اليوم من مظاهر الضعف ربما يتجه اللوم إلى المعلمين واللغويين والنحويين، وليس هذا من العدل في شيء، ولا من الحكمة في مكان، فهؤلاء مثل الأطباء يشخصون الداء ويصفون الدواء ويعلّمون الوقاية، وهم مثل الوعاظ المرشدين إلى الصلاح؛ ولكنهم لا يكفلون صلاح الناس، كما أن الأطباء لا يكفلون سلامة مرضاهم إن لم يكن منهم مبادرة إلى التقيد بالتعليمات والمداومة على الوقاية، وأما اللغة فلها شأن آخر غير شأن الصحة والمرض أو غيرها من ألوان النشاطات الاجتماعية التي يحتاج إليها المجتمع فيكون الفرض فيها فرض كفاية، لأن اللغة ملك لكل أفراد المجتمع وكل فرد منتج لها مستعمل، ومن هنا فأمر الاحتفاء بها والاهتمام وبذل الغالي والنفيس في سبيل تقويمها وتعزيزها وتقويتها وسلامتها كل ذلك فرض عين على كل متكلم بها إن كانت تعنيه لغته ويدرك أنها علَم هُويته ولسان حاله وحافظة تراثه وثقافته، ومن هنا كان الاحتفاء بها ألزم من الاحتفال الطارئ بها، وعلى كل فرد أن يبذل ما في طاقته من إصلاح لغته هو ومن إرشاد غيره إن استطاع، وعلى الأسر واجب يقتضيه أبناؤهم وهم الأمانة بأعناقهم أن يعلموهم العربية في صغرهم التعليم الصحيح، وللتعليم ومشكلاته أن يجد حلولًا ناجعة، إذ من الخير أن نركز الانتباه في

بداية التعليم على مهارات اللغة من قراءة وكتابة وتكلم وفهم، ولا نخلطها بغيرها، ولا نضيق الوقت المقرر لها، ولا بد من العناية بالتدريب فلا يركن إلى الواجب المنزلي؛ لأنه ربما لا يكون صادقًا، فلا يسلم من الضعف الإنساني الذي قد يجعل الكبار ينوبون عن الصغار في إداء الواجب؛ لذلك يجب تقسيم اليوم المدرسي قسمين: قسم تلقين وقسم تدريب يشرف عليه المعلمون إشرافًا مباشرًا، ولتحقيق الجدوى من ذلك ينبغي أن تقلل أعداد طلاب المعلم فلا يكلف المعلم أكثر من عشرة طلاب، وينبغي ترك أمر التعليم الأوّلي للتنجيم الحتمي، أي إن النجاح لا يكون في آخر السنة بل يكون على طريقة الإجازة القديمة، فالطالب الذي تستحكم مهاراته ينتقل، ومن تكل أدواته وتضعف إمكاناته يبقى حتى يستوي على سوقه، ومتى اكتملت المهارات أمكن تعليمه من العلوم الأخرى ما به حاجة إليه، ولابد من التعليم الأوّلي أن يتحرى ميول الطالب واتجاهه ومهاراته فيوجه في وقت مبكر إلى ما ينفع المجتمع. وغاية ما نسعى إليه أن نحتفي باللغة لا أن نحتفل بها.

إلى الشداة من الباحثين*

أكتب هذا بعد سنوات من البحث والكتابة، وهي تجربة متواضعة؛ ولكني رأيت أن أهديها إلى الشداة من الباحثين، وهي جملة من الأمور التي قد يرى أنها شكلية؛ ولكنها مع ذلك مهمة في نظري، فأرى أن على الباحث مراعاة ما يأتي:

١-الاطراد في رسم الهمزة التي نجد لرسمها تعددًا، نحو (شؤون/شئون)، والأولى عندي (شؤون)، ونحو (هيئة/ هيأة) والأولى عندي (هيأة) لأن الهمزة المفتوحة في وسط الكلمة ترسم على ألف إن كانت بعد ساكن[١]، وهي هنا بعد (حرف لين)، بخلاف (بيئة) لأن ياءها كسرة طويلة (ياء مد).

٢-الاطراد في رسم التنوين بعد الفتحة، وله طريقتان مشهورتان وثالثة نادرة، نحو (زيدًا/ زيداً/ زيدَاً) (فتًى/ فتىً/ فتَىً)، والأولى عندي (زيدًا) و(فتًى)؛ لعلل منها أنها طريقة الخليل بن أحمد، وأنها موافقة لنقط أبي الأسود الدؤلي، ولتطرد ملازمة التنوين حركة الحرف (زيدٌ/ زيدٍ/زيدًا)، ولتجنب رسم حركة الحرف على غيره.

٣-الاطراد في رسم الأقواس والأهلة واستعمالها كالآتي:

-للاقتباس علامتا اقتباس، نحو: قال النابغة "أنت شاعر؛ ولكنك أقللت جفانك وأسيافك وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك". أو «أنت شاعر؛ ولكنك أقللت

---

* نشر في الجزيرة الثقافية في الجمعة/السبت ٦-٧ شعبان ١٤٤٥هـ/ ١٦ فبراير ٢٠٢٤م. ع١٨٥٦١.

(١) ينظر: دليل توحيد ضوابط الرسم الإملائي للكلمات العربية، تأليف: عبد الله الشلال وآخرين، المركز العربي للبحوث التربوية لدول الخليج/ الكويت، ١٤٣٠/ ٢٠٠٩م، ص ٣٠.

جفانك وأسيافك وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك». فإن تضمن النص المقتبس نصًّا محصورًا بين علامتي تنصيص جعلناهما هلالين، نحو: قال البعيمي: وهذه الأفعال موقوفة على السماع، قال ابن مالك: "ومأخذ هذا النوع السماع" وسمّاها المتعدية بوجهين. نجعله: قال البعيمي: "وهذه الأفعال موقوفة على السماع، قال ابن مالك: (ومأخذ هذا النوع السماع) وسمّاها المتعدية بوجهين".

-للآيات قوسان مزهران: قال تعالى ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾.

-لتوثيق الآية في المتن وللإقحام في النص معقوفان: [٢ –الفاتحة]، قال البغدادي "قال الجوهري [في الصحاح]: يقال تملّقه وتملّق له تملقًّا".

-لتوثيق الأحاديث قوسان { }، نحو: قال ﷺ {الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قَالُوا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُؤْمِنِين}.

- للإبراز والتحديد هلالان ()، نحو: تضاف (إذ) إلى الجملة.

٤-وصل الأحرف التي وضعت على حرف واحد بما بعدها وإن حصر بهلالين، نحو: أجاءِ زيدٌ وعمرٌو/ ابدأ صلاتك بـ(الفاتحة) ثم ما تيسر من القرآن. وأما ما يعرض من أفعال الأمر من اللفيف المفروق فلا يوصل دفعًا للبس، نحو: (قِ نَفْسك واحذر الأسد)، وكذا إن كان اسمًا، نحو: (يقدر س الحركة على ألف المثنى)/ (آيات ص عددها ٨٨آية).

٥-لا تُترك مسافة (فراغ) قبل علامة الترقيم بل بعده: جاء زيد، ومضى عمرو؛ لأنّهما مختلفان. هل تعلم سبب ذلك؟، وأما الأهلة والأقواس فلا مسافة بعد الأول ولا مسافة قبل الآخِر، نحو ما هو ظاهر سابقًا.

٦- لتوثيق المقتبسات وكتابة الحواشي طريقتان إحداهما أسفل الصفحة والأخرى جعلها تعليقات آخر البحث، والأولى عندي جعلها أسفل الصفحة، خاصة في الأعمال المطولة.

٧-لترقيم الحواشي طريقتان في الغالب ترقيم لكل صفحة وترقيم متصل، والأولى عندي الترقيم لكل صفحة وهذا يلائم الأعمال الطويلة.

٨-إن تكررت الإشارة إلى مصدر أو مرجع فالأولى عندي تكرار كتبه خلافًا لمن يكتب (السابق) ونحوها.

٩-لذكر اسم المصدر أو المرجع في الحاشية طريقتان مشهورتان إحداهما ذكر اسم المصدر أو المرجع ثم مؤلفه ومعلومات النشر. والأخرى ذكر اسم المؤلف فاسم المصدر أو المرجع فمعلومات النشر. والأولى عندي الطريقة الأولى أي البدء باسم المصدر أو المرجع؛ لأن من الأعمال ما لا يكون لها مؤلف محدد كدواوين الشعراء القدماء والموسوعات وبعض المعجمات والتقارير والنشرات والأدلة، ونحوها.

١٠- تجعل قائمة المصادر والمراجع بعد الخاتمة مباشرة قبل الملحقات والفهارس الفنية؛ لأنها جزء لا يتجزأ من العمل.

١١- يتميز توثيق آي (القرآن الكريم) بذكر رقم الآية واسم السورة في المتن، وهذا لا يختلف في الغالب في المصاحف وإن اختلفت نشراتها؛ لذا لا فائدة في تصدير قائمة المصادر والمراجع بـ(القرآن الكريم)، خلافًا لفعل بعض الباحثين.

١٢- الغرض من قائمة المصادر والمراجع مساعدة القارئ على سرعة التحقق من صحة المعلومات؛ لأن الأعمال قد تكون لها نشرات مختلفة، ولذا يحسن جعل المصادر والمراجع

في ثبت واحد فلا يفرق بين بحوث وكتب ومجلات ونشرات ونحوها بل تكون القائمة واحدة ما دامت اللغة واحدة.

١٣-يجب أن يكون ترتيب القائمة وفاق ترتيب الإحالة للمصدر أو المرجع في الحاشية؛ فإن كانت تبدأ بذكر المصدر أو المرجع رتبت القائمة حسب أسماء المصادر أو المراجع، وإن كانت تبدأ بذكر المؤلف رتبت القائمة وفاق أسماء المؤلفين.

١٤-يجب في وضع الحركات أن يهمل سكون المدغم في مثله أو مقاربه، كالنون من (اِفْرَحْ لِصاحِبِكَ إِن نّالَهُ خَيْرٌ وَّإِن مّالَ عَنْكَ وَقَد طّالَتْ جَفْوَتُهُ).

ولعل هذا يصلح للبحوث والرسائل التي لا تنشر في أوعية نشر لها شروطها الخاصة وطرائقها الملزمة في توثيقها، وهي طرائق أعجمية أقحمت على أعمال العربية من غير ضرورة.

أيها العقل أين أنت؟*

حين تستبد العاطفة بالمرء يغيب عقله، ويتعطل فهمه، ويتخلف إدراكه، وينساق وراء ما يسمع حتى يبلغ حدّ المكابرة وركوب الرأس فينطبق عليه المثل "أقول تمرة ويقول جمرة"، "أقول جمل ويقول احلبه"، "أقول له تيس ويقول احلبه)(١)، والمثل (عنز ولو هدرت)، (عنز ولو طارت)(٢).

وهذه حكاية سمعتها عرضًا في (اليوتيوب) كان يشاهدها من كنت إلى جواره، فبحثت عنها بعد ذلك لأتحقق مما سمعته، وكان عنوان المادة المسجلة (الشيخ الشعراوي يحل أزمة كبيرة عجز عن حلها كبار أطباء وعلماء أوروبا)، تذكر القصة أن الشيخ، رحمه الله، كان راقدًا في مستشفى أوربي، وفي تلك الأثناء دخلت المستشفى امرأتان على وشك الولادة، فولدتا مولودين ذكرًا وأنثى، ثم إن الممرضات نقلوهما إلى مكان المواليد من غير علامات مميزة، فاختلط الأمر على الوالدتين؛ إذ لم تعرف أيهما مولودها، ولم يستطع من في المستشفى ممرضون وأطباء معرفة لمن الذكر ولمن الأنثى، والغريب أنهم أجروا تحاليل لمعرفة فصيلة الدم فصادف أنهما متطابقتان، وجربوا أن ترضع كل امرأة المولودين لمعرفة من يقبلها ومن لا يقبلها، وكانت المفاجأة أن المولودين قبلا الرضاعة من الوالدتين كلتيهما بلا تفريق، ولم ينجح جميع أطباء أوربا [هكذا] أن يحلوا المشكلة، ولا أعلم أجربوا فحص الحمض النووي أم لم يجربوه، فالقصة عدّت عن هذا، المهم أن

---

* نشر في الجزيرة الثقافية في يوم الجمعة/السبت ٠٥-٠٦ رجب ١٤٤٤هـ/ ٢٧ يناير ٢٠٢٣م، ع ١٨٢٣١.

(١) الأمثال الشعبية في جزيرة العرب لعبد الكريم الجهيمان، ١/ ٢٢٠.

(٢) الأمثال الشعبية في جزيرة العرب لعبد الكريم الجهيمان، ٤/ ٤٣٠.

طبيبًا تفطن إلى أن المسلمين يقولون: إن في القرآن جوابًا عن كل شيء، وإذا بهم يتوجهون إلى الشيخ المسلم الشعراوي، ويعرضون عليه المشكلة، فيهون الخطب عليهم، ويذكر لهم ما في القرآن، وهو قوله تعالى ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ [١١- النساء]، وأوصاهم بفحص نسبة الدسم في حليب المرأتين فمن دسم حليبها ضعف دسم الأخرى هي أم الذكر، وفعلوا ما أوصاهم به الشعراوي فأفلحوا.

ويمضي الراوي إلى غرضه بعد ذلك فيزعم أن عددًا من الأطباء يزيدون على ثلاثين أسلموا فورًا. وأوصى بتداول القصة.

حين أنكرت صحة القصة جملة وتفصيلًا لمن كنت إلى جانبه امتعض ودعا لي بالهداية.

لا يمكن أن يقبل العقل كل هذه الصدف، تطابق في الشكل وتطابق في فصيلة الدم وتطابق في قبول الرضاعة، وأدهى من ذلك أن يعجز جميع أطباء المستشفى بل أطباء أوربا عن حلّ المعضلة، وكيف يقبل العقل أنهم لم يفكروا بفحص الحمض النووي الذي لا يمكن أن يتطابق. أقول هذا إن تجاوزنا إمكان إهمال المستشفى لإجراءاته المعتادة من وضع سوار فيه معلومات الوليد.

ونعود إلى أن (للذكر مثل حظ الأنثيين) ليس قانونًا عامًّا بل هو لحالة من حالات الفرائض فقد يكون حظ الذكر والأنثى واحدًا. قال المقدسي "وإن استووا قسمت المال بين من أدلوا به، وسويت بين الذكر والأنثى إذا استوت جهاتهم منه، فلو خلف ابن بنت وبنت بنت أخرى وابنًا وبنت بنت أخرى قسمت المال بين البنات على ثلاثة ثم جعلته لأولادهن للابن الثلث وللبنت الثلث وللابن والبنت الأخرى الثلث الباقي بينهما

نصفين. أصلها من ثلاث وتصح من ستة، وإنما استوى الذكر والأنثى من ذوي الأرحام في الميراث لأنهم يرثون بالرحم المحض فاستوى الذكر والأنثى كولد الأم، وعنه (للذكر مثل حظ الأنثيين) لأن ميراثهم يعتبر بغيرهم فلا يجوز حملهم على ذوي الفروض"[(١)].

ثم كيف عرف الشيخ الشعراوي حكاية دسم اللبن ولم يعرفها أحد من أطباء أوربا؟

وكيف يكون لبن من ولدت توأمين ذكرًا وأنثى؟ هل سيختلف دسم لبنها وفاق من يرضع؟

وكيف سيكون لبن من تمارس الإرضاع تكسبًا؟ أيتلون بحسب من ترضعه؟

هذه القصة الغريبة ألفت على طريقة القصّاص منذ القدم، مهمتها وعظية، ولا تلتفت إلى مخاطبة العقل لاطمئنانها إلى القلوب التي يطربها سماع ما تريد، وإن يكن من نسج الخيال ومن الأكاذيب التي تتفوق على أكاذيب الأعراب.

ألا يحق لنا أن نسأل: أيها العقل أين أنت؟

---

(١) العدة شرح العمدة للمقدسي، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث/ القاهرة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ص:٣٥٤.

زيارة مجمع الملك سلمان*

بدعوة كريمة من مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية تشرفت بزيارة المجمع للاطلاع على منصة المعاجم العربية، وكان ما عرض علي من إمكانات هذه المنصة مدهشًا مبهجًا واعدًا بالخير للعربية وطلابها، فهذه المنصة ستمكن المطلع من الاستفادة بكنوز المعاجم في يسر وسهولة من غير أن يكون عالمًا بكيفية استعمال المعجم، ومعاجمنا القديمة مختلفة في أنماط الدخول إليها فمنها ما يعتمد على مخارج الأصوات ومنها ما يعتمد القافية ومنها ما يعتمد فاء اللفظ، وليس على المطلع إلا أن يكتب الكلمة التي يريد فتنداح أمامه المعاني، وله أن يكتب جذر الكلمة، تنسدل للمطالع قائمة يختار مطلبه من الكلمة معناها العام أو شواهد المعاني أو ما شاء مما تتيحه المادة المكتوبة.

والمنصة عمدت إلى تنسيق محتويات مواد المعاجم وفاق مطالب متعددة مراعية في ترتيب معاني اللفظ نسبة شيوعها في الاستعمال؛ وذلك اعتمادًا على مدونة ضخمة، وهذه المدونة ستكون في خدمة الباحثين، وبرئت المنصة بتنظيمها هذا من ركام الكلام في المادة المعجمية القديمة، وفي المنصة مجال لإضافة معاجم أخرى تخصصية أو خاصة، واطلعت على مراحل معالجة اللفظ حتى يأخذ موضعه من المنصة. انتهت الساعة المخصصة لشرح عمل المدونة وآليات الإنجاز، وبقي في الذهن آمال لعل القائمين على المنصة ينظرون في أمرها.

* نشر في الجزيرة الثقافية في الجمعة/السبت ١٣-١٤ ذو القعدة ١٤٤٤هـ/ ٠٢ يونيو ٢٠٢٣م. ع١٨٣٣٩.

من هذه الآمال أن تكون المنصة بمحتواها مرنة تتكيف وأعمار الطالبين، فيكون مدخل يبين سن المستعمل؛ فيتكيف المعجم بما يناسبه من المواد اللغوية والوسائل البصرية والسمعية المبينة للألفاظ والتعابير.

ومن الآمال أن يكون ثمة مدخل يعرض المواد المعجمية مطابقة لورودها في أصولها الورقية.

ومن الآمال أن تدخل معاجم اللغة المحكية وموسوعاتها، معاجم الألفاظ، ومعاجم الأمثال والكنايات والتعابير، وغيرها، والذي أعرفه أن الشيخ محمد بن ناصر العبودي حرر في اللغة المحكية عشرين مجلدًا ما زالت مخطوطة، غير المعاجم الأخرى التي نشرت عن الحيوان والنبات والأشجار والمواقع وسائر جوانب الحياة الأخرى، كل ذلك جديرة المنصة بأن تكون هادية إليه.

ومن الآمال أن تستوعب المنصة معاجم الدخيل ولدينا في هذا الميدان معاجم قديمة ومعاجم حديثة منها ما عالج الدخيل في اللغة المحكية.

كنت أظن زيارتي تنتهي بنهاية الساعة المخصصة لها؛ ولكني فوجئت بأني مدعوّ دعوة كريمة أخرى إلى لقاء الأمين العام للمجمع الأستاذ الملهم الدكتور عبدالله بن صالح الوشمي، والدكتور تشرفت قبلُ بصحبته في مركز الملك عبدالله العالمي لخدمة اللغة العربية، إذ كنت عضو اللجنة الاستشارية وكان هو مقررها ثم عضو لجنة الأمناء وكان هو مقررها أيضًا، عرفته رجلًا واسع الأفق لَمّاحًا، بالغ الذكاء في تعامله وتخيره وقراراته، يتفانى في العمل تفانيًا مدهشًا رأيته في الطيارة ملازمًا حاسوبه يكتب ما شاء الله له أن يكتب، وهو على فضله وقدره متواضع كل التواضع لا تفارق الابتسامة طلعته البهية، حين كنا

على بابه رأيته واقفًا يستقبلني بأريحية وترحيب يثلج الصدر وييسر الخاطر ويبهج النفس، أجلسني ليحدثني حديثًا زوى فيه مشاريع المجمع ونشاطاته وآماله وتحدّياته، حدثني عن ثلاث المجلات التي يصدرها المجمع، وعن نشاط المجمع في نشر الأعمال الجياد، قال: رأيت تغريدتك عن رسالة أسامة شيراني فوجهت للاتصال به لنشرها ثقة بما أثنيت به عليها، وهي ثقة أعتز بها كثيرًا هي تاج يكلل رأسي، وقد سبق أن نشر مركز الملك عبدالله غير كتاب لأن الدكتور رعاه الله رآني أثنيت عليها.

ولم يكتف الأمين رعاه الله ووفقه بالشرح والبيان بل صحبني هو نفسه في جولة إلى أرجاء المجمع وجوانبه، فزرنا جناح تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، وهو جناح مزود بالوسائل الحديثة، وزرنا جناح الذكاء الصناعيّ، وهو مجال واعد بل هو مستقبل العالم الآن، ودخلنا غرفة العالم الافتراضي، قال الدكتور الوشمي: إن المرء يلبس على رأسه خوذة أو نظارة تنقله إلى عالم حيّ فيزور المكتبة إن شاء، بل يمكن أن يدخل في الكتاب بين الكلمات أنفسها، كانت هذه الغرفة في طور التجهيز، ولعله تتاح لي تجربة هذا إن كان في العمر بقية.

وذكر حفظه الله أن المجمع يعد معرضين للغة، أحدهما للكبار والآخر للصغار، وأخذني لجناح الصغار، وكان العمل يجري لإعداده، قال إن الطفل هنا سيتعرف اللغة باللعب، وليس كاللعب بوابة إلى عقل الصغير وقلبه.

لم يكن الدكتور الملهم عبدالله الوشمي ليحقق من النجاح ما حققه لولا ذكاؤه وخبرته في تخير عناصر شابة من أبناء وبنات الوطن لينهضوا بأعمال المجمع مع الاستفادة من خبرات الشيوخ وتجاربهم. وفق الله الدكتور الوشمي والعاملين معه وألف شكر للزيارة المباركة.

مجمع الملك سلمان تعدد الاهتمامات واتساع الأفق*

بدأ مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية برؤية واضحة لأهدافه التي أراد أن يحققها، لم يأت نسخة مكررة من مجامع أخرى كان لها السبق وأبلت بلاء حسنًا حسب ما أتيح لها من إمكانات. أتى هذا المجمع وقد أنعم الله على خلقه بما هدوا إليه من ثورات تقنية مذهلة تختصر الزمن وتختزل الجهود ورأينا في وقت وجيز كيف استطاع هذا المجمع بجهود العاملين فيه وتوجيهات الحكومة الرشيدة أن تتعدد أعماله الخادمة اللغة وطلابها والاعتماد الكبير على التقنية فظهرت المعجمات الحاسوبية وعقدت الندوات ونظمت المسابقات ومنحت الجوائز للمستحقين، ودعا المجمع طائفة من علماء اللغة ومن طلابها للاطلاع على منجزات المجمع، وكان لي حظ زيارة المجمع ولقاء الزملاء المتفانين في خدمة العربية، واطلعت على منصة المعاجم، ووفق الله المجمع أن رفعوا معجمي (معجم أسماء الناس في المملكة العربية السعودية) على هذه المنصة التي بها يستطيع من يشاء الاطلاع على معنى ما يشاء من الأسماء بل طلب إضافة اسم لم يجد له مدخلًا وهذه فرصة لإثراء المعجم وتجويده. وتشرفت بلقاء الدكتور عبدالله بن صالح الوشمي الذي تفضل بشرح واف عن المجمع وتلطف بالسير معي في جنبات المجمع فأطلعني على نشاط تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها وجناح الذكاء الصناعي وجناح الأبعاد الثلاثية في عالم افتراضي يمكن المشاهد من الولوج إلى الكتاب بطريقة أشبه بالسحر، وأراني ركن الطفل وتقديم اللغة بطريقة مشوقة تتضمن الألغاز والألعاب.

* نشر في الجزيرة الثقافية في الجمعة–السبت ٩–١٠ ذو القعدة ١٤٤٥هـ/ ١٧ مايو ٢٠٢٤م. ع ١٨٦٣٩.

اهتم المجمع بنشر البحوث العلمية الجادة في دوريتين يصدرهما عن اللسانيات والسياسة اللغوية، ويهتم المجمع أيضًا بنشر نفائس الكتب في اللغة والأدب.

ولا شك أن المأمول من المجمع الحديث بما له من إمكانات تقنية أن يمضي قدمًا نحو الجمع اللغوي المنظم لما تحويه اللغات المحكية في بيئاتنا اللغوية المتعددة وهي الآن معرضة للنسيان والاندثار بما تتعرض له من أخطار العولمة وغلبة الثقافات الغربية وانصراف كثير من أبنائنا إليها ورغبتهم عن لغتهم لغة القرآن ولغة تراثهم المجيد واللغة مقوم من أهم مقومات الأمة. ومن المأمول أيضًا ما كتبت عنه سابقًا وهو اصطناع محرك بحث على غرار المكتبة الشاملة وتضمين كتب التراث وغير كتب التراث لتكون بين يدي طلاب العربية وأن يكون ذلك بعد تصحيح الكتب والحرص على ضبطها لأن ترك الضبط كان من أكثر عوامل انتشار الأخطاء الشائعة.

ولا جدال في أن منجز المجمع من معجمات هو عمل جليل؛ ولكن إن كفلت له جودة التقنية فإنه بحاجة إلى جودة المضمون من حيث الصواب اللغوي.

ومن الأمور الجليلة التي ينتظر أن يهتم بها المجمع مسألة الرسم الإملائي الذي نجد كثيرًا من الناس يضطربون فيه لاحتمال طرائق كتابية مختلفة والإملاء اصطلاح يسهل تقنينه والالتزام به، وينتظر من المجمع أن يكون سباقًا إلى هذا الالتزام ولكن الملاحظ أنه على سبيل المثال لا يلتزم برسم تنوين المنصوب إذ نجده مرة فوق الألف (زيداً) ومرة فوق الحرف (زيدًا).

إن من ميزات هذا المجمع أنه عالمي التوجه فهو خادم للغة العربية في مواطنها الأصلية وفي مواطن رحلت إليها بانتشار الإسلام وتلاوة القرآن كل يوم، ولا شك أن التقنية

أسعدت المجمع على هذا الانتشار العالمي؛ إذ يستطيع طالب العربية مسلمًا كان أم غير مسلم أن يطلع على جهود المجمع وأن ينتفع بإنجازاته وأعماله الجليلة، وندعو الله لحكومتنا الرشيدة بالتوفيق والسداد لما توليه اللغة العربية وطلابها من عناية ورعاية.

عنده ظرف*

ها أنا أشلاء ممزقة في قعر سلة نفايات ضخمة. ألقاني صاحبي في حالة من اليأس والإحباط، ومضى. لا أعلم؛ في الغالب إلى بيته حيث يقبع مثل حيوان يسكنه الخوف. أدركتُ طبيعته أثناء الأيام التي رافقته فيها قبل حادثة التمزيق.

أخذني صاحبي من مكتبة عالية السقف تطل بواجهة زجاجية واسعة على شارع طويل في مدينة ما في بلد ما. كنت مندسًّا في زمرة من الظروف؛ ولمحته داخلًا يكاد يتعثر باستحياء. ما كان يريد دخول هذا الصرح. يرعبه الرخام، ترعبه الواجهة الزجاجية، ترعبه الأنوار الكاشفة. أرجح أن السيارات المزدحمة في الشارع جعلته يجنح بسيارته نحو المبنى، والوقت يداهمه. أنا أعذره؛ فالشارع على الرغم من حداثته وعرضه يغَصّ بسيارات لا أعلم من أين تأتي، ولا أعلم أيضًا أي جهة تقصد؛ ولكن الشارع يبيت كأفعى تجاهد في هضم فريستها. أمضى وقتًا غير قصير يبحث عن موضعنا. لم يسأل. وأخيرًا جاء؛ تناولني بأطراف أصابعه بحذر، ومضى بي نحو البائع. وقف، تململ شيئًا حتى فرغ البائع له، سأله: كم؟ ذكر البائع رقمًا أجفله، همَّ بأن يرجعني، التفت فإذا صفٌّ واقف؛ فلم يتردد، تحسس جيبه وأخرج محفظة حاول أن يداريها، واستخرج منها شيئًا. ولَمّا أن ذهب إلى السيارة رأيته يخرج من جيبه ورقة مطوية، ويدسها على عجل في جوفي دون تردد. بلّل الصمغ المدهون على حاشيتي؛ ولكن هي حاشية فيها حدّة بذحت -علم

* نشرت في رسالة الجامعة ولا أعرف توثيقها، وكانت قبل التحول في عطلة نهاية الأسبوع إلى الجمعة والسبت. وأعيد نشرها في الجزيرة الثقافية في الجمعة/السبت ٩-١٠ جمادى الآخرة ١٤٤٥هـ/ ٢٢ ديسمبر ٢٠٢٣م. ع ١٨٥١٣.

الله بلا قصد- طرف لسانه، تلمظ بالدم، وانقبض جبينه. أدخلني في جوف كتاب ضخم أخذ يضغط على أنفاسي، وبدأت الرسالة التي لا أعلم ما تحوي تتأوه، بدأت تتململ. كنت أحسب أنها تشكو ثقل الكتاب؛ ولكن ظهر أني مخطئ؛ إذ عاد بنا صاحبي إلى بيته، وأخرجنا من جوف الكتاب، ووضعنا في مكان عال، وما زالت تشكو، هي متململة مزعجة، تشبه أنواعًا أسمع عنها، فهي رسالة شكوى؛ شكوى من شيء ما أو من رجل ما مقدمة إلى مسؤول ما في بلد ما.

بتنا تلك الليلة في داره، وجاء صباح، صباح خميس؛ فالبيت صخب واضطراب، رفعنا صاحبي وهمَّ بأن يخرج؛ ولكن سمع نداءًا من أعلى، نودي فألقانا، ومضى، وبعد قليل خرج على عجل، لا أعلم أي مكان يقصد، عاد بُعيد الظهر وتغدّى ثم استلقى يطلب بعض الراحة، رفع رأسه، ألقى بناظرةٍ نحوي، ثم أشاح ونام.

بعيد صلاة العصر رأيت الرجل يدخل ويتوجه نحوي فيحملني فإذا صوت يهبط من فوق، قال وعلامات الضيق تلوّن صوته: لا، أنا خارج. اندسّ برفق في السيارة، بدأ يشوّه وجهي بكتابة اسم المرسل إليه والعنوان، ومضى، يبدو أن الرجل يريد أن يبعثنا بالبريد. توقف عند مبنى صغير رآه مقفلًا، فانتظر قليلًا، وتطلع نحو الساعة، تحير؛ فالصلاة قد قضيت، ثم هزّ رأسه، وتمتم: آه، الخميس، ومضى بنا في شوارع المدينة، شوارع طويلة عمارات شاهقة، مبان رخامية كثيرة ولها واجهات زجاجية مثل مكتبتنا، لم أكن رأيت ذلك من قبل. وكان يسير بسيارته ويتوقف من وقت إلى آخر، وأسمع بعض الأحيان أبواق سيارات تزأر بغيظ وأسمع سيارات أُخَر تنطلق بفحيح مخيف. وبعد عناء أوقفنا عند بناء ضخم تجمّع حوله رجال ليسوا من بلدتنا، نزل صاحبي وأنزلنا، ومضى نحو الجمع وانتظر قليلًا معهم؛ لكن أقبلت الحافلة ومضى الناس، اقترب الرجل

من الباب، تحسّس طيفًا أو نورًا، ثم توجه نحو الحارس، كان الحارس يملأ كرسيًّا وتثاقل أن ينهض للقادم. سأل الحارس: أين الأخوان؟ تبسّم هذا من جهل الناس، وقال: اليوم الخميس، فعاد يسأل: أيقفل البريد المركزي في يوم الخميس؟ أعجزوا عن رجل واحد يستقبل في هذا اليوم؟ ولا أعلم لماذا خجل الحارس، وقال قولَ معتذر: أنا حارس. عاد الرجل منكسرًا نحو السيارة.

في يوم السبت خرج بنا إلى صرح آخر أكبر من صرح البريد المركزي يعجّ بأخلاط من الناس ويمتلئ بغرف وأروقة وأبواب مختلفة؛ لقد طوّف صاحبنا في جنبات المبنى تلفظه غرفة إلى غرفة، ويزفه رواق إلى رواق حتى وصل إلى موظف منهمك فوق تلال من أوراق. سأل الرجل:

-أين فلان؟ وسمى رجلًا.

- مسافر.

-فأين فلان؟ وسمى رجلًا آخر.

-يرأس لجنة.

صمت الرجل قليلًا، وتسمّر في موقفه، أسرع والغضب يهز كيانه نحو السلة، وها أنا أشلاء ممزقة في قعر السلة، سلة متخمة مما ألقي فيها، وقبيل خروج الرجل تهامس اثنان، قال أحدهما: عنده ظرف.

كنت في الكويت حين كان (صخر)*

في دارة العرب مساء السبت ٦ رمضان ١٤٤٥هـ/ ١٦ مارس ٢٠٢٤م، في ذلك المساء المبارك نظّم مركز حمد الجاسر الثقافي، بالتعاون مع مركز عبدالله بن إدريس الثقافي، ندوة تأبين بعنوان «محمد الشارخ صخر التقنية العربي»، شهدها جمهرة من العلماء والمثقفين والتقنيين، شارك فيها د. عبدالعزيز السبيل، ود. زياد الحقيل، ود. عبدالقادر الفنتوخ، وأدارها د. هشام القاضي. وهذه الندوة مبادرة مشكورة عبر عنها الأستاذ معن بن حمد الجاسر، قال «تشرفت بدعوتي لعضوية مجلس أمناء مركز عبدالله بن إدريس الثقافي، وهي باكورة العمل المشترك بيننا، وجاء ذلك من خلال تلاقي جهود المركزين في إقامة ندوة الشارخ الذي منذ وفاته انهالت عبارات الثناء والمدح لسيرته الطيبة، لما تتميز به هذه القامة العربية الكبيرة من مكانة تحتاج إلى تضافر كل الجهود لتكريمها والاحتفاء بها».

وبهذا العنوان وزع كتيب على الحاضرين نشره مركز عبدالله ابن إدريس الثقافي ضم جملة من الكلمات التأبينية والشهادات التي جاءت في ملف مجلة الفيصل وعددًا من الصور منها صورة تسلم الشارخ جائزة الملك فيصل عام ٢٠٢١م.

أعادتني هذه الندوة إلى السنوات التي بدأت بها شركة صخر للحاسب الآلي ١٩٨٢م، وكانت أسرتي الصغيرة زوجتي وسمية المنصور رحمها الله، وابني أوس وابنتي ديمة

* نشر في الجزيرة الثقافية في الجمعة/السبت ١٩-٢٠ رمضان ١٤٤٥هـ/ ٢٩ مارس ٢٠٢٤م. ع ١٨٥٩٧. وشاركت به في ندوة تكريم السيد محمد الشارخ (بصمات خالدة في تاريخ حوسبة اللغة العربية) في السبت ٢٤ ذوالقعدة ١٤٤٥هـ/ ١يونيو ٢٠٢٤م.

يعيشون في الكويت في منطقة حولي والنقرة، أما أنا فكنت أوزع إقامتي بين الكويت والقاهرة؛ إذ لَمّا أتمّ كتابة رسالتي، وفي إحدى المرات، وأنا في الكويت، رنّ هاتف منزلنا فرفعت السماعة فإذا من لا أعرفه يخاطبني باسم شركة صخر، ويدعوني لزيارة مقر الشركة في منطقة الجابرية، وهي منطقة تقابل منطقة حولي والنقرة يفصل بينهما طريق الدائري الرابع، لم أعلم علة هذه الزيارة ولا من دلّهم عليّ، ومضيت على عجل إليهم، ودُعيت إلى الجلوس مع المتخصصة البريطانية بأصول البرمجة. أخرجتْ ورقة ورسمتْ عليها دائرة مصمتة ورسمت شكلًا هندسيًّا صغيرًا مُعيّنًا صغيرًا، وقالت: تحيرنا في رسم الصفر أنجعله دائرة مصمتة أم نجعله هكذا وأشارت بسن قلمها إلى المعين، وقالت: هذا شكل الصفر بالعربية، فقلت: لها إن المعين أولى ليكون مختلفًا عن النقطة. ودعيت بعد ذلك إلى الجلوس مع أحد المبرمجين الذي كانت لديه أسئلة عن الإملاء وكيفية كتابة بعض الأحرف في وسط الكلمة ونهايتها، وأذكر أني اقترحت عليه إمكانات يمكن أن ينجزها الحاسب فقال: إن ذلك جميل جدًّا؛ ولكن للأسف الشديد يحتاج إلى ذاكرة واسعة، وليست هذه الذاكرة متاحة تقنيًّا ذلك الوقت.

نجحت شركة صخر في إنتاج حاسوب عربي يكتب باللغة العربية، وكنت من الذين حرصوا على اقتناء هذا الحاسوب واستعماله، كتبت عليه أسئلة الاختبارات والبحوث وتقارير اللجان التي كلفتها، كان بنط الكتابة واحدًا، وكان يلزم لإبراز كلمة أو جملة بتسويدها أن نكتب قبلها رمزًا خاصًّا وكذلك بعدها وهكذا نفعل إن أردنا أن نضع خطًّا تحت الكلمة أو الجملة. لم يكن ما يظهر على شاشة الحاسوب مرضيًا؛ ولكنه في الطباعة يأتي بنتيجة حسنة، ولم تكن الكتابة بهندستها المتاحة بجمال ما ألفناه في كتب المطابع. وعندي في مكتبي نسخ من الأسئلة التي كتبتها على صخر.

وجدّ على المستعملين خط جديد يكتب بأوامر حاسوبية لا تقل عن أوامر صخر تعقيدًا؛ ولكنه ينتج بعد ذلك نتيجة أقرب إلى خطوط المطابع.

وجاءت بعدُ ثورة نوافذ ميكروسوفت التي نقلت عالم الكتابة العربية نقلة مذهلة ما زالت سائدة على الرغم من ظهور أنظمة أخرى لم تأخذ حظها من القبول والاستعمال بين عامة المستعملين.

وأجيال اليوم بما لديهم من إمكانات تقنية متطورة لا أظنهم يدركون مدى فرحنا نحن الذين عاصرنا الكتابة باليد ثم بالآلة الكاتبة التي تضم مقامع ثبت على طرف كلٍّ منها أحد حروف الكتابة، ثم استبدل بها بعد بكرة برزت على سطحها الحروف، وهي تفترّ يمنة ويسرة لترسم الحرف على الورقة. رسائلنا أنا وزوجتي رحمها الله كتبت على هذه الآلات الكاتبة.

الأجيال اليوم لا يدركون فرحنا بصخر الذي نقلنا نقلة نوعية من الكتابة بالآلة الكاتبة إلى الكتابة الحاسوبية التي حررتنا من الاستعانة بكاتب آلة.

لم يسعدني الحظ أن ألتقي بهذا الرجل العظيم محمد عبدالرحمن الشارخ المبادر المغامر صاحب الإنجازات العظيمة في خدمة العربية، ولست أملك سوى الدعاء له بالرحمة والمغفرة.

المكتبة الشاملة*

كنّا في منزل الدكتور إبراهيم بن عبدالرحمن التركي، أنا ومعي ابني بدر، والدكتور فهد العليان، والدكتور إبراهيم المديهش، وكان مما جرى الحديث عنه المكتبة الشاملة، فذكرت أنها من نعم الله التي هيأ لها من يضعها، برنامج حاسوبي يزوي آلاف الكتب في العلوم العربية المختلفة الشرعية واللغوية والأدبية والتاريخية والجغرافية وغيرها من العلوم المختلفة، وهي محرك بحث يهيئ للباحث الاطلاع في يسر وسهولة وسرعة على مضامين الكتب فيمكنه من استيعاب المواطن بدقة، وهو ما كان يقتضي الباحث الدقيق الأيام والليالي الطوال ليصل إلى مراده، وأغناه محرك البحث هذا عن فهارس الكتب وكشافاتها؛ بل لعله تفوق عليها، فما على الباحث إلا أن يدخل كلمة مفتاحية حتى ترصد له مواضعها من الكتب التي اختارها، وهو بعد ذلك يستطيع نسخ ما شاء من النصوص التي وردت فيه الكلمة أو الجملة التي بحث عنها، موثقة باسم الكتاب وصفحته ويتاح له النظر في نافذة منسدلة معرفة بيانات الكتاب كاملة اسم الكتاب ومؤلفه ومحققه إن كان كتابًا محققًا ودار النشر وسنتها وعدد الأجزاء ويبين لك إن كان صف الكتاب في المكتبة موافقًا للكتاب المطبوع أو هو صف آلي. وتتيح المكتبة نسخة إلكترونية مصورة بطريقة pdf لبعض الكتب تهب فرصة للتأكد من صحة النص وتدارك ما يعرض للمكتوب في الشاملة من نقص حركات أو تصحيف أو غير ذلك من الأخطاء.

بينت أثناء النقاش بعض الملحوظات على (المكتبة الشاملة) من أهمها إهمال ضبط كثير من الكتب اللغوية التي ضبطت في المطبوع، مثل بعض كتب النحو والصرف

* نشر في الجزيرة الثقافية في الجمعة/السبت ٢٣-٢٤ جمادى الآخرة ١٤٤٥هـ/ ٠٥ يناير ٢٠٢٤م. ع١٨٥٢٥.

والمعاجم، والضبط في هذه الكتب خاصة بالغ الأهمية، وربما اجتهد مدخل المادة ناسخ الكتاب فضبط كما يتهيّأ له فيضلل بذلك من لا خبرة له بالنص، وربما تساهل في ذكر بيانات الكتاب، مثل بيانات كتاب (المزهر) للسيوطي فقد جعل في الشاملة أنه من تحقيق فؤاد علي منصور فشاع بين الناس ومنهم المتخصصون أن الكتاب محقق وأن محققه هذا الرجل الفاضل الذي كتب على صفحة الغلاف هذه الجملة (ضبطه وصححه ووضع حواشيه)، والباحثون، وأنا منهم، ربما اعتمدوا على نص الشاملة فاحتملوا ما فيها من أخطاء، ويعلمون أن الواجب على الباحث أن يراجع ما نقله ويوازنه بالمطبوع؛ ولكنهم ربما غفلوا عن ذلك أو أحسنوا الظن بالنص الوارد في المكتبة، وربما يأخذهم التسرع والاستعجال فيقنعون بالنص الوارد من غير مراجعة وتدقيق، ومن الملحوظات الأخرى أن المكتبة الشاملة قد لا تتخير من الكتب أجودها تحقيقًا وأولاها بالاستعمال، فقد تكون نسخًا تجارية أو تحقيقات غير أصلية، وغيرها خير منها ينبغي العودة إليه، وكان هذا مثار استغرابي ودهشتي، ولكن الدكتور إبراهيم المديهش أزال الغرابة وأجاب عن السؤال، قال: إن أصحاب المكتبة مجتهدون، حملهم على إنتاجها ووضع الكتب فيها دافع ذاتي ورغبة صادقة في خدمة طلاب العلم، لا يرجون لذلك جزاءً ولا شكورًا، وكانوا يدخلون ما وجدوه من كتب لا يتخيرونها؛ ولكن ما يتاح لهم، وقال: إن الراجحي دعمهم مدة من الزمن؛ ولكن دعمه توقف، وقال: إن ثمة من أخذ قاعدة معلوماتهم برضاهم وأنشأ موقعًا على الشابكة اسمه (تراث)، والدكتور المديهش يمتدح هذا الموقع ويفضله؛ لأنه لا يشغل ذاكرة الحاسوب بالكتب، أما أنا فلا أعدل بالشاملة شيئًا، ولكني أرجو أن يقيض لها من يأخذ بيدها أخذًا جادًّا؛ ولعل مجمع

الملك سلمان العالمي للغة العربية يتولى هذه المهمة، وهنا يمكن أن يتدارك كل نقص في المكتبة وتصحح الكتب وتختار النشرات الجياد.

المصادر والمراجع

أبنية الصرف في كتاب سيبويه، للحديثي؛ خديجة (ت١٤٣٩هـ) مكتبة النهضة، بغداد، ط١، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م.

أحكام القرآن، للجصاص؛ أحمد بن علي الرازي الحنفي (ت ٣٧٠هـ) تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

أخبار مكة، للفاكهي؛ أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي (ت ٢٧٢هـ) تحقيق: د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، دار خضر، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ.

أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتاب والإذاعيين، لعمر؛ أحمد مختار (ت١٤٢٤هـ) عالم الكتب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٣م.

ارتشاف الضرب من لسان العرب، للأندلسي؛ أبي حيان محمد بن يوسف(ت٧٤٥هـ) تحقيق: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

أساس البلاغة، للزمخشري؛ أبي القاسم محمود بن عمر(ت٥٣٨هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

إسفار الفصيح، للهروي؛ أبي سهل محمد بن علي(ت٤٣٣هـ) تحقيق: أحمد سعيد قشاش، عمادة البحث العلمي في الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٠هـ.

الأصول في النحو، لابن السراج؛ أبي بكر محمد بن السري بن سهل (ت٣١٦هـ) تحقيق: عبدالحسين الفتلي، مؤسسة الرساله، لبنان، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

الأمثال الشعبية في قلب جزيرة العرب، للجهيمان؛ عبد الكريم(ت١٤٣٣هـ) دار أشبال العرب، الرياض، ط١، ١٤٠٣هـ.

الأمثال العامية في نجد، للعبودي؛ محمد بن ناصر (ت١٤٤٣هـ) دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض،١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، للأنباري؛ أبي البركات عبدالرحمن بن محمد(ت٥٧٧هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ط١ ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

إيجاز التعريف في علم التصريف، لابن مالك؛ محمد بن مالك(ت٦٧٢هـ) تحقيق: محمد المهدي عبد الحي عمار سالم، عمادة البحث العلمي الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم، للأندلسي؛ أبي حيان محمد بن يوسف(ت٧٤٥هـ) تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

البديع في علم العربية، لابن الأثير؛ مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد(ت٦٠٦هـ)، تحقيق: فتحي أحمد، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط: ١، ١٤٢٠هـ.

البرهان في علوم القرآن، للزركشي؛ بدر الدين أبي عبدالله محمد بن عبدالله (ت٧٩٤هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، القاهرة، ط١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي؛ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر(ت٩١١هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار الفكر/بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي؛ محمد بن محمد بن عبدالرازق (ت١٢٠٥هـ)، ج٦، تحقيق: حسين نصار، وزارة الإرشاد والأنباء/ الكويت،١٣٦٩هـ-١٩٦٩م.

تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، للطبري؛ محمد بن جرير (ت٣١٠هـ) وعريب بن سعد القرطبي (ت٣٦٩هـ) دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ.

تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل، لأحمد السعيد سليمان، دار المعارف/ القاهرة، ١٩٧٩م.

التبيان في إعراب القرآن، للعكبري؛ أبي البقاء عبدالله بن حسين بن عبدالله(ت٦١٦م) تحقيق: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي، د.ت.

تحرير الفتاوى، للمهراني؛ ولي الدين أبي زرعة أحمد المِهْراني القاهري الشافعي (٨٢٦ هـ) تحقيق: عبد الرحمن فهمي محمد الزواوي، دار المنهاج للنشر والتوزيع، جدة، ط١، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.

التخمير شرح المفصل في صنعة الإعراب، للخوارزمي؛ صدر الأفاضل القاسم بن الحسين(٦١٧هـ) تحقيق: عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

التذكرة الحمدونية، لابن حمدون؛ محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون البغدادي (ت ٥٦٢هـ) تحقيق: إحسان عباس وبكر عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، للأندلسي؛ أبي حيان محمد بن يوسف(ت٧٤٥هـ) تحقيق: د.حسن هنداوي، دار القلم-دمشق-دار كنوز إشبيليا، ط١.

تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، لابن مالك؛ محمد بن مالك(ت٦٧٢هـ) تحقيق: محمد كامل بركات، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٧هـ-١٩٦٩م.

تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، للصفدي؛ صلاح الدين خليل بن أيبك(ت٦٩٦هـ) تحقيق: السيد الشرقاوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

تصحيح الفصيح وشرحة، لابن درستويه؛ أبي محمد عبدالله بن جعفر(ت٣٤٧هـ) تحقيق: محمد بدوي المختون، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة،١٤١٩هـ-١٩٨٩م.

التمثيل والمحاضرة، للثعالبي؛ أبي منصور عبدالملك بن محمد (ت٤٢٩هـ) تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، الدار العربية للكتاب، ط٢، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، لناظر الجيش؛ محمد بن يوسف بن أحمد(٧٧٨هـ) تحقيق: علي محمد فاخر وآخرين، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.

تهذيب اللغة، للأزهري؛ أبي منصور محمد بن أحمد (ت٣٧٠هـ) تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م.

ثابت الإيقاع متنوع الوقع: رسالة في بلاغة التشكيل الصوتي للتفعيلة العروضية، لمصلوح؛ سعد عبدالعزيز، دار الكاتب، القاهرة، ط١، ٢٠٢٣م.

ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، للثعالبي؛ أبي منصور عبدالملك بن محمد (ت٤٢٩هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٣٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

جمع الجواهر في الملح والنوادر، للحصري القيرواني؛ إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري (ت ٤٥٣هـ) تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل (مصور عن طبعة عيسى الحلبي/ القاهرة، ط٢، ١٣٧٢هـ-١٩٥٣م.

الجمل في النحو، للزجاجي؛ أبي القاسم عبدالرحمن بن إسحاق(ت٣٤٠هـ) تحقيق: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة ودار الأمل، بيروت ١٩٨٤م.

جمهرة اللغة، لابن دريد؛ أبي بكر محمد بن الحسن (ت٣٢١هـ) تحقيق: رمزي بعلبكي، ط١، دار العلم للملايين، بيروت،١٩٨٧م.

حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك، للصبان؛ أبي العرفان محمد بن علي (ت١٢٠٦هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

الحجة للقراء السبعة، للفارسي؛ أبي علي الحسن بن أحمد بن العبد الغفار(٣٧٧هـ) تحقيق: بدر الدين قهوجي وبشير جويجابي، دار المأمون للتراث، دمشق- بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

الحذف والتقدير في النحو العربي، لأبو المكارم؛ علي(١٤٣٦هـ) دار غريب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧.

حروف المعاني والصفات، للزجاجي؛ أبي القاسم عبدالرحمن بن إسحاق(ت٣٤٠هـ) تحقيق: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة ودار الأمل، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

الحيوان، للجاحظ؛ أبي عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ) وضع حواشيه: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ.

الخصائص، لابن جني؛ أبي الفتح عثمان(ت٣٩٢هـ) تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٧١هـ-١٩٥٢م.

دراسات في علم اللغة، لبشر؛ كمال(ت١٤٣٦هـ) دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٣١هـ.

درة الغواص في أوهام الخواص، للحريري؛ القاسم بن علي (ت٥١٦هـ) تحقيق: عرفات مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١ ١٩٩٨م.

الدرة المضية في شرح الألفية، للأبناسيّ؛ إبراهيم بن موسى، تحقيق: عبدالله بن علي الشلال، مكتبة الرشد/ الرياض، ط١، ١٤٤٣هـ-٢٠٢٢م.

دلائل الإعجاز، للجرجاني؛ عبد القاهر بن عبدالرحمن (ت٤٧١هـ) تحقيق: محمود محمد شاكر، ط٣، دار المدني/جدة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

دليل توحيد ضوابط الرسم الإملائي للكتابة العربية، للشلال؛ عبدالله وآخرين، المركز العربي للبحوث التربوية لدول الخليج، الكويت، ط٢، ٢٠٠٩م.

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، لابن بسام؛ أبي الحسن علي الشنتريني (ت ٥٤٢هـ) تحقيق: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، ط٢، ١٩٧١م.

ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، للزمخشري؛ أبي القاسم محمود بن عمر(ت٥٣٨هـ) مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

سر صناعة الإعراب، لابن جني؛ أبي الفتح عثمان(ت٣٩٢هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

سمط اللآلي، للبكري؛ أبي عبيد عبدالله بن عبدالعزيز (ت٤٨٧هـ) عناية: عبد العزيز الميمني، لجنة الترجمة والتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٣٦م، وصورته: دار الكتب العلمية، بيروت.

شرح ألفية ابن مالك، لابن الناظم؛ بدر الدين محمد بن محمد بن مالك(ت٦٨٦هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

شرح التسهيل، لابن مالك؛ محمد بن مالك(ت٦٧٢هـ) تحقيق: عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

شرح ديوان المتنبي، للعكبري؛ أبي البقاء عبدالله بن حسين بن عبدالله(ت٦١٦م) ضبطه وصححه ووضع فهارسه: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٥٥هـ-١٩٣٦م.

شرح شافية ابن الحاجب، للأستراباذي الرضي؛ محمد بن الحسن (ت٦٨٦هـ) عناية: محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبدالحميد، دار الكتب العلمية، بيروت١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

شرح شافية ابن الحاجب، للأستراباذي؛ ركن الدين حسن بن محمد(ت٧١٥هـ) تحقيق عبد المقصود محمد عبدالمقصود، مكتبة الثقافة الدينية ط١ ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك، لابن عقيل؛ بهاء الدين عبدالله بن عبد الرحمن (ت٧٩٦هـ) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، ط٢٠، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

شرح الكافية الشافية، لابن مالك؛ محمد بن مالك(ت٦٧٢هـ) تحقيق: عبدالمنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وأحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

شرح كتاب سيبويه، للسيرافي؛ أبي سعيد الحسن بن عبد الله(ت٣٦٨هـ) تحقيق: احمد حسن مهدلي وعلي سيد علي، دار الكتب العلميه، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.

شرح المفصل، لابن يعيش؛ يعيش بن علي (ت٦٤٣هـ) قدم له: إيميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

شرح نقائض جرير والفرزدق، لابن المثنى؛ أبي عبيدة معمر(٢١٠هـ) تحقيق: محمد إبراهيم حور ووليد محمود خالص، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات، ط٢، ١٩٩٨م.

شعب الإيمان، للبيهقي؛ أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، ط١، مكتبة الرشد، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

شهادات ومتابعات، للشمسان؛ أبو أوس إبراهيم بن سليمان، قدم له: أ.د. سعد عبدالعزيز مصلوح، ط١، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.

شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، لابن مالك؛ محمد بن مالك(ت٦٧٢هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

صبح الأعشى في صناعة الإنشا، للقلقشندي؛ أبي العباس أحمد بن علي(ت٨٢١هـ) عناية: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

طبقات النحويين واللغويين للزُّبيدي؛ محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف/ القاهرة، ١٩٨٤م.

طبقات الشافعية، ابن قاضي شُهبة؛ أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب/ بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

عجائب الآثار في التراجم والأخبار، لعبد الرحمن بن حسن الجبرتي، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، دار الكتب والوثائق القومية/ القاهرة، ١٩٩٨م.

العدة شرح العمدة، للمقدسي؛ عبدالرحمن بن إبراهيم المقدسي(٦٢٤هـ) تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

العربية الصحيحة، لعمر؛ أحمد مختار (ت١٤٢٤هـ) عالم الكتب، القاهرة، ط٢. ١٩٩٨م.

العقد الفريد، لابن عبد ربه؛ أبي عمر شهاب الدين أحمد بن محمد (ت٣٢٨هـ)، تحقيق: عبد المجيد الترحيني دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

عمدة الكتاب، للنحاس؛ أبي جعفر أحمد بن محمد(ت٣٣٨هـ) تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، دار بن حزم، ط١، ١٤٢٥-٢٠٠٤م.

العين، للفراهيدي؛ أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد(ت١٧٠هـ) تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ت.

الفاضل، للمبرد؛ أبي العباس محمد بن يزيد(ت٢٨٥هـ) تحقيق: عبد العزيز الميمني، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٠م.

الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية (حاشية الجمَل)، للجمَل؛ سليمان بن عمر(ت١٢٠٤هـ)، ضبطه وصححه وخرج آياته: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية/ بيروت، ١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م.

فوائت كتاب سيبويه من الأبنية الصرفية، للسيرافي؛ أبي سعيد الحسن بن عبد الله(ت٣٦٨هـ) تحقيق محمد عبد المطلب البكاء، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ط١، ٢٠٠٠م.

الكتاب، لسيبويه؛ أبي بشر عمرو بن عثمان(ت١٨٠هـ) تحقيق: عبدالسلام هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

كتاب الشعر أو شرح الأبيات المشكلة الإعراب، للفارسي؛ أبي علي الحسن بن أحمد بن العبد الغفار(٣٧٧هـ) تحقيق: محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

كتاب العدد في اللغة، لابن سيدة؛ أبي الحسن علي بن إسماعيل(ت٤٥٨هـ) تحقيق: عبد الله بن الحسين الناصر وعدنان بن محمد الظاهر، مطبعة المشكاة الإسلامية، الأردن، ط١، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

كلمات قضت (معجم بألفاظ اختفت من لغتنا الدارجة أو كادت)، للعبودي؛ محمد بن ناصر (ت١٤٤٣هـ) دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٢٣هـ.

اللباب في علل البناء والإعراب، للعكبري؛ أبي البقاء عبدالله بن حسين بن عبدالله(ت٦١٦م) تحقيق: عبد الإله نبهان، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

لسان العرب، لابن منظور؛ محمد بن مكرم(ت٧١١ هـ) دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

اللمع في العربية، لابن جني؛ أبي الفتح عثمان(ت٣٩٢هـ) تحقيق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت، ١٩٧٢م.

مجاز القرآن، لابن المثنى؛ أبي عبيدة معمر(٢١٠هـ) علق عليه: فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٧٤هـ-١٩٥٤م.

مختار الصحاح، للرازي؛ زين الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر(ت٦٦٦هـ) تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ط٥، ١٤٢٤هـ-١٩٩٩م.

المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيدة؛ أبي الحسن علي بن إسماعيل(ت٤٥٨هـ) تحقيق: عبدالحكيم هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

المحلى (وجوه النصب)، لابن شقير؛ أبي بكر أحمد بن الحسن البغدادي(ت٣١٧هـ) تحقيق: فائز فارس، مؤسسة الرسالة ودار الأمل، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م.

المخصص، لابن سيدة؛ أبي الحسن علي بن إسماعيل(ت٤٥٨هـ) تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

المسائل البصريات، للفارسي؛ أبي علي الحسن بن أحمد بن العبد الغفار(٣٧٧هـ) تحقيق: محمد الشاطر أحمد، مطبعة المدني، القاهرة، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

المسائل العسكرية، للفارسي؛ أبي علي الحسن بن أحمد بن العبد الغفار(٣٧٧هـ) تحقيق: محمد الشاطر أحمد، مطبعة المدني، القاهرة، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٢م.

المساعد على تسهيل الفوائد، لابن عقيل؛ بهاء الدين عبدالله بن عبد الرحمن (ت٧٩٦هـ) تحقيق: محمد كامل بركات، جامعة أم القرى، دار الفكر دمشق، ط١، ١٤٠٥هـ.

المستطرف في كل فن مستظرف، للأبشيهي؛ شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور(ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد خير طعمة الحلبي، ط٥، دار المعرفة، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

المطالع النصرية للمطابع المصرية في الأصول الخطية، للهوريني؛ أبي الوفاء نصر بن الشيخ نصر(١٢٩١هـ) تحقيق: طه عبدالمقصود، مكتبة السنة في القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م.

معاني القرآن، للفراء؛ أبي زكريا يحيى بن زياد(ت٢٠٧هـ) تحقيق: أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار وعبدالفتاح الشلبي، دار الكتب المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٥٥م.

معاني القرآن وإعرابه، للزجاج؛ أبي إسحاق إبراهيم بن السري (ت٣١١هـ) تحقيق: عبدالجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.

معاني النحو، للسامرائي؛ فاضل صالح، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

معجم أسر بريدة، للعبودي؛ محمد بن ناصر(ت١٤٤٣هـ)، دار الثلوثية للنشر التوزيع، الرياض، ط١، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

معجم الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة، للعبودي؛ محمد بن ناصر(ت١٤٤٣هـ) مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ط١، ١٤٣٠هـ.

معجم بلاد القصيم، للعبودي؛ محمد بن ناصر(ت١٤٤٣هـ)، دار الثلوثية للنشر التوزيع، الرياض، ط١، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م.

معجم الحيوان عند العامة، للعبودي؛ محمد بن ناصر(ت١٤٤٣هـ) مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

معجم الصواب اللغوي، لعمر؛ أحمد مختار(ت١٤٢٤هـ) عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

معجم ديوان الأدب، للفارابي؛ أبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم(٣٥٠هـ) تحقيق: أحمد مختار عمر، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

معجم القراءات، للخطيب؛ عبد اللطيف، ط١، دار سعد الدين، دمشق، ٢٠٠٢م.

المعنى في النحو العربي بين الوفاء لوظيفة اللغة وإكراهات الصنعة النحوية، لفلفل؛ محمد عبدو، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠٢١م،

مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام؛ جمال الدين عبدالله بن يوسف(ت٧٦١هـ) تحقيق: عبداللطيف محمد الخطيب، المجلس الوطني للثقافة والفنون/ الكويت، ط١، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

المفصل في صنعة الإعراب، للزمخشري؛ أبي القاسم محمود بن عمر(ت٥٣٨هـ) تحقيق: علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، للشاطبي؛ أبي إسحاق إبراهيم بن موسى(ت٧٩٠هـ) تحقيق: مجموعة محققين، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي في جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

المقتضب، للمبرد؛ أبي العباس محمد بن يزيد(ت٢٨٥هـ) تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى لشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

نتائج الفكر في النحو، للسهيلي؛ أبي القاسم عبد الرحمن بن عبدالله (ت٥٨١هـ)، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

النحو العربي: العلة النحوية نشأتها وتطورها، للمبارك؛ مازن، المكتبة الحديثة/ دمشق، ط١، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م.

النحو الوافي، لحسن؛ عباس (ت١٣٩٨هـ) دار المعارف، القاهرة،ط٣، ١٩٧٤م.

نظرية المعنى في الدراسات النحوية، للخالدي؛ كريم: دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة، للمحبي؛ محمد أمين بن فضل الله(ت١١١١هـ) تحقيق: عبدالفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية/ القاهرة، ط١، ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م.

نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري؛ أحمد بن عبد الوهاب التيمي البكري، شهاب الدين (ت٧٣٣هـ) دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ.

النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير؛ مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد(ت٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، للسيوطي؛ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر(ت٩١١هـ) تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، د.ت.

وقفة مع الذكريات للدريهم؛ زيد بن علي بن زيد، ط١، ١٤٤١هـ.

في هـــذه المجموعة سيرى كل غيــور على لغة القرآن يخـــاف عليها من عادِيـــة التحريف واللحـــن ما يبهج النفس من نصح حقُّه أن يؤخذ مأخذ عزم وحزم على مستوى الأفراد أو المؤسسات ولا سيما في بلادنا منبع العربية ومأرزها، ومن ذلك وأورده هاهنا لأهميته؛ إذ هو نفثة مصدور وآهـــة حزين على لغته يعي أن قوة الأمم مـــن قوة لغتهـــا: "إن من أعجب مـــا يواجهه المواطن في بلادنـــا عند التقدم للعمل هو اختبار عن معرفته اللغـــة الأجنبية لا العربية. إن الاهتمام بلغة العلم والعمل أمر بدهي منطقي؛ إذ يسعى الإنسان إلى مـــا ينفعه منفعة مبـــاشرة، فتراه يقبل على اللغة الأجنبيـــة لا حبًّا بها ولا كلفًا بجرســـها بل لأن معرفتها شرط في قبوله العمل وعمله معتمد عليها فهي لســـان المعاملات والمراسلات".

أ.د. سعود بن أحمد المنيع

رقم الإيداع: ١٤٤٦/٣٠٨٤
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٥-٣٢٩٨-٨